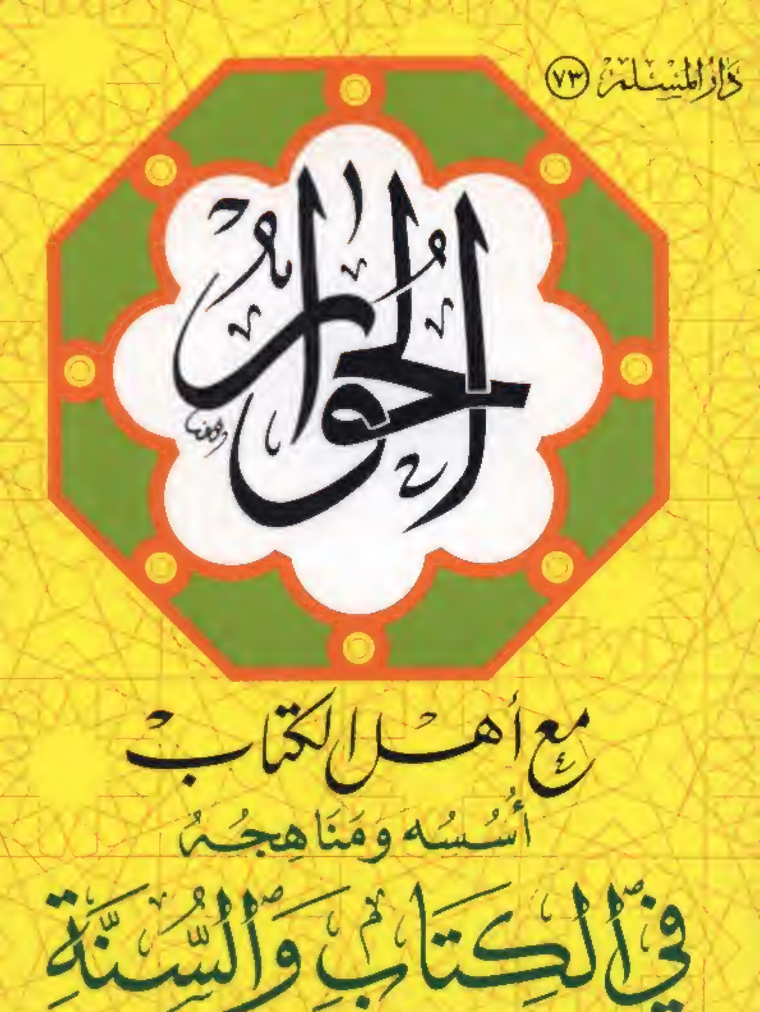


مع أهل الكتاب

أسسه ومناهجه

في الكتاب والسنة

خالد بن عبدالله القاسم

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

الناشــر

دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ ـ ص. ب ١٧٣٥٦

هاتف: ٤٠٥٤٠٥٩


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ... أما بعد :

فإن لتطور وسائل الاتصال والمواصلات أثراً كبيراً في تعارف الناس، واتصال بعضهم ببعض في كافة المجالات ، مما كان له دور إيجابي في انتقال العلوم والمعارف وانتشارها ، وفي تأثر الناس بعضهم ببعض في العادات والأفكار والآداب . وقد انعكس هذا كله على قضية الأديان عموماً ، فاختلاف أديان الناس مع اتصال بعضهم ببعض ، جعلهم يتحاورون فيما يتعلق بالأديان . والتحاور بين أهل الأديان قديم ، وقد ازداد في العصر الحاضر أضعافاً مضاعفة ، وذلك لتطور الوسائل المعينة عليه ، كتطور وسائل الاتصال ، ووسائل النشر والإعلام .

والدين الصحيح والحق من هذه الأديان هو دين الإسلام ، الذي ختم الله به جميع الرسالات ، وجعله مهيمناً عليها وناسخاً لها ، وهو الدين المتكامل الشامل الموافق للفطرة البشرية .

إن هذه القضية - وهي قضية الحوار - جديرة بالدراسة وفق أحكام الدين الإسلامي، لمعرفة موقف المسلم من هذا الحوار القائم في العالم بشكل مكثف ، والذي يأخذ أطراً مختلفة ، وأهدافاً متباينة . لهذا السبب اخترت موضوع الحوار موضوعاً لبحثي هذا ، وقد خصصته باسم الحوار مع أهل الكتاب لما يلي : -

أولا : اهتمام القرآن الكريم بالحوار مع أهل الكتاب ، فقد حفل القرآن بمحاورة أهل الكتاب في سور كثيرة ، كما أمر بمجادلتهم وحوارهم .

ثانيا : إن أهل الكتاب هم في الأصل أصحاب ملل سماوية قبل أن يطرأ عليها النسخ والتحريف ، وهي آخر الملل قبل الإسلام ، وعندهم من البشارات برسالة محمد ﷺ مايدل على نبوته ، كما أن هناك كثيراً من النقاط المشتركة التي من الممكن أن ينطلق منها حوار ناجح .

ثالثا : كثرة الحوارات مع أهل الكتاب في العصر الراهن ، نظراً لتقارب الناس بسبب وسائل النقل والمواصلات ، وانتشار الهيئات المعنية بذلك ، كرابطة العالم الإسلامي، ورابطات الشباب المسلم في أنحاء العالم ، هذا من جهة المسلمين ، ومن النصارى مجلس الكنائس العالمي ، والعديد من الجمعيات التنصيرية ، إضافة إلى مالايحصى من الحوارات الفردية .

رابعا : استغلال النصارى لهذا الحوار في كثير من الأحيان لأهداف تنصيرية تسعى إلى ردة المسلمين عن دينهم ، وذلك بإرسال الإرساليات إلى العالم الإسلامي ، واستغلال المسلمين الموجودين في الغرب للتأثير عليهم من خلال الحوار .

خامسا : إن أغلب محاولات التشكيك الموجهة إلى الإسلام كانت ومازالت عن طريق أهل الكتاب .

وانطلاقاً من هذه الأسباب ، قررت أن أدرس الحوار مع أهل الكتاب دراسة شرعية، مبيناً فيه الحوار الذي تقره الشريعة الإسلامية ، والذي استوفى الشروط اللازمة له من صحة الأهداف وصلاحية المحاور ، إضافة إلى الالتزام بآداب ومناهج الحوار والجدل كما وُضعت أصوله في الكتاب والسنة ، والذي يقره أيضاً العقل الصحيح .

ولم أجد من خلال بحثي – قبل اختيار الموضوع – أي بحث توسع في معالجة هذه القضايا مجتمعة قديما ولاحديثا حسب علمي واطلاعي.وقد تأكد لي ذلك خلال فترة البحث ، نعم قد يوجد كلام متفرق لهذه القضايا ، أو بحث يعالج قضية منها على حده، فبعض هذه القضايا بُحثت كخصائص الإسلام ، والبعض الأخر بُحثت إلا أنه لم يخص أهل الكتاب ، وإنما بُحث بحثاً عاماً كالحرية في الإسلام ، وأدب الحوار ، ومناهج الحوار، والبعض الثالث لم أجد من بحثه باستيفاء كأهداف الحوار وشروط المتحاورين ، والعلم عند الله عز وجل .

وقد قدمت لمباحث الحوار مع أهل الكتاب بباب يتضمن فصلين هما :

الأول : خصائص الإسلام : وهذا أساس في الحوار لأنه المنطلق للمحاور المسلم في حواره ومن المعلوم فضل الإسلام ، وكماله ، وعلوه على سائر الأديان ، فمن هذا الاقتناع ينطلق المؤمن الداعية ليحاور الآخرين لدعوتهم إلى الحق الذي علمه.

الثاني : الحرية في الشريعة الإسلامية : وهذا أساس آخر في الحوار ، لأنه لاحوار بغير حرية . والشريعة الإسلامية فيها من الحرية الكافية لإقامة الحوار مع أهل الكتاب

وغيرهم ، فانطلاقاً من هذين الأساسين يحاور المؤمن أهل الكتاب وغيرهم لأهداف شتى تخدم الإسلام والمسلمين .

وقد جعلت باباً لأهداف الحوار وضحت في بدايته معنى الحوار والجدال والمصطلحات المتقاربة معهم ، وبدأت بالأهداف لأن الأمور بأهدافها ، والهدف يسبق الوسائل ، فقسمت الأهداف إلى قسمين : أهدافاً مشروعة ، وأهدافاً غير مشروعة .

وقد بحثت بعد ذلك أهداف النصارى من الحوار .

ثم تناولت في الباب الثالث أركان الحوار وهي :

١ ـ المحاور المسلم : والشروط التي يجب أن تتوافر فيه .

٢ ـ المحاور الكتابي : وهل يشترط له شروط معينة من قبلنا أم لا؟ ، وهل يمتنع عن الحوار معه في أحوال معينة ؟ وماهي إن وجدت ؟

٣ ـ موضوعات الحوار : وقد لخصت فيه أهم الموضوعات التي حاورهم فيها رب العالمين في كتابه العزيز ، والموضوعات التي حاورهم فيها نبيه عليه الصلاة والسلام. وعرض نماذج لبعض الحوارات بين المسلمين وأهل الكتاب لمعرفة مدى اقتدائهم بالكتاب والسنة ؟

وفي الباب الرابع بينت مناهج الجدل والحوار مع أهل الكتاب ، مستنبطة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية وعلماء السلف الصالح .

وأخيراً ختمت البحث بخاتمة موجزة بينت فيها أهم النتائج والمقترحات التي توصلت إليها.

أسأل الله العظيم أن ينفع به ، فما كان من صواب فمن الله وحده ، وماكان من خطأ فمن نفسي .

خالد بن عبد الله القاسم

ص . ب: ٤٢٠٠٥

الرياض ١١٥٤١

الباب الأول

ماقبل الحوار

الفصل الأول : خصائص الإسلام .

الفصل الثاني : الحرية في الشريعة الإسلامية .

الفصل الأول

خصائص الإسلام

مقدمة

يتميز الإسلام على سائر الأديان القائمة اليوم ، لاسيما اليهودية والنصرانية – وهما مجال بحثنا – بخصائص عديدة ، ولاأقصد بهذين الدينيين ماأُنزل على موسى وعيسى عليهما السلام ، وإنما أقصد الديانتين المحرفتين ، كما يعتنقهما أهل الكتاب الذين نتحاور معهم في عصرنا الحاضر .

والغرض من ذكر هذه الخصائص : ذكر مزايا الإسلام ، وفضله ، وعلوه على باقي الأديان بوجه عام ، وعلى اليهودية والنصرانية بوجه خاص ، وهذا وحده إذا أثبته المحاور فإن فيه أكبر عون على إقناع الناس وتسليم الخصم ، وهذه الخصائص سأذكرها بالأدلة الكافية للمنصف ، فضلاً عن المؤمن ، لأن غرضي إثبات هذه الخصائص وإعلامهاللمحاورالمؤمن أولاً ، ثم إثباتها لخصمه ماستطاع إلى ذلك سبيلاً .

ولاشك أن الوقوف على خصائص الإسلام ومحاسنه يعين الداعية بوجه عام لاسيما عندما يقف موقف الحوار ، يقول عبد الرحمن السعدي[1] : (إن محاسن دين الإسلام ومحاسن النبي ﷺ وآياته وبراهينه فيها كفاية تامة للدعوة ، بقطع النظر عن إبطال شبهتهم ومايحتجون به ، فإن الحق إذا اتضح عُلم أن كل ما خالفه فهو باطل ضلال[2]) ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾[3] . كما أن محاسن الإسلام جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً بقناعة كاملة من غير إكراه أو ضغوط وخاصة من النصارى فقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العيش مع أداء عبادتهم بحرية تامة كما سيأتي .

وخصائص الإسلام ومزاياه يعرف منها كل باحث للإسلام بحسب دراسته . بل وتستبين لغير المسلمين أحياناً ، فتؤثر فيهم ، وتقنع بعضهم باعتناق الإسلام ، يقول محمد

---

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من علماء الحنابلة مفسر وفقيه ولد بعنيزة ومات بها عام ١٣٧٦هـ له كتاب تيسير كلام المنان في تفسير القرآن وكتب أخرى (الزركلي : خير الدين ، الإعلام ٣/٣٤٠ دار العلم للملايين بيروت . الطبعة السادسة ١٩٨٤م) .

(٢) السعدي : عبد الرحمن ، القواعد الحسان لتفسير القرآن ٢٩ مكتبة المعارف – الرياض ١٤٠٢هـ .

(٣) يونس ٣٢ .

أسد[1] معللاً دخوله في الإسلام : (ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على مايبدو لي بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صُنعت ليتمم بعضها بعضاً ، ويشد بعضها بعضا ، فليس هناك شئ لاحاجة إليه ، وليس هنالك نقص في شئ ، فنتج عن ذلك ائتلاف متزن مرصوص . ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضُعت مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي)[2].

وفيما يلي بعض هذه الخصائص ، كما وردت في الكتاب والسنة وكما بينها العلماء المسلمون وشهد بها المنصفون .

---

(١) مستشرق نمساوي معاصر أسلم بعد دراسة للإسلام وألف كتابه المشهور (الإسلام على مفترق الطرق)، بين فيه عظمة الإسلام وزيف الحضارة الغربية توفي في شعبان ١٤١٢هـ .

(٢) أسد : محمد ، الإسلام على مفترق الطرق ١٥ نقله إلى العربية د. عمر فروخ . دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السادسة ١٩٦٥م لفظه [له] في قوله « هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي » ليست موجودة في النسخة المترجمة ولكنها ضرورية لسياق الكلام .

أولاً : حفظ الإسلام بحفظ مصدريه القرآن والسنة

إن الإسلام دين محفوظ ، لم تدخله تحريفات البشر ، ولم يدخله شيء من أرائهم الناقصة ، وهو وحي من الله مدون في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أما غيره من الأديان فقد حرفت وبدلت .

وهذه الشرائع الأرضية تتغير بين كل يوم وآخر ، وهذا الدين محفوظ ، فهو دين رباني من عند الله ، ثابت الأصول .

وقد أرسل الله الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، فإذا مات الرسول وحرفت الكتب واندرست معالمها أرسل الله رسلاً آخرين ، إما لتجديد مااندرس من الشريعة السابقة ، أو لنسخ بعضها ، أو لنسخها جميعاً .فقد أرسل الله موسى بالتوراة ، وأرسل بعده أنبياء بني إسرائيل ليجددوا شريعة موسى ويحكموا بالتوراة ، كداود ، وسليمان ، ويحي ، وزكريا ، عليهم السلام ، ثم بعث الله عيسى عليه السلام بالإنجيل وأبقى التوراة مع نسخ بعضها كما قال تعالى عن عيسى : ﴿ **مصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حُرم عليكم** ﴾(١) ، ثم بعث الله محمداً ﷺ بالقرآن فنسخ جميع الشرائع السابقة، واقتضت حكمة الله تعالى حفظ القرآن الكريم لأنه لانبي بعد محمد ﷺ يصلح التحريف إذا وقع ، لذا تكفل الله بحفظ هذا الدين ، قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (٢) ، فكُتب القرآن فور نزوله ، واستظهره الصحابة ولم يمت النبي ﷺ إلا وهو مكتوب بكامله ، إضافة إلى أنه محفوظ في صدور عدد كبير من الصحابة، وزيادة في التوثيق وخشية من موت القراء في حروب الردة جمع الصديق القرآن وجمع الصحف التي كتبت في عهد النبي ﷺ ، ثم نسخت منها نسخ متعددة في عهد عثمان رضي الله عنه . والقرآن منقول بالتواتر يتلوه المسلمون في صلواتهم ، ويختمونه جهراً في رمضان ، ولم تختلف لفظة من ألفاظه ، كيف ! وقد تكفل الله بحفظه .

قال يحى بن أكثم (٣) : إنه كان للمأمون مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب طيب الرائحة ، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، فلما أن تقوض

---

(١) آل عمران ٥٠ (٢) الحجر ٩

(٣) هو يحى بن أكثم بن محمد ، كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام تولى القضاء وكان من أدهى الناس وأذكاهم صاحب الخلفاء توفى سنة ٢٤٢هـ أبي يعلى : أبي الحسين محمد بن أبي يعلى طبقات الحنابلة ١ / ٤١٠ دار المعرفة بيروت (د٠ت).

المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال : نعم ! قال له : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده . فقال : ديني ودين آبائي ! وانصرف . فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له : بلى . قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت مع ماتراني حسن الخط ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيع [1] فاشتُريت مني، وعمدت إلى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيع فاشتُريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها ولم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي . قال يحى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عينية فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عز وجل ، قال : قلت في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿ **بما استُحفظوا من كتاب الله**﴾ [2] فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال عز وجل: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [3] فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع [4].

أما السنة النبوية فقد روى الصحابة عشرات الآلاف من الأحاديث عن النبي ﷺ ، ورواها عنهم من بعدهم ، ووصلت بالسند إلى العلماء في القرن الثالث تقريباً كالإمام الشافعي ، وأحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وغيرهم ، فدونوا هذه الأحاديث بأسانيدها إلى النبي ﷺ ، واهتموا بتصحيح تلك الروايات ، ودراسة سند كل رواية لمعرفة المحفوظ منها والمردود ، ووضعت المؤلفات العديدة في علوم مصطلح الحديث ومعرفة حال الرجال حتى سمي علم الجرح والتعديل ، وأُلفت فيه المجلدات الضخمة ، كما اهتموا بدراسة متون هذه الأحاديث ودراسة معانيها . أما كتابتها فلم تكتب في وقت النبي ﷺ إلا أحاديث يسيرة كما قال أبو هريرة: « ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخاري [5] ، والسبب في عدم كتابة الأحاديث في عهد النبي ﷺ عدة أمور : –

---

(١) هكذا في القرطبي ولعلها مقلوبة أى بيعت التوراة في البيع والأناجيل في الكنسية .

(٢) المائدة ٤٤ . (٣) الحجر ٩ .

(٤) القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٥ – ٦ دارالكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧ م .

(٥) البخاري : محمد بن إسماعيل ، الصحيح ١ / ٣٦ المكتبة الإسلامية تركيا – ١٩٨١م ، موافقة لطبعة استانبول ١٣١٥هـ .

أولا : أنه يغلب على العرب ـ في ذلك الوقت ـ الحفظ على الكتابة ، وذلك لقوة ذاكرتهم ولكونهم أمة أمية .

ثانيا : أن النبي ﷺ نهاهم عن كتابة غير القرآن ، كما روى أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **لاتكتبوا عني شيئاً غير القرآن ، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه** » رواه مسلم [1] ، والحكمة من هذا النهي ذكرها السمعاني بقوله (إن كراهة كتابة الأحاديث إنما كانت في الابتداء كيلا تختلط بكتاب الله ، فلما وقع الأمن عن الاختلاط جاز كتابته) [2] .

والاهتمام بنقل الروايات عن النبي ﷺ وعن أصحابه والتابعين من خصائص هذه الأمة، فلم تكن الأمم السابقة عندها هذا التوثيق في الكتب السماوية نفسها فضلاً عن المرويات ، قال أبو حاتم الرازي [3] : (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أئمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة ، فقال رجل : يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له ، فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم) [4] ، ويذكر ابن تيمية أن اليهود والنصارى لا إسناد لهم فيما يروونه، وإنما الإسناد من خصائص هذه الأمة [5] .

تحريف العهدين القديم والجديد : –

إذا التفتنا إلى آخر الأمم قبلنا وهم اليهود والنصارى فإننا لانجد التوثيق في كتبهم ، بل نجد ظهورالتحريف جليًا وسأعرض باختصار عدة ملاحظات في هذه الكتب وهي:

أولاً : إن هذه الكتب ليست وحياً من الله للأنبياء [6] ، بل كتبت بعد ذلك ، قال الدكتور سكندركيدس – وهو من فضلاء المسيحية المعتمدين – : (ثبت لي بظهور

(١) مسلم : مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح : ٨/ ٢٢٩. الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت (د.ت) .

(٢) السمعاني : عبد الكريم بن محمد التميمي ، أدب الإملاء والاستملاء ١٤٦ . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨٠م .

(٣) هو محمد بن أدريس بن المنذر الرازي ، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات الحاذقين بعلل الحديث والجرح والتعديل ت ٢٧٧ هـ [ابن كثير : إسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية ١١ / ٥٩ – مكتبة المعارف – بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م] .

(٤) آل معمر : عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ٦٦ نشر دار ثقيف للنشر والتأليف الطائف الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ –١٩٨٠ م .

(٥) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، منهاج السنة النبوية ٣٧/٧ تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

(٦) أي الكتب التي بأيديهم الآن ، أما الكتب المنزلة على أنبيائهم التوراة والإنجيل فهي لاشك أنها وحي من الله .

الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً :

الأول : أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى .

الثاني : أنها كتبت في كنعان أو أورشليم ، يعني ماكتبت في عهد موسى ، الذي كان بنو إسرائيل فيه في الصحارى .

الثالث : لايثبت تأليفها قبل سلطنة داوود ولابعد زمان حزقيل ، بل انسب تأليفها إلى سليمان عليه السلام ، يعني قبل ألف سنة من ميلاد المسيح ، بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى » (١) . وأما الأناجيل فلايدعي أحد أنها كتبت في عهد عيسى ، بل إن تعددها دليل واضح على أنها ليست وحياً من عند الله .

ثانيا : ماذكره الشيخ رحمت الله الهندي (٢) ، من أن أهل الكتاب لايوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد (٣) .

ثالثا : عدم معرفة المترجم ، يقول الشيخ رحمت الله الهندي « إن قدماء المسيحية كافة والكثيرين من المتأخرين على أن إنجيل متى كان باللسان العبراني ، وفقد بسبب تحريف الكتب المسيحية، والموجود الآن ترجمته ، ولايوجد عندهم إسناد هذه الترجمة،حتى لايعلم اسم المترجم أيضا إلى هذا الحين،كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم، فضلا عن علم أحوال المترجم » (٤) وهذا وحده كاف للطعن في صحة الأناجيل الموجودة.

رابعاً : أنه وقع التصريح من بعض علماء أهل الكتاب بتحريف كتبهم بزيادة أو نقصان ، وهذا اعتراف على وقوع التحريف ، يقول وارد الكاثوليك : (صرح جيروم في كتبه ان بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس، وبعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات من الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل لوقا ، وبعض القدماء كانوا يشكون في الإصحاحين الأولين

---

(١) الهندي : رحمت الله ، إظهار الحق ١ : ١٠٩ تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا .دار التراث العربي للطباعة والنشر ، مصر الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

(٢) هو محمد رحمت الله بن خليل الهندي ولد ١٢٣٣هـ ، اشترك في الثورة ضد الأنجليز وبعد أن فشلت الثورة طرد عن الهند فذهب وانتقل واستقر بمكة ودرس بالمسجد الحرام ، اشتهر بردوده على المنصرين وبمناظرته المشهورة مع القس فندر وله كتاب إظهار الحق توفي بمكه ١٣٠٨ هـ [مقدمة إظهار الحق].

(٣) الهندي : رحمت الله ، إظهار الحق ١ / ١٢٤ .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٢٤ .

من هذا الإنجيـل) [1] .

وقـال هورن : (الحالات التي وصلت إلينا فـي باب زمان تأليف الأناجـيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة ، ولاتوصلنا إلى أمـر معين ، ومشايخ القدماء الأولون صدّقوا الروايات الـواهية وكتبوها ، وقَبِل الذين جاءوا من بعدهم كتاباتهم تـعظيماً لهم ، وهذه الروايات الصـادقـة والكاذبة وصلت من كـاتب إلى كـاتب آخر تعـذر تنقيحها بعد انقضاء المدة) [2] .

خامساً : الأغلاط الموجـودة في التوراة والإنجيل : وقد ذكر رحـمت الله الهندي سبـعة وثلاثين غلطاً في التوراة ، وثلاثة وسـبعين غلطاً في الإنجيل [3] ، ومن أمثلة الأغلاط في التوراة مـاورد في سفر الخـروج الإصحاح الـثاني عشـر الفقرة أربعـون (إن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة) ، وهذا غلط لأن هذه المدة مائتان وخمس عشرة سنة ، وقد أقر مفسروهم ومؤرخوهم أنه غلط [4] .

ومن أغلاط الإنجيل ماورد في يوحنا الإصحاح الثالث الفقرة ثلاثة عشر « ليس أحد صعـد إلى السماء إلا الذي نزل من السـماء ابن الله الذي في السـماء » ، وهذا غلط لأن أخنوخ وإيلياء عليهم الـسلام رفعا إلى السماء وصعدا إليها كمـا ورد في العهد القديم ، والله عز وجل لايأتي منه الخطأ أو النقص .

سادساً : يوجـد في الكتب الســابقـة التناقـضات التي يـستـحيل التـوفيق بينـها ، وذكـر رحـمـت الله الهندي خـمســة وأربعـين تناقـضاً في التـوراة ، وتسـعـة وسبـعين في الإنجيل [5] ، ومن تناقضـات العهد العـتيق أن الزمان منذ خـلق آدم إلى زمن الطوفان باعتـبار العبرانيـة ١٦٥٦سنة ، واليونانية ٢٢٦٢ سنة ، والسـامرية ١٣٠٧ سنة [6]، وذكر ليكر ستون اختلافاً في كتب العهد العتيق [7] .

ومن تناقضات الإنجيل التناقض في نسب المسيح فيعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ، ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود [8] .

ونكتـفي بهــذا وصـدق الله إذ يقـول : ﴿ **ولوكان من عند غير الله لوجدوا فـيه**

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ١ / ١٧٢ ، ٢٢١.

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٧٢ ، ٢٢١ .

(٥) المرجع السابق ١ / ١٣٣-١٧١ .

(٦) المرجع السابق ٢ / ١٠٣ .

(٧) المرجع السابق ٢ / ١٠٣ .

(٨) المرجع السابق ١ / ١٤٣ .

اختلافاً كثيرا ﴾ (١) ، ولو كان هذا من عند الله لما وُجد فيه هذه الاختلافات وإنما هذا من صنع البشر .

سابعاً : وهو أهم الملاحظات وآكدها ماذكره الله عنهم في القرآن الكريم ، فذكر الله سبحانه تحريفهم لكتبهم ، يقول تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا**﴾ (٢) ، ويقول تعالى: ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون** ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب** ﴾ (٥) ، ويقول تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾ (٦) ، وهذه الآية جاءت في سياق ذم أهل الكتاب .

فأخبر الله أنهم يلبسون الحق بالباطل ، وأنهم يكتمون الحق ، وأنهم يكتبون من عندهم وينسبونه إلى الله . فجمعوا بين التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

ولايشك باحث بتحريف الكتب السابقة ، يقول موريس بوكاي (٧) : (إن العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية ، أنتجت على مدى تسعة قرون تقريباً ، وهو يشكل مجموعة متنافرة جداً من النصوص عدل البشر من عناصرها عبرالسنين ، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل ، بحيث إن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جداً في بعض الأحيان) (٨) .

ويقول عن الأناجيل (نفس الأمر بالنسبة للإنجيل ، فخيالات متى ، والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل ، والأمور غير المعقولة ، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات المتوالية للنصوص ، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على إصحاحات

---

(١) النساء ٨٢ .
(٢) النساء ٤٦ .
(٣) البقرة ٥٧
(٤) آل عمران ٧٥ .
(٥) آل عمران ٧٨ .
(٦) البقرة ٧٩ .

(٧) هو موريس بوكاي طبيب فرنسي معاصر أسلم بعد دراسة مقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن مع معطيات العلم الحديث ، له كتابه المشهور التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث .

(٨) بوكاي : موريس ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٨٤ دار المعارف مصر . (د.ت) .

وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده) [1] .

وختاما لهذه الخاصية ننقل كلام الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - حيث يقول : (ويستطيع الإنسان أن يقول - وهو مطمئن - إن التصور الإسلامي هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله « الرباني» وحقيقته « الربانية » ، فالتصورات الاعتقادية السماوية التي جاءت بها الديانات قبله ، قد دخلها التحريف في صورة من الصور- كما رأينا ـ وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزله ، شروح وتصورات وتأويلات وزيادات، ومعلومات بشرية ، أُدمجت في صلبها ، فُبدلت طبيعتها الربانية وبقي الإسلام - وحده - محفوظ الأصل ، لم يشب نبعه الأصيل كدر ، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق وعد الله في شأنه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [2] ، وهذه هي الحقيقة المسلمة ، التي تجعل لهذا التصور قيمته الفريدة) [3] .

---

(١) المرجع السابق ١٣١ . (٢) الحجر ٩ .

(٣) قطب: سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص٤٣، دار الشروق- بيروت الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ وأفضل أن يستبدل كلمة تصور بلفظ أوضح كعقيدة لأن التصور يوهم بأنه تخيلات في الذهن .

ثانياً : الشمول

ونعني بالشمول أمرين :

الأول : إعطاء تصور كامل واعتقاد شامل لكل مافي مصلحة الإنسان معرفته سواء عن الذات الإلهية ، أو عن الكون ، أو عن الإنسان ، أو ما بعد الموت .

الثاني : أن يشمل الدين جميع جوانب الحياة العلمية والعملية . ويوجه الإنسان الوجهة المناسبة في أمور حياته وآخرته .

وخاصية الشمول ميزة في الدين الإسلامي لاتوجد في غيره من الأديان ، ولو ألقينا النظر إلى الأديان والمذاهب القائمة اليوم لم نجد أياً منها ديناً شاملاً ، فالبعض يهتم بالجانب الروحي فقط دون تدخل في أمور الحياة ، كما هو الحال في دين النصارى اليوم، أو نجد الاهتمام بالجانب السياسي فقط ، أو الاقتصادي ، أو بعض هذه الجوانب دون البعض الآخر كما هو الحال في بعض المذاهب السياسية والفلسفات البشرية . فكل دين أو مذهب عدا الإسلام محتاج لتكميل النقص الموجود فيه ، أو الطارئ عليه . أما الإسلام فقد اهتم بما يشمل جميع جوانب الحياة البشرية ، ومن ثم جاء كاملاً تماماً كما قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [1] ، ورد في تفسير هذه الآية : أن اليهود قالت لعمر – رضي الله عنه – : إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً . فقال عمر : إني لأعلم حيث أنزلت ، وأين أنزلت ، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت يوم عرفة وإنا والله بعرفة » [2] ولقد شعرت اليهود بأهمية الكمال لما أدركوه من نقص عندهم ، ويقول تعالى مبيناً هذا الكمال : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [3] .

قال الشافعي عن هذه الآية : فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها [4] . والدلالة هنا ـ كما قال القرطبي ـ إما دلالة مبينة مشروحة ، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو

---

(١) المائدة ٣ .

(٢) البخاري : الصحيح ٥ / ١٨٦ .

(٣) النحل ٨٩ .

(٤) الشافعي : محمد بن دريس ، الرسالة ٢٠ تحقيق أحمد محمد شاكر المكتبة العلمية – بيروت (د.ت) .

من الإجماع ، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب) [1] .

ويقول تعالى : ﴿**أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**﴾[2] ويقول تعالى : ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [3] قال القرطبي : ﴿ **وتفصيل كل شيء** ﴾ مما يحتاج العباد إليه من الحلال والحرام والشرائع والأحكام [4] .

ومن تدبر القرآن والسنة اتضحت له خاصية الشمول في هذا الدين ، وعلم أنه الدين الحق ، وأنه من عند الله ، وذلك لأن الشمول لايأتي من الإنسان المحدود في زمان ومكان ، كما أنه محدود العلم والتجربة والإدراك ، كما أن فيه مع ذلك الضعف والميل والهوى والجهل ، لأن الإنسان – وهذه ظروفه – حينما يفكر في إنشاء تصور اعتقادي من ذات نفسه ، أو في إنشاء منهج للحياة الواقعية من ذات نفسه كذلك ، يجيء تفكيره محكوماً بهذه السمة التي تحكم كينونته كلها ... يجيء تفكيره جزئياً.. يصلح لزمان ولايصلح لآخر.ويصلح لمكان ولايصلح لآخر..ويصلح لحال ولايصلح لآخر ، ويصلح لمستوى ولايصلح لآخر... فوق أنه لايتناول الأمر الواحد من جميع زواياه وأطرافه ، وجميع ملابساته وأطواره ، وجميع مقوماته وأسبابه) [5] .

إن التصور الإسلامي هو – وحده – الذي يملك أن يقدم لنا التفسير المفهوم لكل هذه الموافقات في تصميم الكون ، وهو الذي يملك أن يقدم لنا تفسيراً نواجه به كل علامة استفهام عن وجود هذا الكون ابتداء ، وعن كل انبثاقة تقع فيه [6] ، إنه يتناول بالتفسير كل الحقائق التي تواجه النفس البشرية في الكون كله . ويتناول بالتوجيه كل جوانب النشاط الإنساني . ففي الإسلام – وحده– يملك أن يعيش لدنياه وهو يعيش لآخرته ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه ، وأن يحقق كماله الإنساني الذي يطلبه الدين ، في مزاولة نشاطه اليومي في خلافة الأرض ، وفي تدبير أمر الرزق . ولايتطلب

---

(١) القرطبي : الجامع الأحكام القرآن ٦/٤٢٠ .

(٢) الأنعام ١١٤ .

(٣) يوسف ١١١.

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢٧٧ .

(٥) قطب : سيد ، خصائص التصور الإسلامي ٩١ كلمة واقعية تستخدم أحياناً بمعنى مسايرة الواقع حيثما كان، ومعلوم أن قصد المؤلف ليس هذا وإنما أراد أنه دين عملي صالح للتطبيق .

(٦) قطب : سيد ، خصائص التصور الإسلامي٩٣ .

منه هذا إلا أمراً واحداً : أن يخلص العبودية لله في الشعائر التعبدية ، وفي الحركة العملية على السواء [1] .

ومن الصعب أو المستحيل سرد جميع الآيات والأحاديث للتدليل على خاصية الشمول وإنما سنذكر أمثله على شمول الدين من جانبيه العقدي والتشريعي [2] .

أما الجانب العقدي فهناك صور شتى :

أولاً : رد الوجود كله بشأنه ابتداء وحركته بعد نشأته وكل انبثاقة فيه ، وكل تحور وكل تغير وكل تطور والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه ... إلى إرادة الذات الإلهية الأزلية الأبدية المطلقة [3] التي لها صفات الكمال المطلقة التي امتلأ بها القرآن الكريم ، ونلاحظها في نهاية أكثر الآيات ومن ذلك : ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ [4] ﴿ **وأن الله سميع بصير** ﴾ [5] ﴿ **وكان الله غفوراً رحيما** ﴾ [6] ﴿ **إن الله عزيز حكيم** ﴾ [7] ﴿ **والله عزيز ذو انتقام** ﴾ [8] ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [9] والآيات في ذلك كثيرة ، فبالإضافة إلى وصف الله بصفات الكمال وبالأسماء الحسنى فإن تنزيه الله عن صفات النقص ورد في آيات عديدة في القرآن الكريم كما نفى الله مشابهة خلقه به كما قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ [10] ، وقال تعالى : ﴿ **فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا** ﴾ [11] وقال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ [12] وقال سبحانه وتعالى في ذم

---

(1) المرجع السابق ١٠٨ – ١٠٩ .

(2) هذا التقسيم عقيدة وشريعة إنما غرضه التوضيح وإلا فالعقيدة الإسلامية مترتب عليها العمل فالإسلام كل لايتجزا.

(3) قطب : سيد ، خصائص التصور الإسلامي ٩٢ .

(4) البقرة ٢٥٦ .

(5) الحج ٦١ .

(6) النساء ٩٦ ، ١٠٠ الأحزاب ٥٩ ، ٧٣ .

(7) البقرة ٢٠٩ .

(8) آل عمران ٤ .

(9) الحشر ٢٢-٢٤ .

(10) الشورى ١١ .

(11) مريم ٦٥ .

(12) الإخلاص ١ – ٤ .

اليهود ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **الله لاإله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم** ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ [4] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ثانياً : تعطيك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تصوراً كاملاً عن بدء الخلق للكائنات ، والحكمة من خلق الله لها بتفصيل دقيق مثل قوله تعالى : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ [5] وكذا قوله تعالى عن الملائكة : ﴿ **لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾ [6] وأخبر النبي ﷺ عن خلقهم بأنهم خُلقوا من نور [7] وخُلق الجن من نار كما قال تعالى : ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [8] وأخبر عن صفات الملائكة والجن في آيات عديدة يطول سردها ، كما أنه يعرّف الناس بطبيعة الكون الذي يعيشون فيه وخصائصه وارتباطه بخالقه ودلالته على خالقه واستعداده لنشأة الحياة فيه والأحياء وتسخيره لهم بإذن الله ......الخ في أسلوب مفهوم للفطرة ،مفهوم للعقل [9] والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوالله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ [10] وقال عمر – رضي الله عنه – : قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار

---

(١) آل عمران ١٨١ .
(٢) ق ٣٨ .
(٣) البقرة ٢٥٥ .
(٤) المائدة ٦٤ .
(٥) فصلت ٩-١٢ .
(٦) التحريم ٦ .
(٧) مسلم ٨ /٢٢٦ .
(٨) الحجر ٢٧ .
(٩) قطب : سيد : خصائص التصور الإسلامي ١٠٠.
(١٠) البقرة ٢٢.

منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه» رواه البخاري [1] . وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً كاملاً سماه بدء الخلق [2] .

ثالثاً : يخبر الله في الكتاب المجيد عن الإنسان وصفاته ومايتعلق به ، يقول سيد قطب : يحدثهم عن الإنسان حديثاً مستفيضاً يتناول مصدره ومنشأه ، وطبيعته وخصائصه، ومركزه في هذا الوجود ، وغاية وجوده وعبوديته لربه ومقتضيات هذه العبودية. ثم نواحي ضعفه وقوته ، وواجباته وتكاليفه . وكل صغيرة وكبيرة تتعلق بحياته في هذه الأرض ، وماله في العالم الآخر [3] والنصوص في ذلك كثيرة نكتفي ببعض منها كقوله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاماً . فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾ [4] ويقول تعالى: ﴿ **وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ [5] ويقول تعالى:﴿ **ويدعُ الإنسان بالشر دعاءَه بالخير، وكان الإنسان عجولا** ﴾[6]، ويقول تعالى:﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**﴾ [7] ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها** ﴾ [8] ، فما من صغيرة ولاكبيرة في النفس الإنسانية من صفات ، إلا أشار إليها القرآن الكريم .

وفي النهاية فالتصور الإسلامي لايكتفي بإعطاء تصور عن حقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها ، وعن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها ، وحقيقة الإنسان وطبيعته وخلقه ، بل إنه يربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبها في تصور واحد منطقي فطري ، يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه ، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة ، وهكذا تتكون من مجموعة الحقائق التي يتناولها هذا التصور في شمول وسعة ودقة وتفصيل صورة كاملة شاملة ، وتفسير جامع مفصل ، لايحتاج إلى إضافة مصدر آخر . بل لايقبل إضافة من مصدر آخر ، لأنه أوسع وأشمل ، وأدق وأعمق ، وأكثر تناسقاً وتكاملاً من كل مصدر آخر [9] .

---

(١) البخاري ٤ / ٧٣ .
(٢) المرجع السابق ٤/٧٢ -١٠١ .
(٣) قطب : سيد /خصائص التصور الإسلامي ١٠٠ .
(٤) المؤمنون ١٢ - ١٦ .
(٥) الكهف ٥٤ .
(٦) الإسراء ١١ .
(٧) العلق ٦ - ٧ .
(٨) الشمس ٧ - ١٠ .
(٩) قطب : سيد ، خصائص التصور الإسلامي ٩٦ - ٩٧ .

هذا من الجانب العقدي ، أما الجانب التشريعي فصور شموله كثيرة منها :

أولاً : إن الشريعة الإسلامية وضعت لمصالح العباد عاجلاً وآجلاً ، وقد شملت مقاصد الشريعة جميع مصالح العباد ، وهذه المقاصد تنقسم ثلاثة أقسام :

١ - الضروريات والتي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، وأصلها راجع إلى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

٢ - الحاجيات وهي التي يحتاج العباد إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقه .

٣ - التحسينيات وهي الأخذ بمحاسن العادات وتجنب ماتأنفه العقول (١) .

وقد ملئت كتب الفقه بالأحكام التي تلبي هذه الأقسام الثلاثة وليس هذا موضع بسطها.

ثانياً : تتناول الشريعة جانب الشعائر التعبدية مثل الصلاة والصيام والحج والأذكار ، وتبينها أتم بيان ، مع بيان الحكمة منها ، كما قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ (٣) ،

ويقول تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ (٤) ، ويوجه تلك العبادات لله وحده دون سواه .

ثالثاً : تتناول الجانب الاقتصادي وتضع منهجاً اقتصادياً شاملاً لايحتاج معه إلى غيره وله صور شتى :

١ - أنه يدعو إلى العمل ونبذ الكسل قال تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ (٥) وقال عليه الصلاة والسلام : «**لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**» رواه

---

(١) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة ١/٨ -٢٢ دار المعرفة بيروت (د.ت) .

(٢) البقرة ٤٥ .

(٣) البقرة ١٨٣ .

(٤) الرعد ٢٨ .

(٥) الجمعة ٩ .

البخاري [1] .

٢ - أنه يحرم بعض أنواع التعاملات التي لاتفيد الأمة بل تضرها ولاتعود عليها بالنفع أو تسبب العداوة والبغضاء بين الناس ، كالربا والغش والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل ، والآيات الدالة على ذلك عديدة كقوله تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ **ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾[3] وغيرها من الآيات بل إنه يجعل شروطاً للبيع لتحقيق العدالة ومنع الظلم وهذا كله مستوفى في كتب الفقه بأتم البيان وأوضح التفصيل .

٣ - أنه شرع الزكاة والإنفاق على الفقراء والمحتاجين ، وجعل الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة أوجبها على الأغنياء وحبب إليهم التنفل والصدقات يقول تعالى: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ [4] ، ويقول تعالى : ﴿ **وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ [5] ، ويقول تعالى واصفاً المؤمنين : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا** ﴾ [6] .

كما أنه ذم البخل والشح ، يقول تعالى : ﴿ **ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه** ﴾ [7].

ويقول تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [8] .

٤ - أنه نهى عن الإسراف والتبذير ، ودعا إلى الاقتصاد من غير بخل ولا إسراف ، كما قال تعالى : ﴿ **ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ [9] .

بل وجعل المسرفين إخوان الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ **ولاتبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** ﴾ [10] .

---

(١) البخاري ٢ / ١٣٢ .

(٢) البقرة ٢٧٥ .

(٣) البقرة ١٨٨ .

(٤) البقرة ٤٣ .

(٥) البقرة ١١٠ .

(٦) الإنسان ٨ .

(٧) محمد ٣٨ .

(٨) الحشر ٩ ، التغابن ١٦ .

(٩) الإسراء ٢٩ .

(١٠) الإسراء ٢٦-٢٧ .

رابعا : يتناول التشريع الإسلامي الجانب الأسري فيفصل أحكام النكاح ، ويضع شروطاً لعقد النكاح ، ويحدد الواجبات بين الزوجين ، ويضع الحلول للمشاكل التي تنجم بينهما ، ثم يشرع الطلاق في حالة عدم الوفاق ، كما أنه يأمر ببر الوالدين ، وتربية الأبناء ، ويضع واجبات الآباء والأبناء ، ويأمر بصلة الأرحام ، ويضع نظاماًمتقناً للإرث، ويفصله أتم تفصيل ، والآيات والأحاديث كثيرة جداً منها : قوله تعالى : ﴿**فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربا ع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ [١] ، ويقول عليه الصلاة والسلام: « **تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** » رواه أبوداود[٢] ، ويقول تعالى:﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا** ﴾ [٣] .

ويقول تعالى : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ [٤] ويقول تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما ، أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً** ﴾[٥] ويقول ﷺ « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » رواه أحمد وأبو داود [٦] ويقول تعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ [٧] ويقول تعالى : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ [٨]. ويقول تعالى : ﴿ **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد** ...الآية ﴾ [٩]. ولقد أخذ هذا الجانب حيزاً كبيراً في الفقه الإسلامي ، وألفت فيه المصنفات المستقلة.

---

(١) النساء ٣ .

(٢) أبو داود : سليمان السجتاني السنن ٥٤٢/٢ نشر محمد على السيد ، حمص الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م وصححه الألباني : ناصر الدين ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ١٩٥/٦ نشر المكتب الإسلامي.بيروت .

(٣) النساء ١٩ .
(٤) النساء ٣٥ .

(٥) الإسراء ٢٣ .

(٦) بن حنبل / أحمد بن محمد المسند ١٨٠/٢ دار الفكر العربي ، أبو داود ٣٣٢/١ - ٣٣٣ .

(٧) محمد ٢٢ .
(٨) النساء ١١ .

(٩) النساء ١٢ .

خامساً : يتناول التشريع الإسلامي الجانب السياسي ، ويبين واجبات الحاكم من رعاية الحقوق ، وأداء الأمانات ، وإقامة الحدود ، وحفظ نظام الدولة والدفاع عنها ، كما بين واجبات المحكوم من طاعة ولي الأمر والنصح له والقيام بالواجبات المطلوبة منه ، كما يبين علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول ، يقول تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعمّا يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيرا . ياأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ [1] .

ويقول تعالى : ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله**﴾ [2] ويقول ﷺ : « **لويُعطى الناس بدعاويهم لادعى قوم دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه** » رواه مسلم [3] ويقول ﷺ « الدين النصيحة » قلنا : لمن يارسول الله؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » رواه مسلم[4].

وحسبنا في ذلك أن رسول الله ﷺ أقام الدولة عملياً ووضع الأطر العامة لها ، وسار على دربه الخلفاء الراشدون ، وقد أخذ هذا الموضوع حيزاً في كتب الفقه سواء مايتعلق منها بالجهاد ، أو بالحدود والقصاص والديات ، أو بالقضاء ، كما ألفت لها المصنفات المستقلة كالسياسة الشرعية لابن تيمية ، والأحكام السلطانية للماوردي[5] وغيرهما.

سادساً : يتناول الأخلاق فيأمر بعون المحتاج ، وإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، كما أنه يدعو إلى الصدق وأداء الأمانة ، ويحرم الكذب والخيانة ، والآيات والأحاديث في هذا الجانب عديدة جداًمنها قوله تعالى:﴿ **إنما المؤمنون إخوة**

---

(١) النساء ٥٨ – ٥٩ .

(٢) المائدة ٣٨ .

(٣) مسلم ، ٥/ ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ١ / ٥٤ .

(٥) هو علي بن حبيب أبو الحسن الماوردي شيخ الشافعية وصاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين كان حليماً وقوراً أديباً تولى القضاء في بلدان كثيرة توفي سنة ٤٥٠هـ [ابن كثير : – إسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية١٢/ ٨٠ ، مكتبة المعارف – بيروت،الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤م] .

فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [1]، ويقول ﷺ: « **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه** » متفق عليه [2]، ويقول تعالى: ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ [3] وسُئل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير قال: « **تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » متفق عليه [4]، ويقول تعالى: ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [5] ويقول تعالى: ﴿ **إن الله لايحب الخائنين** ﴾ [6]، وجانب الأخلاق جانب واسع يصعب استيفاؤه وإنما مرادنا التدليل على اهتمام الإسلام به، ويكفي في ذلك قوله عليه السلام « **آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان** » متفق عليه [7].

سابعاً: إنه يدعو إلى العلم والتعلم، ويمدح العلماء، ويذم الجهل والجاهلين ويذم العلم الذي لاينفع صاحبه، وسيأتي بيانه بإذن الله [8].

وبعد فإن المنهج الإسلامي شامل يوجه الإنسان في جميع شؤونه، ولايجعله بحاجة إلى شريعة أخرى، يقول المودودي تحت عنوان (شمول الشريعة وإحاطتها بشعب الحياة) (وهذه الأحكام المتعلقة بالمعروف والمنكر شاملة لجميع شعب حياتنا من العبادات الدينية، وأعمال الأفراد، وسيرتهم، وأخلاقهم، وعادتهم، وأدبهم في الأكل والشرب والجلوس والقيام واللباس، والشئون العائلية، والصلات الجماعية، والقضايا المالية والاقتصادية والإدارية، وحقوق المواطنة وواجباتها والعدالة ومرافق الحكومة، وحالات السلم والحرب، والعلاقات بالأمم الأجنبية وما إليها، فما هناك شعبة من شعب الحياة ولاناحية من نواحيها إلا وقد تناولتها الشريعة) [9].

ويقول حسن البنا: (الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو

---

(١) الحجرات ١٠.
(٢) البخاري ١ / ٩، مسلم ١ / ٤٩.
(٣) النساء ٨٦.
(٤) البخاري ١ / ١٣، مسلم ١ /٤٧.
(٥) التوبة ١١٩.
(٦) الأنفال ٥٨.
(٧) البخاري ١/١٤، مسلم١/٥٦.
(٨) سيأتي بيانه تحت خاصية الإسلام دين فطري.
(٩) المودودي: أبو الأعلى، القانون الإسلامي ٢٣ مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م

علم وقضاء ، وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صالحة وعبادة) [1] .

ومن تأمل كتب الحديث والفقه وجد هذا الشمول وعلى سبيل المثال صحيح الإمام البخاري رحمه الله يحتوي على عشرات المواضيع ، ومن عناوين الكتاب مثلاً : العلم ، الطهارة ، الصلاة ، البيوع ، الجهاد ، بدء الخلق ، النكاح ، الأطعمة ، الطب ، اللباس ، الأدب ، الحدود . وتحت كل عنوان المئات من الأحاديث النبوية وبعض الآثار عن الصحابه والتابعين [2] .

وقد لاحظ شمول الشريعة بعض النصارى حيث يقول فارس الخوري بك – أحد وزراء سوريا المسيحين سابقاً – : (إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجئ الدهر بمثله ، والدين الذي جاء به أولى الأديان وأتمها وأكملها ، وأن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية) .

---

(١) البنا : حسن ، مجموعة رسائل حسن البنا ٧ توزيع دار القرآن الكريم – بيروت ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

(٢) آل بوطامي : أحمد بن حجر ، الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ١٨٢ ، مكتبة الثقافة الدوحة قطر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ .

ثالثاً : الوسطية

والمقصود بالوسطية هو عدم الإفراط والتفريط ، أي الاعتدال والتوازن ، فلا يطغى جانب على جانب ، بل يلبي الإسلام حاجات الروح والعقل والبدن بتوازن تام ، كما يهتم بشئون الدنيا والآخرة معاً ، وجامع ذلك أنه عدل لاغلو فيه ولاتقصير ، وعقائد الإسلام معتدلة لاإفراط ولاتفريط ، وكذا الشريعة الإسلامية تتسم بالوسطية فلا تشدد ومشقة ، ولاسهولة ونقص ، فهي وسط بين ذلك ، والوسط أفضل الأمور (١) ، ولقد مدح الله هذه الأمة بهذه الخاصية ، كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ (٢) ، وورد عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿**وكذلك جعلنكم أمة وسطا** ﴾ قال (عدلاً) رواه أحمد (٣) ، وفي الحديث الآخر « **خير الأمور أوسطها** » (٤) قال ابن كثير عن الآية السالفة : (والوسط ههنا الخيار والأجود) (٥) وقال القرطبي : (والوسط العدل أصل هذا إن أحمد الأشياء أوسطها) (٦) والدين الإسلامي وسط عدل ، وكما أنه اعتنى بالعمل للآخرة ، فإنه نظم الحياة الدنيا ، وأمر المؤمنين بالسعي في الأرض وعمارتها ، من غير أن يطغى ذلك عليهم فينسوا الآخرة بل حث على الاهتمام بأمور الدنيا والآخرة بتوازن تام ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها : -

قوله تعالى : ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا** ﴾ (٧) ﴿ **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** ﴾ (٨) ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا** ﴾ (٩) ، كما أن الإسلام شرع الشرائع المناسبة للروح والعقل والبدن ، ولم يجعل جانباً يطغى على جانب حتى لوكان ذلك الجانب هو الجانب الروحي .

---

(١) والوسطية في الإسلام ليست كالتي عند أرسطو ، وإنما معنى الوسط الاعتدال ، وليست بالضرورة أن كل فضيلة تكون بين رذيلتين كما قال [أرسطو طاليس : أرسطو ، الأخلاق ١٠١ ترجمة اسحاق بن حنين تحقيق عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت (د.ت)] .

(٢) البقرة١٤٣ .
(٣) ابن كثير ١/ ١٩١ .
(٤) القرطبي٢/١٥٤ .
(٥) ابن كثير ١/١٩٠ .
(٦) القرطبي٢/١٥٣ .
(٧) النساء ١٣٤ .
(٨) البقرة٢٠١/٢٠٢ .
(٩) القصص ٧٧ .

روى البخاري أن أبا الدرداء كان يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال له سلمان الفارسي «إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقاً ، فاعط كل ذي حق حقه» فأقره النبي ﷺ وقال « **صدق سلمان** » [1].

إن الدين الإسلامي متصف بالوسطية بين الأديان لاسيما أهل الكتاب ، قال ابن تيمية (إن شريعة التوراة يغلب عليها الشدة ، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين ، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا ، كما قال تعالى :﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ... الآية ﴾) [2] .

فديننا وسط في كل شيء ، أما العقائد فهو وسط فيها بين انحرافات المنحرفين لاإفراط ولاتفريط ، يقول ابن تيمية : (المسلمون وسط في التوحيد بين اليهود ، والنصارى ، فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يختص بها المخلوق كما قالوا : إنه بخيل ، وإنه فقير ، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب ، والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ، ويشبهون المخلوق بالخالق حيث قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، وإن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا المسيح ابن الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) [3] (وكذلك في النبوات فاليهود تقتل بعض الأنبياء ، وتستكبر على أتباعهم ، وتكذبهم وتتهمهم ، والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولارسول نبياً ورسولاً ، كما يقولون في الحواريين إنهم رسل ، بل يطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تطاع الأنبياء ، فالنصارى تصدق بالباطل ، واليهود تكذب بالحق [4] والمسلمون يصدقون بالحق ويردون الباطل فينزهون الله عن صفات المخلوقين ولايشبهونه بأحد ، كما أنهم لايرفعون أحداً من المخلوقين إلى درجة الإله .

كما أنهم يؤمنون بالرسل ويتبعونهم ويعطونهم قدرهم من غير غلو ولاتكذيب ، ولايوجبون غير طاعة الله ورسوله ، وأما العلماء فإنهم يوضحون الشريعة ويبينونها للناس من غير كتمان ولاإخفاء ولاتبديل .

---

(١) البخاري ٢ / ٢٤٣

(٢) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/٢٤٠ مطابع المجد التجارية (د.ت)

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ١٦٨/٥

(٤) المرجع السابق ٥ / ١٦٩ .

أما العبادات فدين الإسلام فرضها وسطاً من غير إفراط ولاتفريط ، وأمر بالعدل ، ففرض الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات ، بما يحقق التقرب إلى الله والردع عن المحرمات ، وبما يحقق الابتلاء للبشر ، ولم يجعلها شاقه عسيرة يستحيل الاستمرار عليها ، يقول العامري [١] : (إن أحق الأديان بطول البقاء ماوجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ، ليجد كل من ذوي الطبائع المختلفة مايصلح به حاله في معاده ومعاشه ، أو يستجمع له منه خير دنياه وآخرته) [٢] .

ويضرب مثالاً على ذلك فيقول : - (وكل من تأمل سنن هذه الأديان في إقامة هذه الشريعة واعتبر وصفها بحسب الكمية والكيفية ، علم أنه لاسنة فيها أحسن في مقتضى العقل من سنة أهل الإسلام ، أما من جهة الكمية فلأنه لم يطل فيمل كصوم الرهابين من النصارى والصديقيين من الثنوية وعبدة الأصنام ، ولم يقصر فيقل كصوم المجوس إذ ليس هو بصيام على الحقيقة ، أمامن جهة الكيفية فإنه لم يجعله كصوم النصارى والثنوية الذين يعتقدون معه تحريم اللحمان ويسلطون على أنفسهم النحول ، أو كصوم اليهود المتفرق في أيام السنة على صورة لايوجد لها نظام مستقر ، ولاتعرف أوقاتها إلا خصائص علمائها ، بل علق أمرها برؤية الهلال الظاهر للأعين ، وجعل شعارها تطهير النفوس عن جميع مايدنسها من الآثام ، وكفها عن اللذات الثلاث التي هي المأكل والمشرب والمنكح ، مع الاعتقاد بأنه وإن وجب الإمساك عنها فإنه ليس بمحرم عليه إذ هو مأمور به عند المرض والسفر ورخص له في الإفطار) [٣] .

ويقول ابن تيمية عن الوسط في العبادات (وكذلك في العبادات فالنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها مانزل الله بها من سلطان ، واليهود معرضون عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته) [٤] وكذا المنحرفون من هذه

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ولد بنيسابور ينتمي إلى مدرسة يعقوب بن إسحاق الكندي وكان تلميذاً للبلخي توفي بنيسابور ٣٨١هـ (العامري : أبو الحسن محمد بن يوسف ، الإعلام بمناقب الإسلام انظر المقدمة ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ) .

(٢) المرجع السابق ١٣٧ .

(٣) العامري : الاعلام بمناقب الإسلام ١٤٢ .

(٤) ابن تيمية . منهاج السنة النبوية ٥/١٧١ .

الأمة بعضهم قصر واتبع اليهود ، وبعضهم غلا وتشدد واتبع النصارى ، أما أهل الاستقامة من هذه الأمة ، فلا يعبدون الله إلا بما ورد في الكتاب والسنة ، ملتزمين بتلك العبادات معرضين عن البدع والمخالفة .

وكذا في المأكولات فإن دين الإسلام أعدل الأديان ، فإنه لايحرم إلا الضار الخبيث، ولم يحل إلاالطيب النافع ، كما قال تعالى واصفا النبي ﷺ ﴿ **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾ (١) يقول ابن تيمية عن إفراط اليهود وتفريط النصارى :-

(إن النصارى لم تحرم ماحرم الله ، ويستحلون النجاسات والخبائث الميتة ، والدم ولحم الخنزير ، واليهود حرمت طيبات أُحلت لهم (٢) . وقد ذكر الله عن اليهود كما قال تعالى : ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ (٣) يقول ابن تيمية عن النبي ﷺ « فبه كمل دين الله المتضمن للأمر بكل معروف ، والنهي عن كل منكر ، وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث ، وأما من قبله من الرسل فقد كان يُحرم على أممهم بعض الطيبات ، كما قال : ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ (٤) وربما لم يُحَرم عليهم جميع الخبائث كما قال تعالى : ﴿ **كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه**﴾ (٥)) (٦) .

وكذا في السياسة والأخلاق (فإن دين اليهود مؤسس على الانتصار المحض ودين النصارى مؤسس على التذلل المحض) (٧) .

أما الإسلام فكان (في كل ذلك وسطا بين جانبي الإفراط والتفريط ، فأمر الإنسان بالصفح عمن أساء إليه ، وأمره بمقابلته بمثل ماوقع منه إذا كان المعتدي ممن لاينفعه الصفح ، ولايزجره الإغضاء عنه ، لئلا تستطيل أيدي أهل العبث والإفساد على أهل التقوى والإصلاح) (٨) ، وهذا ماورد في آيات عديدة ، ترخص في المعاقبة بالمثل مع تفضيل العفو والصفح قال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ (١٠) .

---

(١) الاعراف ١٥٧ .
(٢) ابن تيمية .منهاج السنة النبوية ١٧١/٥ (بتصرف) .
(٣) النساء ١٦٠ .
(٤) النساء ١٦٠ .
(٥) آل عمران ٩٣ .
(٦) ابن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٢٢/٢٨ . مطبعة الحكومة بالرياض الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ .
(٧) الاعلام بمناقب الإسلام ١٤٢ .
(٨) عبده ؛ محمد ، الإسلام والرد على منتقديه ٦ – المكتبة التجارية – مصر ١٣٤٦هـ .
(٩) النحل ١٢٦ .
(١٠) الشورى ٤٠ .

رابعاً : الإسلام دين الفطرة

أي أن الإنسان يولد مستعداً لقبول الإسلام مهيأ له ، فليس المراد أنه يولد عالماً بالعقيدة الإسلامية ، وبتفصيل الشريعة ، فإن ذلك مخالف للحس ، وإنما الفطرة سلامة القلب مع الاستعداد والقبول [1] ودين الإسلام دين الفطرة وهو دين التوحيد الذي جاء به الأنبياء جميعاً ، قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾ [2] وقال عليه الصلاة والسلام (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه**) رواه البخاري [3] . ولم يقل يسلمانه ، لأن الفطرة تعني الإسلام .

ومن معاني أن الإسلام دين فطري ، أنه يلبي حاجات النفس الإنسانية وغرائزها العقلية والجسدية والروحية ، لايصادمها وإنما يهذبها . لذا فكون الإسلام دين فطري يغني عن ذكر صلاحيته للتطبيق ، أو واقعية الإسلام ، لأن الفطرة متضمنة لهما ، وتتضح مطابقة الإسلام للفطرة في أمور عديدة منها : ـ

أولا : العقيدة :

جاء الإسلام بعقيدة واقعية ، لأنها تصف حقائق قائمة في الوجود لاأوهاماً متخيلة في العقول . حقائق يقبلها العقل ، وتستريح إليها النفس ، وتستجيب لها الفطرة السليمة [4] عقيدة تقوم على الإيمان بالله تعالى ، وتدبر آياته في الكون ، والإيمان بكتب الله والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالرسل ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء وعدل ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، الإيمان بكل هذا وما تتضمنه هذه الستة من غير إفراط ولاتفريط ، عقيدة واضحة سهلة ميسرة موافقة للفطرة لاتخالف العقل ، يفهمها العامة ، ولا يمل من التبحر فيها العلماء ، يقول تعالى في بيان هذه العقيدة :
﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢٤٧/٤ يقول في تعريف الفطرة :« سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام » .

(٢) الروم ٣٠ . (٣) البخاري ٩٧/٢.

(٤) القرضاوي : يوسف ، الخصائص العامة للإسلام١٥٣ مكتبة وهبه –مصر–الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

وذلك دين القيمة ﴾ (1) ، ويقول تعالى : **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ﴾** (2).
ويقول ﷺ : (**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**) رواه مسلم (3) فلقد جاء الإسلام بعقيدة واضحة نيرة ، لالبس فيها ولاخفاء ولاغموض ، يقبلها كل ذي عقل صحيح ، (فأين هذه العقيدة الواضحة المعقولة من عقيدة النصارى في التثليث في قولهم : الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، وأن الثلاثة أرباب الكون ، وأن المسيح صلب فداءً لخطيئة البشر كلهم ، وأن القساوسة لهم أن يعطوا صكوك الغفران للمذنبين ، ومأحلوه في الأرض يكون حلالاً وماحرموه يكون حراماً) (4) بل قامت العقيدة الإسلامية على المسئولية الفردية كما قال تعالى : **﴿ ولاتزروازرة وزرأخرى ﴾** (5) أي لاتحمل نفس ذنب نفسٍ أخرى ويقول تعالى : **﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى ﴾** (6) ويقول تعالى: **﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ﴾** (7) فلا يصلب أحد بذنب آخر .

كما أن هذه العقيدة تطلب التوجه إلى الله مباشرة دون وسائط : **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾** (8) فلا صكوك غفران تباع وتشترى ، وإنما توجه إلى الله مباشرة .

(وأين هذه العقيدة الإسلامية من عقيدة اليهود ، وزعمهم أن الله لما خلق السموات والأرض استراح يوم السبت من التعب ، وتنقصوه مرة أخرى فقالوا صارع إسرائيل فكان الرب مغلوباً والبشر غالباً ، وأين هذه العقيدة من عقيدة المجوس القائلين بخالقين وبتناسخ الأرواح) (9) .

يقول أحد الذين أسلموا عن الإسلام : (أبطل كافة الخيالات والأوهام في طريقة التقرب إلى الله بطريق تعذيب النفس أو الوساطة بين العبد وخالقه أو احترام المخلوق وتقديسه أياً كان نوعه ومنزلته الاجتماعية) (10) .

---

(1) البينة ٥ .
(2) البقرة ٢٨٥ .
(3) مسلم ١/ ٣٠
(4) آل بوطامي ، الإسلام والرسول ٧ « بتصرف » .
(5) الأنعام ١٦٤ ، الإسراء ١٥ .
(6) النجم ٣٩ - ٤٠ .
(7) البقرة ٢٨٦ .
(8) البقرة ١٨٦ .
(9) ال بوطامي ، الإسلام والرسول ٤٧ - « بتصرف » .
(10) سوسه : أحمد نسيم ، في طريقي إلى الإسلام ص١٨٠ المطبعة السلفية-القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م وهو عراقي نصراني أسلم باقتناع كامل بعد أن درس الإسلام مدة طويلة - انظر مقدمة الكتاب .

ثانيا : العبادة :

جعلت الشعائر التعبدية موافقة للفطرة من حيث أنها ملبية للغرض ، وهو التقرب إلى الله والخشوع له ، ومن حيث استطاعة الإنسان القيام بها والمداومة عليها ، ولقد كانت الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية فيها من المشاق العديدة والرهبنة التي ابتدعوها ماسلم منه الإسلام لذا قال تعالى واصفاً النبي ﷺ ومادحاً لمن آمن به من أهل الكتاب: ﴿ **ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ (١) قال ابن كثير : (أي أنه جاء بالتيسير والسماحة ، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بعثت بالحنيفية السمحة وقال ﷺ : لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري « **بشرا ولاتنفرا ، ويسرا ولاتعسرا ، وتطاوعا ولاتختلفا**» وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي : «إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره ، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائع ضيق عليهم فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لها» .. ولهذا قال رسول الله ﷺ: « **إن الله تجاوز لأمتي ماحدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** » وقال : « **رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه** » ولهذا أرشد الله هذه الأمه أن يقولوا : ﴿ **ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ (٢) وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذا: قد فعلت قد فعلت » (٣) .

ومن صور التيسير في العباده تحريم الرهبنة والغلو والتنطع ، لما روى أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر. قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً . وقال الأخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر: وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم**

---

(١) الاعراف ١٥٦ - ١٥٧ . (٢) البقرة ـ ٢٨٦ .

(٣) ابن كثير إسماعيل الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم٢/٢٥٤دارالمعرفة بيروت١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

وأفطر ، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه[1] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **هلك المتنطعون قالها ثلاثاً** » رواه مسلم.والمتنطعون المشددون في غير موضع التشديد [2] .

لذا كان الإسلام عملي واقعي ، لايريد الرهبنة أو التشدد ، أو حتى الزيادة في العبادة التي تؤدي إلى الملل والترك ، وقد قال عليه الصلاة والسلام عندما رأى زيادة في العبادة : « **مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا** ». قالت عائشة رضي الله عنها : « **وكان أحب الدين إليه مادام صاحبه عليه** » متفق عليه [3] .

ومن صور التيسير في العبادة وموافقة الفطرة ماسبقت الإشارة إليه من كلام ابن كثير : العفوعن المخطئ والمكره والناسي ، وكذا هواجيس النفس مالم يقترن ذلك بعمل .

ومن صور التيسير والواقعية وموافقة الفطرة قول النبي عليه السلام : « **جعلت الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل** » [4] بينما كانت الأديان السابقة تخص العبادات بأماكن خاصة لايصلى إلا فيها .

ومن الصور أن التائب من الذنب لايجب عليه سوى الإقلاع عنه ، والندم عليه ، والعزم على عدم العودة اليه ، ورد المظالم إذا كانت متعلقة بالعباد ، أما الشرائع السالفة فتطلب التوبة فيها أكثر من ذلك ، وقد يصل الأمر فيها إلى القتل كما قال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم** ﴾ [5] .

ثالثا : الشريعة :

فإن شريعة الإسلام موافقة للفطرة ، وأكثر قبولا وواقعية ، فهي لم تقل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، كما ورد عن المسيح عليه السلام بل أباحت القصاص

---

(١) النووي : يحي بن شرف ، رياض الصالحين ٩٤ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٢) المرجع السابق ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ٩٤ .

(٤) البخاري ١ / ٨٦ .

(٥) البقرة ١٥٤ .

﴿ **ولكم في القصاص حياة يأولي الألباب** ﴾ [1] واستحبت العفو قال تعالى : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ [2] كما أنها أباحت النافع الطيب ، وحرمت الخبيث الضار ، قال تعالى واصفاً محمداً ﷺ : ﴿ **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ [3] .

بل إن الله أنكر على من حرم الزينة المباحة النافعة قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ [4] .

أما الشرائع السابقة فقد يحل لهم الخبائث ، كما قال تعالى : ﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه** ﴾ [5] وقد يحرم عليهم طيبات كما قال تعالى: ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم** ﴾ [6] وقد يسلكون مسلك الرهبانية ، وترك الطيبات ، كما قال تعالى واصفاً أتباع عيسى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾ [7] .

كما أن هذه الشريعة أباحت الزواج من نساء أهل الكتاب ، وأباحت الأكل من طعامهم .

رابعاً : الأخلاق :

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة واقعية ، لأنه دين فطري ، فلا يتعامل معه كتعامل الفلاسفة مع أمثلة نظرية ، ومثالية عقلية . أو كتعامل الكنيسة الكاثوليكية مع القسس الذين حُرم عليهم الزواج ، ونظروا إلى الإنسان مجرداً من الرغبات ، بل إن المنهج الإسلامي للحياة –على كل رفعته ونظافته وربانيته ومثاليته– هو في الوقت ذاته منهج لهذا الإنسان – في حدود طاقاته الواقعية – ونظام لحياة هذا الكائن البشري الذي يعيش على هذه الأرض ، ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، ويتزوج ويتناسل ويحب ويكره ويرجو ويخاف ، ويزاول كل خصائص الإنسان الواقعي كما خلقه الله . وهو يأخذ في اعتباره فطرة هذا الإنسان ، وطاقاته ، واستعداداته ، وفضائله ورذائله ، وقوته وضعفه ،

(١) البقرة ١٧٩ .
(٢) الشورى ٤٠ .
(٣) الأعراف ١٥٧ .
(٤) الأعراف ٣٢ .
(٥) ال عمران ٩٣ .
(٦) النساء ١٦٠ .
(٧) الحديد ٢٧ .

فلا يسوء ظنه بهذا الكائن ، ولايحتقر دوره في الأرض ، ولايهدر قيمته في صورة ما من صور حياته ، كما أنه لايرفع هذا الإنسان إلى مقام الألوهية ، ولايخلع عليه شيئاً من خصائصها ، كذلك لايتصوره ملكاً نورانياً شفافاً ، لايتلبس بمقتضيات التكوين المادي ، ومن ثم لايستقذر دوافع فطرته ، ومقتضيات هذا التكوين الفطري ، ومع اعتبار المنهج الإسلامي لإنسانية الإنسان من جميع الوجوه فهو وحده الذي يملك أن يصل به إلى أرفع مستوى ، وأكمل وضع ، يبلغ إليه الإنسان ، في أي زمان وفي أي مكان [1] ولذلك أمثلة عديدة ، فهو إذا حذره من الذنب لم يغلق عليه الباب بل فتح له باب التوبة قال تعالى : ﴿ **والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه** ﴾ [3] .

ومن أمثلة ذلك أن الإسلام لايدع مجالاً لوجود الكبت [4] ومحاربة الغرائز وعدم الاعتراف بها ، بل الإسلام يعترف بوجود الغرائز كحب المال والولد كما قال تعالى : ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ [5] وكمحبة النكاح ، لذا حث عليه الإسلام ونظمه : ﴿**فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ [6] وكمحبة الاقتصاص : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾[7] واعترف الإسلام بكراهة الإنسان للقتال : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرلكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ [8] فلم يناقض ما في نفسه ويقول له : إن القتال محبب لكم . وإنما بين الكراهية الفطرية ، وحث عليه باعتبار أنه

---

(١) قطب : سيد ؛ خصائص التصور الإسلامي ١٧٧ .

(٢) الفرقان ٦٨ – ٧٠ . (٣) المائدة ٣٩ .

(٤) الكبت ليس عدم ممارسة الغرائز وإنما استقذارها ، انظر قطب : محمد ؛ الإنسان بين المادية والإسلام ٧٣ دار الشروق –بيروت– الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

(٥) الكهف ٤٦ . (٦) النساء ٣ .

(٧) النحل ١٢٦ . (٨) البقرة ٢١٦ .

خيرلنا ، كما بين الله ضعف الإنسان ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ [١] وحاصل ذلك أن (الله لم يهمل الغرائز إهمالاً ولم يحارب العواطف حرباً تقضي عليها ، بل شرع للناس مايساعد على تحقيق الغرائز والعواطف لرسالتها في الحياة بتهذيبها وتوجيهها الوجهة الحسنة) [٢] .

ومن مطابقة الإسلام للفطرة عدم معارضته للعقل ، ودعوته إلى العلم النافع وإعمال العقل ، وقد جعلتها خاصية مستقلة نظراً لأهميتها.

وأختم هذه الخاصية بذكر شهادتين من شهادات من أسلموا حديثاً [٣] تبين فطرية الإسلام وواقعيته ، يقول أحدهم : إن الإسلام دين حر ، لايقيد المرء بتقاليد ثقيلة ، أو أسرار كهنوتية ، أو طقوس دينية محشوة بالمظاهر والزخرف ، فهو والحالة هذه يجيب إلى مطالب النفس البشرية حائداً كل الحياد عن كل مايناويء روح الطبيعة وبديهة الفطرة .إن البساطة والاعتدال هما من أركان الديانة الإسلامية ، فترى المسلم يقف خاضعاً أمام ربه بدون واسطة رجال الدين حراً لايتقيد بغير القيود التي تتطلب خضوعه إلى الله وحده ، فدينه أينما كان وأنى حل يؤدي فريضة الصلاة إليه تعالى بلا تكلف ولاتصنع ، وهذا مالا تجده في أي ديانة غير الديانة الإسلامية ، تصور ما هنالك من التقاليد التي تقيد النصراني بقيودها الثقيلة التي اختلقها رجال الدين لبسط نفوذهم ، واستعبادهم للأتباع للاعتراف أمام الكاهن ، وغير ذلك من الأوهام والطقوس في الديانتين اليهودية والنصرانية التي تشمئز منها النفوس ، ويمجها العقل والمنطق ، وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً لقيام الإسلام على مذهب الفطرة الإنسانية بقوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾ [٤] ، [٥] . ويقول واصف الراعي [٦] : كنت قد أدركت في أعماق نفسي أن هناك فرقاً بين مسلمي اليوم والإسلام العظيم الذي أسر عقلي بمميزاته الفريدة ، اكتشفت ديناً جديداً كنت أسمع عنه المغالطات ، يتميز بالواقعية

---

(١) النساء ٢٨ .

(٢) صقر : عطية ، دراسات إسلامية ٦٣ مؤسسة الصباح ، الكويت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

(٣) هذه الشهادات فقط للاستئناس وليس للاستدلال لذا سقتها في آخر البحث .

(٤) الروم ٣٠ .

(٥) سوسه : في طريقي إلى الإسلام ص ١٨٠ .

(٦) أردني نصراني أسلم عام١٣٨٦هـ وعمره عشرون عاماً يقيم الآن في السعودية ــ كنت نصرانياً.

والبساطة ومخاطبة عقل الإنسان وتنظيم الفطرة البشرية ، والإيمان بالله الواحد الأحد ، المنزه عن كل شرك [١] .

خامساً : الإسلام دين العلم والفكر :

والعلم الممدوح في الإسلام هو العلم النافع للإنسان في الدنيا والآخرة ، المترتب عليه عمل صالح ..ولهذا لاتدرس العلوم لذاتها ، وإنما تُدرس لهدف الاستفادة منها وتطبيقها فيماينفع الناس ، والإسلام لايشجع التفكير النظري ، والتأمل الفلسفي في أبراج عاجية بعيدة عن المجتمع المسلم ومشاكله ، كما لا يشجع الدخول في مجادلات كلامية ومناظرات لفظية لايترتب عليها عمل نافع بل تضر أكثر مما تنفع [٢] والفكر الممدوح في الإسلام هو إعمال العقل فيما ينفع الإنسان في دينه ودنياه بشرط ألا يتعدى العقل مجالاته المحددة ، لأن طاقة العقل محدودة ووظائفه معدودة . والإسلام يقدر العقل باعتباره من أكبر النعم التي أنعم بها الله على الإنسان ولكن لايبالغ في تقدير قيمة العقل كما كانت تفعل العقلانية الإغريقية ومن ورثها من بعد ، بحيث يجعله هو المحكّم في كل شيء ، وهو المرجع الأخير لكل شئ ! فهناك أمور لايستطيع العقل من ذات نفسه أن يصل إليها لانها ليست في محيط تجربته ، ولاتستطيع الأدوات التي يحصل بها المعرفة – وهي أدوات الحس – أن تصل إليها لأنها خارجة عن نطاق المحسوس ، وإن كان بامكان العقل أن يعقلها حين تُبين له ، فهذه تلقن للعقل عن طريق الوحي ، ويكون دور العقل فيها أن يعقلها لا بطريق التجربة المباشرة ولا بطريق الحس ، ولكن عن طريق التيقن من صدق الخبر وصدق المخبِر [٣]، وقد دل العقل على محدوديته وأنه بحاجة إلى غيره ، وذلك لعدم توصله إلى شيء في غير اختصاصه أولاً ثم اختلاف العقول ثانياً ثم الهوى والخطأ اللذان يعتريان العقل البشري ثالثاً .

كما دلت النصوص الشرعية التي ظهر لنا صحتها وصدقها على محدودية العقل فحظرت على الإنسان إعمال عقله فيما ليس من اختصاصه ، ومن ذلك : –

---

(١) الراعي : واصف ، كنت نصرانياً ٥٣–٥٤ مطابع الفرزدق الرياض ، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

(٢) غراب : أحمد ، الإسلام والعلم ٤١–٤٢ بحث منشور في سلسلة المركز الإسلامي للدراسات والبحوث رقم ٩ القاهرة ١٩٨١م .

(٣) قطب : محمد : مذاهب فكرية معاصرة ٥٣١–٥٣٢ دار الشروق بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١ – التفكير في ذات الله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **تفكروا في خلق الله ولاتفكروا في ذات الله** »[(١)] .

٢ – التفكير في القدر ، وقد قال عليه السلام : « **وإذا ذكر القدر فأمسكوا** »[(٢)] .

٣ – التشريع من دون الله ، وقد قال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾[(٣)] وقال تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[(٤)] .

وهذا الحظر في الأولى والثانية صيانة لطاقة العقل أن تتبدد فيمالا طائل وراءه[(٥)] وأما التشريع فهو حق الخالق وحده كما قال تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[(٦)] كما أن تشريع العقل يعتريه الزلل والهوى والظلم ، بخلاف تشريع الخالق العليم الحكيم .

اعتناء الإسلام بالعلم والفكر :

لاتجد ديناً آخر يعتني بالعلم والفكر كدين الإسلام ، ويتجلى ذلك في عدة أمور :

أولاً : عدم معارضة الإسلام للعلم رغم كثرة المواضيع العلمية التي تعرض لها القرآن الكريم ، وكيف تتعارض آيات الله المقرؤة مع آيات الله الكونية !! فإن الله هو الذي أنزل الكتاب ، وهو الذي خلق الكون ، وهو أعلم به كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[(٧)] فلا تعارض بين الدين الصحيح والعلم اليقيني ، ولاتعارض بين العقل والنقل وقد فصّل ذلك العلماء ومنهم ابن تيمية في كتابه « درء تعارض العقل والنقل »[(٨)] وإذا ظهر تعارض فإن ذلك يرجع إلى أحد ثلاثة أسباب : –

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وهو صحيح ؛ انظر الألباني : ناصر الدين : صحيح الجامع الصغير ٤٩/٣٠ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

(٢) رواه الطبراني وهو صحيح انظر المرجع السابق ٢٠٩/١ .

(٣) الشورى ٢١ .
(٤) المائدة ٤٤ .

(٥) قطب محمد – مذاهب فكرية معاصرة «بتصرف» ؛ ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

(٦) الأعراف ٥٤ .
(٧) الملك ١٤ .

(٨) ألف ابن تيمية هذا الكتاب وهو الان مطبوع في عشر مجلدات ومجلد فهارس ، كل مجلد ٤٠٠ صفحة تقريباً وقد أبطل تعارض العقل والنقل بعشرات الأوجه .

١ ـ عدم صحة النقل أو وقوع التحريف فيه كما وقع ذلك للكتب السابقة ، ولبعض الأحاديث النبوية .

٢ ـ وقوع خطأ في تفسير النصوص الشرعية ، وهذا يقع في النصوص الظنية الدلالة التي تحتمل أكثر من تفسير ، أما النصوص ذات الدلالة القطعية فلا تتعارض مع العلم الصحيح .

٣ ـ الخطأ في العلم ، فإن كثيراً من المسائل التي يُظن أنها علمية أوقطعية أو عقلية لاتكون صحيحة ، وكثيراً مايقع ذلك .

فإذا وقع تعارض بين مسألة علمية وبين نص شرعي من كتاب الله أو حديث صحيح عن النبي ﷺ وكان النص قطعي الدلالة فإننا نعلم أن العلم المُدعى ليس علماً صحيحا . وكثيراً مايقال إن هذه الآية تخالف هذه النظرية ، ثم يظهر بعد ذلك عدم صحة النظرية ، ولايجوز تحريف النصوص الشرعية لما يُظن أنه علم .

أما النصوص ذات الدلالة الظنية فلا ينبغي ترجيح وجه على آخر بعلم ظني ، وإنما إذاظهرعلم قطعي وكان النص يحتمل عدةأوجه فإنه يرجح الوجه الذي يوافق العلم ، لعلمنا استحالة التعارض بين العلم والدين ، يقول ابن تيمية عن تعارض العقل والسمع : (يُقدم العقلي تارة والسمعي أخرى فأيهما كان قطعياً قُدم ، وإن كانا جميعاً قطعيين فيمتنع التعارض ، وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم) [١] .

ومن تدبر آيات القرآن الكريم وجد مواضع علمية كثيرة ، كالآيات التي تذكر النجوم والكواكب ، والبحر والسموات ، والأرض ومراحل خلق الإنسان... ، ولاتجد شيئاً من ذلك يتعارض مع حقيقة علمية ثابتة ، بل العكس فإن الحقائق التي في القرآن أتى العلم الحديث بموافقتها ، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ **أولم يرالذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾ [٢] ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور** ﴾ [٣] ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في**

---

(١) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل١/ ٨٧ تحقيق محمد رشاد سالم ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض- الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٢) الأنبياء ٣٠ .　　(٣) النور ٤٠ .

قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[١] والآيات في هذا الموضوع كثيرة ، ولسنا بصدد تأثير هذه الآيات على العلماء وماترتب عليه من إسلام بعضهم . وإنما سأختصر القول بما أورده موريس بوكاي في كتابه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم – وهو دراسة لمعرفة مدى توافق هذه الكتب مع المعارف الحديثة– حيث يقول : (إن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية ، وهي وقائع كثيرة جداً ، خلافاً لقلتها في التوراة ، إذ ليس هناك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوارة من الأمور ذات الصفة العلمية ، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن ، وأنه لايتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية.وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستنا) ..[٢] .

وعدم معارضة الإسلام للعلم الصحيح يدل على صحته وحفظه ، بخلاف أديان أهل الكتاب المعارضة للعلم مما يدل على تحريفها ، يقول موريس بوكاي في دراسته السالفة للكتب الثلاثة : (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لايحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل . أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لايمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا . وأما بالنسبة للإنجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعني بها شجرة أنساب المسيح ، وذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لايتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[٣] .

---

(١) المؤمنون ١٢–١٤ .

(٢) بوكاي : موريس؛القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ١١–١٢ .

(٣) بوكاي ، موريس : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ١٣ .

وقد لاحظ ذلك أيضاً بعض المفكرين الغربيين عند دراستهم للقرآن يقول ألكس لوزان-الفيلسوف الفرنسي- : (خلف محمد للعالم كتاباً هوآية البلاغة ، وسجل الأخلاق، وهو كتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية ، فالانسجام تام كامل بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية) [(١)].

ثانيا : دعوة الإسلام إلى تحرير العقل من جميع الحواجز التي تحول دون اكتشاف الحقيقة » ، ومن أهم هذه الحواجز التي دعا القرآن إلى إزالتها مايلى :

١ - التقليد الأعمى لأي سلطة من السلطات ، حتى سلطة الأباء والأجداد ، أو سلطة العادات والتقاليد ، ولاسيما فيما يختص بالعقيدة وذلك لأن الإيمان ينبغي أن يكون عن فهم واقتناع ، والمقلد يلغي عقله وتفكيره ، يقول تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾ [(٣)] .

٢ - الظن : لأن الظن ليس وسيلة موثوقة لمعرفة الحقيقة ، لذا ذم الله المشركين لاتباعهم الظن يقول تعالى : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً** ﴾[(٣)] ويقول تعالى عن الدهرية ﴿ **وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ [(٤)] .

٣ - الهوى : وقد نهى القرآن عن اتباع الهوى لأنه يضل الإنسان عن الحق وعن العلم الصحيح ، يقول تعالى :﴿ **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم** ﴾ [(٥)] ويقول تعالى:﴿ **فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ [(٦)] .

٤ - طبقة الكهنة ورجال الدين ، وطاعة الملوك العمياء : - الإسلام يعطي للعلماء حقهم ، ويوصي بطاعتهم ، والتعلم منهم ، ولكن ليس لهم حق التشريع ، أو التحكم في تفكير الناس وضمائرهم ، لأن الطاعة المطلقة لله وللرسول [(٧)] وقد ذم الله من أطاع

---

(١) الحسيني ، مبشر الطرازي ؛ إلى الدين الفطري الأبدي ١/٣٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة (د.ت)

(٢) البقرة ١٧٠ . (٣) النجم ٢٨ .

(٤) الجاثية ٢٤ . (٥) الروم ٢٩ .

(٦) ص ٢٦ .

(٧) الحواجز الأربعة منقولة بتصرف من غراب ، الإسلام والعلم ١٩-٢١ ، ٢٦ .

فرعون من غير نظر وتدبر ، واعتبر ذلك استخفافاً منهم قال تعالى : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ [1] .

كما ذم الله النصارى لغلوهم في العلماء ، فقال تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ [2] .

ثالثاً : دعوة الإسلام إلى إعمال العقل فيما يفيد ، وقد ذم الله من عطل عقله وغفل عن إعماله ، يقول تعالى : ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون** ﴾[3] ويقول تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [4] .

وللعقل مجالات عدة ، أشار إليها القرآن الكريم منها :

١ - تدبر القرآن الكريم وما فيه من معجزات شتى ، وذلك لزيادة الإيمان واليقين ، أو لمعرفة أحكام الله تعالى ، ولتزود من العلم النافع مما اشتمل عليه القرآن من أحكام وحِكم وأمثال وعبر ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [5] ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ [6] ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون** ﴾ [7] .

٢ - الحث على طلب العلم النافع ، وقد أمر الله بالعلم في أكثر من ثلاثين آية ومنها قوله تعالى : ﴿ **و اعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ [8] وقوله تعالى : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد** ﴾ [9] .

---

(١) الزخرف ٥٤ .
(٢) التوبة ٣١ .
(٣) الأنفال ٢٢ .
(٤) الأعراف ١٧٩ .
(٥) محمد ٢٤ .
(٦) النساء ٨٢ .
(٧) العنكبوت ٤٣ .
(٨) البقرة ١٩٤ ، التوبة ٣٦ .
(٩) الحديد ٢٠ .

وأول آية نزلت من القرآن تحث على العلم : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ (١) .

وقد أمر الله بسؤال العلماء ، كما قال تعالى : ﴿ **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (٢) ورفع من شأنهم ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾(٣) كما حث النبي ﷺ على طلب العلم فقال : « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة** » رواه مسلم (٤) ، وإذا مات العلماء فإن أجرهم باق إلى يوم القيامة كما قال عليه السلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم (٥)، وأفضل العلوم، علوم الشريعة لأنها علم بالله وبشريعة الله .

كما نجد النصوص في ذم الجهل والجاهلين ومنها .. ﴿ **أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ (٦) ﴿ **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ (٧) ﴿ **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين** ﴾ (٨) .

٣ – تدبر آيات الله الكونية لمعرفة عظمة الله فيزداد الإيمان واليقين ، وللاستفادة منها ، ولتحقيق التسخير الرباني من أجل تعمير الأرض والقيام بالخلافة بها ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً منها : –

﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾ (٩) ، ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ (١٠) .

﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ (١١). ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾ (١٢) .

---

(١) العلق ١ – ٥ .
(٢) النحل ٤٣ ، الأنبياء ٧ .
(٣) المجادلة ١١ .
(٤) مسلم ، ٨/٩٨ .
(٥) المرجع السابق ٥/٧١ .
(٦) البقرة ٦٧ .
(٧) الأنعام ٣٥ .
(٨) القصص ٥٥ .
(٩) يونس ١٠١ .
(١٠) آل عمران ١٩٠ .
(١١) الغاشية ١٧–٢٠ .
(١٢) الذاريات ٢٠ .

٤ – النظر في خلق الإنسان ومايحتويه من عجائب دالة على قدرة الله ؛ وذلك لزيادة الإيمان واليقين بعظمة الخالق ، ولزيادة العلم بالإنسان ، للاستفادة من ذلك في الطب والعلوم الأخرى ، وقد وردت الإشارة إلى هذا الجانب في آيات عديدة منها :

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (١) ، **﴿ فلينظر الإنسان مما خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ﴾** (٢)، **﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾** (٣) .

٥ – تدبر التاريخ وسنن الله الثابتة للاستفادة منها والاعتبار بها ، وقد وردت الآيات تحث على النظر في سير السابقين ، وتدبرها واستخراج سنن الله فيها ، ومن ذلك :

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (٤)، **﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منهاوإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلاً . سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا ﴾**(٥).
ويدخل في ذلك ما قصه الله علينا من قصص الأنبياء السابقين وأممهم والتي أخذت حيزاً كبيراً من القرآن الكريم ، ومن ذلك قصة يوسف التي قال الله في نهايتها : **﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ﴾** (٦).

رابعاً : الاهتمام بالعقل والحجة والبرهان : اهتم الإسلام كثيراً بالعقل ، وأمر بالتعقل وكثيراً ماتختم الآيات القرآنية بـ **﴿ لعلكم تعقلون ﴾** (٧) أو **﴿ لقوم يعقلون ﴾** (٨) أو **﴿أفلا تعقلون ﴾** (٩) كما اهتم بالحجة والبرهان في آيات عديدة منها **﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**(١٠)، **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن**

---

(١) الذاريات ٢١ .
(٢) الطارق ٥ – ٧ .
(٣) فصلت ٥٣ .
(٤) آل عمران ١٣٧ .
(٥) الإسراء ٧٦ – ٧٧
(٦) يوسف ١١١ .
(٧) وردت في ٧ مواضع في القرآن منها البقرة ٧٣ ، ٢٤٢ ، الأنعام ١٥١ .
(٨) وردت في ٧ مواضع في القرآن منها البقرة ١٦٤ ، الرعد ٤ ، النحل ١٢ .
(٩) وردت في ١١ موضع في القرآن منها البقرة ٤٤ ، الأنعام ٣٢ ، يونس ١٦ .
(١٠) البقرة ١١١ .

ربك حكيم عليم﴾[1]، وهذا لاتجده في أي كتاب من كتب الأديان الأخرى ، يقول العقاد : ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة إلى العقل وإلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة ، وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحايين من الزراية بالعقل أو التحذير منه ، لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوى والإنكار ، ولكن القرآن الكريم لايذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به ، والرجوع إليه ، ولاتأتي الإشارة إليه عارضة ولامقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه [2] .

أثر الإسلام في العلم والفكر :

أما الأثر العملي المترتب على حث الإسلام على العلم والفكر والتدبر ، فإنه كبير جداً، فقد كثر طلاب العلم ، وكثرت الحلقات في المساجد ، وكثرت التصانيف النافعة ، وتسابق الناس إلى طلب العلم مما جعل الخلفاء والأمراء يتنافسون في إنشاء المكتبات والمدارس ، ومن تلك المكتبات الضخمة بيت الحكمة في بغداد التي أنشأها الرشيد ، وخزانة الكتب في القاهرة التي أنشأها يعقوب بن كلس [3] ، ودار الحكمة في القاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي [4] ، وعين لها أساتذة للتدريس ، وقد ضمت مائة ألف مجلد في العلوم المختلفة ، كما أسس الحكم بن ناصر [5] مكتبة في قرطبة تعرف بدار قرطبة ، وجلب لها الكتب من العالمين الإسلامي والأوربي ، فكانت تضم مائتي ألف مجلد، وقد وضع لها الفهارس ، ومن المكتبات المشهورة مكتبة القرويين في

---

(١) الأنعام ٨٣

(٢) العقاد : عباس ؛ التفكير فريضة إسلامية ٧ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

(٣) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس ولد سنة ٣١٨هـ وكان يهودياً فأسلم عام ٣٥٦هـ خدم المعز الفاطمي العبيدي وتولى أموره في المغرب ثم عاد إلى القاهرة وتولى وزارة العزيز بن المعز صنف كتاباً في الفقه توفي ٣٨٠هـ (الزركلي : الإعلام ، ٨/٢٠٢).

(٤) الفاطميون ينسبون إلى فاطمة الزهراء وهذا غير صحيح وإنما هم عبيديون نسبة إلى عبيد الله القداح.

(٥) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي في الأندلس ولد بقرطبة وولي الخلافة سنة ٣٥٠ هـ كثرت فتوحاته وتوسعت دولته كان عالماً بالدين محباً للعلماء توفي بقرطبة ٣٦٦هـ (الزركلي الإعلام ٢/٢٦٧) .

المغرب ، ومكتبة البلدية في النجف في العراق [١] . فسادت في العالم الإسلامي نهضة علمية في شتى العلوم، حتى أصبح طلاب العلم من أوربا يأتون إلى الأندلس طلباً للعلوم المختلفة في وقت يُحارب فيه العلماء في أوربا باسم الدين ، يقول موريس بوكاي :

(في الوسط المسيحي وعبر قرون كثيرة بادرت سلطات غير مسئولة ودون الاعتماد على أي نصوص حقيقية للكتب المقدسة بمعارضه تطور العلوم) [٢] ويقول : (وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية ، أُنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية ، في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة) [٣] .

ولن أسرد أسماء العلماء المسلمين الذين برزوا في العلوم المختلفة ، أو المكتشفات الكثيرة التي اكتشفوها ، لأن هذا ليس مجالها ، وقد أُلفت فيها مصنفات مستقلة [٤]. وما التخلف العلمي الذي ساد العالم الإسلامي في العصور الحديثة إلا بسبب بعدهم عن الدين الإسلامي ، فتمكن الاستعمار الغربي منهم ، فباتوا في سبات عميق .

سادساً : عالمية الإسلام :

الإسلام دين عالمي ، أي للناس كافة ، لايختص بقوم دون قوم ، ولا طائفة دون طائفة، بل يجب على كل من سمع به أن يؤمن به ، كما أنه عالمي الخصائص ، لايفرق بين الناس بجنس أو لون ، بل طبيعته عالمية ، لأنه لجميع البشر ، بل إلى الثقلين الإنس والجن ، كما قال تعالى عن القرآن : ﴿ **وماهو إلا ذكر للعالمين** ﴾ [٥] وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [٦] وقال تعالى : ﴿ **وماأرسلناك إلا**

---

(١) السويدي : يوسف ؛ الإسلام والعلم التجريبي ١٢٢-١٢٣ مكتبة الفلاح . الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

(٢) بوكاي : موريس ؛ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق ١٤١ .

(٤) انظر : نجيب : حكمت ؛ دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دوميلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، (مترجم) . السويدي : يوسف ، الإسلام والعلم التجريبي .
الرفاعي : أنور ؛ تاريخ العلوم عند المسلمين .

(٥) القلم ٥٢ .　　(٦) الأنبياء ١٠٧ .

كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ [2]. وهذه الميزة خاصة بدين الإسلام كما قال ﷺ : « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** » [3] لذا أرسل النبي ﷺ الرسل إلى الملوك من العرب والعجم ، يدعوهم فيها إلى الإسلام ، ويحذرهم فيها من الإعراض [4] ، وعالمية الإسلام لاشك فيها ولا اختلاف ، قال ابن تيمية - رحمه الله - : (إن الذي يدين به المسلمون أن محمداً ﷺ بعث رسولاً إلى الثقلين الإنس والجن ، أهل الكتاب وغيرهم ، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد ، وهو مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه) [5] .

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ [6] والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم [7] .

وطبيعة الإسلام عالمية يساوي بين الناس ، ليس فيه عنصرية لجنس دون جنس ، كما هو الحال عند اليهود « شعب الله المختار » ، وليس فيه طبقية كما عند الهنود ، وليس فيه رهبنة يقوم بها البعض دون الآخر كما هو عند النصارى ، وإنما ساوى بين الناس ، وكانت تعاليمه للناس جميعاً ، ساوى بينهم إلا بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [8] ، فليس هناك أحد أفضل من أحد إلا بطاعة الله ، وهذا ما يميزه .

ولقد حاول النصارى أن يجعلوا دينهم عالمياً ، إلا أنه بحسب طبيعته لاينفع أن

---

(١) سبأ ٢٨ .

(٢) الأعراف ١٥٨ .

(٣) البخاري : ٨٦/١ .

(٤) أرسل رسول الله ﷺ في سنة ست بعد صلح الحديبية إلى هرقل وكسرى والنجاشي وملك القبط وملوك العرب انظر كتب السير والتاريخ أحداث سنة ست .

(٥) ابن تيمية : الجواب الصحيح ١٢٦/١ .

(٦) الأعراف ١٥٨ .

(٧) ابن كثير : ٢ / ٢٥٥ .

(٨) الحجرات ١٣ .

يكون عالمياً ، لأنه أنزل لقوم مخصوصين أولاً ، ثم أنه حرف ثانياً ، ثم نسخ ثالثاً . وقد ادعى بعض النصارى أن الإسلام دين مخصوص بقوم استناداً إلى بعض آيات القرآن الكريم التي تخصص الدعوة إما بعشيرة النبي ﷺ كما في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (١) أو بقومه عموماً كما قال تعالى ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ **لتنذر قوماً ماأُنذر آباؤهم فهم غافلون** ﴾ (٣) أو بمكة وماحولها من القرى كما قال تعالى : ﴿**لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ (٤) أو بكون القرآن عربي كما قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ **ولونزلناه على بعض الأعجمين . فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين** ﴾(٦)
والجواب عما ذكروه مايلي : –

إن الآيات السالفة المخصصة لاتنافي عموم الرسالة ، وآيات العموم التي ذكرت كلها مكية مما يدل على عالمية الدعوة منذ نشأتها ، يقول ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾(٧) وهذه النذارة الخاصة لاتنافي العامة بل هي فرد من اجزائها كما قال تعالى :﴿ **لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم فهم غافلون** ﴾ (٨) وقال تعالى : ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ (٩) وقال تعالى : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم** ﴾ (١٠)وقال تعالى : ﴿ **لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً** ﴾ (١١) وقال تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾(١٢) كما قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ (١٣) ، (١٤)ثم ساق حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾(١٥) قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « **يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ماشئتم** » انفرد بإخراجه مسلم : (١٦) ففائدة التخصيص في الآية لأن الأقربين إنذارهم أولى من إنذار غيرهم ، كما أن الآية تنفي شبهة انتفاعهم بالنبي ﷺ حتى إذا قصروا في العمل .

---

(١) الشعراء ٢١٤.
(٢) الزخرف ٤٤.
(٣) يس ٦.
(٤) الشورى ٧ ، الأنعام ٩٢.
(٥) يوسف ٢.
(٦) الشعراء ١٩٨ ، ١٩٩.
(٧) الشعراء ٢١٤.
(٨) يس ٦.
(٩) الشورى ٧ ، الأنعام ٩٢.
(١٠) الأنعام ٥١.
(١١) مريم ٩٧.
(١٢) الأنعام ١٩.
(١٣) هود ١٧.
(١٤) ابن كثير ٣ / ٣٩٤.
(١٥) الشعراء ٢١٤.
(١٦) ابن كثير ٣/٣٩٤–٣٩٥.

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تعليقه على الآية والحديث : (في هذا الحديث والآية دليل على أن القرب في الأنساب لاينفع مع البعد في الأسباب)[1] .

وقال الشوكاني – رحمه الله – : (خص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم)[2] .

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ في تفسير ﴿ **ليكون للعالمين نذيراً** ﴾[3] : (وهذا النص مكي ، وله دلالته على إثبات عالمية هذه الرسالة منذ أيامها الأولى لاكما يدعي بعض المؤرخين غير المسلمين ، أن الدعوة الإسلامية نشأت محلية ، ثم طمحت بعد اتساع رقعة الفتوح أن تكون عالمية ، فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين طبيعتها طبيعة عالمية شاملة ، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة)[4] .

أما الآيات التي تخص الإنذار والذكر بقوم النبي ﷺ كقوله تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾[5] فلا تنافي الإنذار العام لما سبق بيانه أن قومه أولى من غيرهم ، قال ابن جرير عن هذه الآية : تعني شرف لك ولقومك من قريش إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم** ﴾[6] أي شرفكم[7] وقال: « وقيل يعني الخلافة فإنها في قريش لاتكون لغيرهم » ثم ساق قولاً ثالثاً وهو أن المقصود من القوم من اتبعك من أمتك ورجح هذا القول حيث قال : (والصحيح أنه شرف لمن عمل به كان من قريش أو غيرهم)[8] .

وقوله تعالى : ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾[9] قال القرطبي – رحمه الله –: (ومن حولها من سائر الخلق)[10] والآيات الواردة أنه عربي لأنه لايفهمه إلا العرب وهذا لاينافي أنه لجميع البشر لأنه لابد أن ينزل بلغة الرسول .

---

(١) الطبري : محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ١٣/١٤٤ دار المعرفة – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٢) الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير ٤/١١٩-١٢٠ دار الفكر -بيروت (د.ت) .

(٣) الفرقان ١ .

(٤) قطب : سيد ، في ظلال القرآن ٥ / ٢٥٤٨ دار الشروق بيروت الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ .

(٥) الزخرف ٤٤ .

(٦) الأنبياء ١٠ .

(٧) ابن جرير : ١٧/٦ .

(٨) المرجع السابق ١٧/٧ .

(٩) الأنعام ٩٢ ، الشورى ٧ .

(١٠) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ١٦/٦ .

ورسالة الإسلام رسالة عالمية كما أسلفنا ، ومن درس الإسلام تبين له ذلك ، يقول النعساني : (إن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مبنية على أساس من الحكمة متين ، لا يزعزعه شيء ، ولا يؤثر عليه مؤثر ، ومبادئه عقلية بحتة ، لم يدخلها شيء من أوهام النفس ، ولا من خرافات الاعتقادات ، ولافاسدات العادات ، ولم تبن على إلف قوم مخصوصين من استحسان شيء واستقباح آخر ، وإنما بنيت على صرائح العقول التي تثبت في كل زمان وتصلح لكل قوم)[1] فالإسلام دين صالح للجميع ، لم يبن لقوم خاصة وإنما هو لجميع الناس ، بخلاف بقية الأديان والتي يناسب كل دين منها القوم الذي نزل عليهم ، أو البيئة التي نشأ فيها ، بل إن دين الإسلام دين للناس جميعاً ، وهم في هذا الدين سواء لايفضل أحد على أحد إلا بالتقوى ، بخلاف غيره يقول أحد نصارى العرب الذين منّ الله عليهم بالإسلام: (وإنني أعتقد مما لمسته من خلال احتكاكي بالغربيين أنهم يحتقرون النصارى العرب ويعتبرونهم نصارى من الدرجة الثانية أو الثالثة ، بل إن عامتهم لايكاد يصدق للوهلة الأولى بأن هناك عرباً يدينون بالمسيحية)[2] فدين الإسلام هو دين المساواة ، ومن نظر إلى شعائر الإسلام الظاهرة ، لاحظ فيها المساواة ، فالمسلمون يصلون صفوفاً متساوية لا فرق بين غني وفقير ، والصوم يجب على كل قادر ، والحج يلبس الناس لباساً واحداً في مكان واحد ، ويجب عليهم فيه شعائر واحدة ، وقد لاحظ هذه الخاصية من درس الإسلام من غير المسلمين ومن أقوالهم :

يقول المستر وينتروب كيهمبال الإنجليزي : (ولم ينتشر الإسلام في العالم أجمع هذا الانتشار العجيب من أقصى شواطئ المحيط الهادئ إلى أقصى شواطئ المحيط الأطلانتيكي في مدة قصيرة إلا لأنه امتاز بالمساواة والعدالة)[3] ، ويقول المستر .ك .ب أحد عظماء أوربا : « الإسلام هو أعظم دين ديمقراطي في العالم ، لأن الإسلام يوحد الخلق ويجعلهم أمة واحدة ، لافضل لعربيها على عجميها إلا بالتقوى)[4] .

---

(١) عبده ، الإسلام والرد على منتقديه ٣ من كلام المقدم محمد بدر الدين النعساني .

(٢) الراعي : واصف ؛ كنت نصرانياً ٣٣ .

(٣) الحسيني : مبشر الطرازي ، إلى الدين الفطري الأبدي ١ / ٩٠ .

(٤) المرجع السابق ٢ / ٢٤٨ .

الفصل الثاني

الحرية في الشريعة الإسلامية

تمـهـيـد

مبحث الحرية مهم في بيان الحوار مع أهل الكتاب ، إذلا يتصور حوار من غير حرية فلابد من بيان حرية إبداء الرأي والسماع للرأي المخالف ، مع المجادلة بالتي هي أحسن .

وفي هذا المبحث سـأبين ـ بإذن الله ـ الحرية العامـة في الإسلام ، وأنها قـائمة على الحرية المنضبطة ، وأنه يربى المسلم على ذلك . ثم أناقش بعض الشـبه المتعلقة بالحرية . ثم أبين مدى حرية أهل الكتاب داخـل الدولة الإسلامية ، سواء في حريتهم الشـخصية ، أو في عبادتـهم ، أو حرية إبداء الرأي والحوار مع المسلمين ، أبين هذا من التشريع الإسلامي ثم أعرج علـى التطبيق العمـلي ، وأبين مدى تسامح المـسلمين على وجه العـموم مع أهل الكتاب عندما كانوا تحت حكمهم ، ومدى تعصب أهل الكتاب في معاملة المسلمين .

الحريات في ظل النظام الإسلامي

تعريف الحرية :

الحرية في اللغة نقيض العبودية التي هي الرق ، والحر ضد العبد لذا يقال حرره أي أعتقه [١] .

وفي الإصطلاح يختلف تعريف الحرية ومدلولها باختلاف الزمان والمكان والمذهب السياسي ، فليس هناك تعريف منضبط للحرية ، وهذه المشكلة ليست في الحرية فحسب وإنما في كثير من المصطلحات المستخدمة بكثرة ، وكثير من المصطلحات الواضحة جداً يصعب إيجاد تعريف لها ، ومن هذه المصطلحات الحرية ، فإن دلالة اللفظ واضحة لكل أحد . ولكن لفظ الحرية واسع جداً مع وضوحه ، فهناك حرية سياسية ، وحرية اقتصادية وحرية فكرية ، وحرية إبداء الرأي ، وحرية دينية ، وحرية علمية ....الخ ، وقد تتداخل بعض هذه الأنواع وقد تتعارض ، وقد تختلف الأفهام في معنى الحرية ، كما في الحرب الأهلية الأمريكية عام ١٨٦٠م حيث كانت جميع الأطراف المتحاربة تدّعي أنها تحارب من أجل الحرية فالولايات الشمالية كانت تعني بالحرية تحرير الزنوج في الولايات الجنوبية كما أن الولايات الجنوبية تعني بالحرية تحرير الولايات الشمالية من الحكومة الفدرالية [٢] فكل يحارب من أجل الحرية حسب فهمه، يقول الرئيس الأمريكي لنكولن : إن الراعي يبعد الذئب عن الشاة ، ولهذا تشكر الشاة الراعي لأنه محررها ، بينما يستنكر الذئب تصرف الراعي باعتباره محطماً للحرية . وواضح أن الشاة والذئب ليسا متفقين على تعريف لكلمة الحرية [٣] .

ومن أمثلة ذلك الثورة الفرنسية ، فإنها نادت بشعار الحرية ، وانطلاقاً من هذا الشعار قررت الثورة إلغاء الجمعيات بكافة صورها ، وحصر انشطتها ؛ وذلك لتحرير الفرد من جميع الروابط التي من شأنها أن تعوق تكوين رأي عام ، وقد تم بالفعل إلغاء

---

(١) ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ٤/١٨١ دار صادر بيروت (د.ت)

(٢) الشيشاني : عبد الوهاب عبد العزيز ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة ٤ مطابع الجمعية العلمية الملكية – عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٣) الشيشاني : عبد الوهاب عبد العزيز ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة ٤ .

النقابات والجمعيات التي أصبحت فيما بعد في فرنسا وغيرها أحد مظاهر الحرية وعناصرها الأساسية [1] .

والحرية في النظام الرأسمالي تختلف عن الحرية في النظام الشيوعي أو الإشتراكي وهكذا ..

فليس هناك تعريف منضبط مجمع عليه للحرية ، وفي المبحث القادم سأبين الحرية العامة في الإسلام .

---

(١) المرجع السابق ٤ .

المبحث الأول

الحرية العامة في الإسلام

الإسلام هو دين الحرية فلا يقيد الإنسان إلا لمصلحة أعظم ، وذلك إذا تعارضت حرية الإنسان مع عبوديته لله ، أو مع حرية الآخرين ، أو أضرت به شخصياً ، فلا يجعل أي قيد على الحرية إلا لأمر قد تبين ضرره .

كما أن المجتمع الإسلامي مأمور بتطبيق هذه الحرية بالمعنى السابق والتي جاءت الشريعة بما يوافقها ، ويتبين هذا من عدة أمور :

أولا : إن المسلم مطالب بإعمال عقله فيما ينفعه كما مر معنا في خصائص الإسلام [1] ، كما حذر من الحجر عليه وهذا من حرية التفكير ، فقد دعا الله الناس إلى النظر والتدبر في الكون وذلك لمعرفة الحق ، وليكون المسلم على بصيرة من أمره ، قال تعالى : ﴿ **قل أنظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [3] .

كما حذر من الحجر على العقل سواء بالغفلة كما قال تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم أذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾[4] ويقول تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ **ولاتكن من الغافلين** ﴾ [5] أو بتقليد الأباء من غير تدبر وبصيرة قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون** ﴾[6] والآيات القرآنية التي تذكر العقل المهتدي بالمدح والثناء عديدة جداً ، وكذا الآيات التي تنبه إلى أهمية إعماله وهذا مالاتجده في الكتب السابقة ، يقول العقاد : (ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة إلى العقل وإلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضاً غير

---

(١) انظر ص ٤٩ من هذا البحث .

(٢) يونس ١٠١ .

(٣) محمد ٢٤ .

(٤) الأعراف ١٧٩.

(٥) الأعراف ٢٠٥ .

(٦) البقرة ١٧٠ .

مقصودة ، وقد يلمح فيها القارئ بعض الأحايين شيئاً من الزراية بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعوى والإنكار ، ولكن القرآن الكريم لايذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولاتأتي الإشارة إليه عارضة ولامقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله [١] أو يلام فيها المنكر على أهمال عقله وقبول الحجر عليه) [٢].

ومن اهتمام القرآن الكريم بالعقل والإقناع من غير إكراه اهتمامه بالحجة والبرهان فنجد أن القرآن الكريم يقيم الأدلة المتنوعة على المسائل التي يطلب من الناس الإيمان بها وقد قسم ابن تيميه أصول الدين إلى قسمين : - مسائل وهي مايحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به . والقسم الثاني وهو دلائل هذه المسائل الأصولية ثم يقول : (فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين والمتفلسفه أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق ، فدلالته موقوفة على العلم بصدق المخبر ، ويجعلون مايبني عليه صدق المخبر معقولات محضة . فقد غلطوا في ذلك غلطاً عظيماً ، بل ضلوا ضلالاً مبيناً في ظنهم : أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد ، بل الأمر ماعليه سلف الامة وأئمتها - أهل العلم والإيمان - من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره) [٣] ومن تدبر القرآن وجد الأدلة العقلية المقامة على توحيد الله ، وعلى البعث ، وعلى صدق النبي ﷺ ، وعلى صحة القرآن ، وعلى مسائل كثيرة . كما نجد في القرآن الرد على أصناف المنحرفين بأدلة عقلية محضه.

كما أنه يعتمد في حجاجه وتحدي خصومه على طلب البرهان ﴿ **أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم** ﴾ [٤] (ولا يوجد معنى لحرية الفكر أوسع ولا أجل من أن تطلب من مناظرك ــ مهما كان شأنه ـ أن يجيئك ببرهانه على صدق دعواه) [٥] والآيات المشابهة : كثيرة منها ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾ [٦] ﴿ **أئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين** ﴾ [٧] فالمؤمن مطالب بالتفكير واتباع

(١) تحكيم العقل على اطلاقه غير صحيح لقصور العقل ، وإنما يحكم وفق حدود الشريعة ، ولعل هذا مراد العقاد .
(٢) العقاد : التفكير فريضة إسلامية ٧ .
(٣) ابن تيميه : مجموع الفتاوى ٣ / ٢٩٦ . (٤) الأنبياء ٢٤ .
(٥) عرجون : محمد الصادق ؛ حرية الفكر في الإسلام١٧ مطبعة الأزهر القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
(٦) الأنعام ١٤٣ . (٧) الأحقاف ٤ .

الحجـة والبرهان من غير حجر على عقله أو تقليد بغير دليل ، وقد لاحظ هذا بعض النصارى من خلال تدبرهم لآيات القرآن الكريم يقول أحدهم تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾ (١) (يكفيك أيها المسيحي العربي المنصف مايمكن أن تدركه من أسرار الآية الكريمة التي صدرت بها مقالي هذا ، رغم كون ما أوتيه الإنسان من لوازم الإدراك إنما هو عقل مظلم خابي الشعاع ، فهي وحدها تعلن عن حرية الإسلام وحرية تابعيه ، وتطلق لهم عنان التفكير في الكون بجميع نواحيه ، وتترك لهم حرية السماع لكل الدعاة مهما اختلفت المقاصد وتباينت الأنواع (٢) ، لأن المفروض من العقلاء أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولو كان هناك ماهو أحسن من القرآن – قول الله الكريم – لما حرض على إستماع غيره ، فينصرف الناس عنه إلى ضده كما هو حاصل عند هيئات الأكليروس التي تحرم قراءة كتب غيرهم الدينية ، كما تحضر الاستماع لهم ، وماذلك إلا خشية المقارنة فيظهر للمقارن أن هناك قولاً أحسن من قولهم فيتبعه ، وفي ذلك من الحجر على حرية الأفكار مافيه ، ومن الإكراه في الدين والاعتقاد مابه ، ليمنع نظر المتدين في معتقده ليعرف صوابه من عواره ، إذاً فالإسلام دين الحرية ، والدين المسيحي بعد أن لبس ثوبه الافرنجي أصبح دين العبودية ، ومأأسخف إنساناً وهبه الله الحرية فباعها بلاثمن) (٣) .

ثانياً : الشورى : وفيها حرية إبداء الرأي واحترامه في كافة الأمور الإجتهادية، وهذاعام في أمورالعلم والسياسية والحرب والإقتصاد ، وحتى داخل القبيلة والأسرة، فلقد أمر الله نبيه ﷺ وهو أخير الناس عقلاً ، وأحكمهم رأياً والوحي ينزل عليه أن يستمع إلى آراء غيره ، بل أن يطلبها منهم كما قال تعالى : ﴿ **ولوكنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر** ﴾ (٤) مما يدل أنه لايجوز لأحد من بعده أن يترك هذا المبدأ العظيم لأي مصلحة كانت ،

---

(١) الزمر ١٨ .

(٢) هذا الكلام ليس صحيحاً على إطلاقه فهناك أمور يحرم الاستماع لها كالاستماع إلى الذين يتخذون آيات الله هزوا كما قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ الأنعام ٦٨ .

(٣) قبرصي : خليل اسكندر ؛ دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام ٨ – ٩. المطبعة السلفية – القاهرة. (د.ت) .

(٤) آل عمران ١٥٩ .

وخاصة أن هذه الآية نزلت في ظروف غزوة أحد يقول سيد قطب تعليقاً على الآية: ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾: ليقرر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله ، وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أياً كانت الأخطار التي تقع في أثناء التطبيق ، وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة ، كما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة ، ولوكان هو انقسام الصف ، كما وقع في أحد والعدو على الأبواب...لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ ، ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق) [١] وقد عمل بهذا المبدأ النبي ﷺ في حوادث كثيرة ، أهمها مشاورة النبي ﷺ أصحابه يوم بدر بالقتال وعدمه ، عندما قال : « **أشيروا علي أيها الناس** » [٢] ومشاورتهم يوم أحد لما قدم العدو إليهم لمقابلتهم أيخرج ؟ أم يتحصنون في المدينة ؟ وكان رأيه ﷺ ألا يخرج من المدينة ، وأن يتحصنوا فيها ، وكان رأي كثيرين من الصحابة الخروج ، فنزل عن رأيه إلى رأيهم [٣] . وفي صلح الحديبية أمر أصحابه بالنحر والحلق فلم يفعل أحد منهم ذلك، فدخل عليه الصلاة والسلام على أم سلمة وذكرلها ما لقي من الناس ، فأشارت إليه أن ينحر ويحلق ، فإذا رآه الناس فعل فعلوا ، فأخذ برأيها وكان نعم الرأي [٤] .

يقول ابن القيم في فوائد هذه القصة (ومنها استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجاً لوجه الرأي ، واستطابة لنفوسهم ، وأمناً لعتبهم ، وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض ، وامتثالاً لأمر الرب) [٥] .

والشورى من سمة المؤمنين حكاماً كانوا أو محكومين ،كما قال تعالى : ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[٦] فلا استبداد بالرأي، ولا كبت له ، يقول سيد قطب بعد هذه الآية: (والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة . وهو – كما قلنا – نص مكي كان قبل قيام الدولة الإسلامية . فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين ، إنه

---

(١) قطب : سيد ؛ في ظلال القرآن ١ /٥٠٢ .

(٢) ابن هشام : أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري السيرة النبوية ١/١٨٨ .مكتبة الكليات الأزهرية – الأزهر (د.ت)قدملها وعلق عليها عبد الرؤوف سعد وبعضها موجود في صحيح البخاري

(٣) ابن حنبل ٣/٣٥١ .

(٤) البخاري ٣/١٨٢ .

(٥) ابن القيم ؛ محمد بن أبي بكر ، زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٣٠٢ مؤسسة الرسالة بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

(٦) الشورى ٣٨ .

طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها ، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد .. والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة وخصائصها الذاتية) [1] .

ثالثاً : الدعوة إلى الإسلام لايمارس فيها أي نوع من أنواع الإكراه ، بل هي كما قال تعالى : ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [2] فالدعوة بيان للحق بحكمة وموعظة ومجادلة لاقسر فيها ولا إكراه ، كيف وقد قال تعالى : ﴿ **لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ [3] وقد ورد في تفسير هذه الآية أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال لعجوز نصرانية : أسلمي أيتها العجوز تسلمي ، إن الله بعث محمداً بالحق . قالت : أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب ! فقال عمر : اللهم أشهد ، وتلا ﴿**لا إكراه في الدين** ... الآية ﴾ [4] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي لاتكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه ، لايحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره ، فإنه لايفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً) [5] فبيان الحق كفيل باستجابة طالبه من غير إكراه ، بل إن المشرك المحارب إذا استجار المؤمن فله أن يجيره إلى أن يسمعه القرآن ويبين له الحق ، فإن لم يستجب فلا إكراه ولاضغوط ، وإنما يعلمه بأن عليه المغادرة وله الأمان إلى أن يصل إلى مأمن ، يقول تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون**﴾ [6] يقول سيد قطب مبيناً سماحة الإسلام وعدم الإكراه فيه : (والإسلام وهو أرقى تصور للوجود والحياة وأقوم منهج للمجتمع الإسلامي بلا مراء هو الذي ينادي بأنه لاإكراه في الدين ، وهو الذي بين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين ، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة ولايسمح لمن خالفها بالحياة) [7] .

أما القتال وصلته بالدعوة الإسلامية،فسأبينه في المبحث القادم في الشبه المتعلقة بالحرية.

---

(١) قطب : سيد ؛ في ظلال القرآن ٥/٣١٦٥ .

(٢) النحل ١٢٥ .

(٣) البقرة ٢٥٦ .

(٤) القرطبي ٣ / ٢٨٠ .

(٥) ابن كثير ١ / ٣١٠ .

(٦) التوبة ٦ .

(٧) قطب : سيد ؛ في ظلال القرآن ١ / ٢٩١ .

المبحث الثاني

شبه من طعن في الحرية الإسلامية

وهناك أمور لابد من بيانها ، فقد يظُن أنها تتعارض مع الحرية ، ومن ذلك : -

الشبهة الأولى : قد يقال أن عبادة الله والالتزام بأوامره فيها تقييد للحرية .

والجواب عن ذلك : أن هذا لايعارض الحرية وذلك لما يلي : -

أولا : إن الإنسان مفطور على عبوديته لله ، فهو يعبد الله اختياراً واقتناعاً ، كما أن عبودية الإنسان لخالقه فيها التحرر من عبودية ماسواه ، ومن التعلق بغير الله ، ومن أعرض عن عبادة الله فإنه ولابد أن يقع في عبودية غيره من عبودية هواه أو الشيطان أو عبودية البشر ، كما قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ **لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا** ﴾ (2) ومن أطاع الشيطان في معصية الله فهي من عبوديته ومن أعرض عن الله أغواه الشيطان لامحاله كما قال تعالى عن إبليس : ﴿ **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ (3) وقد رد الله عليه : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ (4) وعبودية الله أفضل من عبودية غيره لأن الله هو النافع الضار وحده . وقد قال ربعي بن عامر - رضي الله عنه - لرستم : (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) (5) .

ومن عبد الله وأطاعه ، فإنه يكون مستريح النفس ، ومطمئن البال ، ومن أعرض عن الله فإن له الضيق في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿ **فمن تبع هداي فلايضل ولايشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (6) .

ثانيا : إن المسلم ليقبل على هذا الدين ومافيه من شعائر بقناعة كاملة ، وبرغبة صادقة من نفسه ، وذلك لأن البراهين والآيات قامت على صحته ، وأنه الحق الذي لامرية فيه ،

---

(1) الجاثية ٢٣ .

(2) مريم ٤٤ .

(3) سورة ص ٨٢ ، ٨٣ .

(4) الحجر ٤٢ .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧ ، ٣٩ .

(6) طه ١٢٣ ، ١٢٤ .

فمعجزات النبي ﷺ وآياته الكثيرة الدالة على صدقه متواترة لديه ، وأعظم معجزاته وهو القرآن موجود بين يديه ، وهذه الشريعة بما فيها من محاسن عظيمة تدل على كمالها وعلى أنها من عند الله العزيز الحكيم قد حفظت ولم تندرس كما اندرس غيرها، ومامن دين إلا وقد انقضت معجزاته وذهبت إلا هذا الدين بقيت معجزاته العظيمة محفوظة منقولة بالتواتر.

ثالثاً : إن هذه الشريعة بما فيها من تقييدات إنما هي لمصلحة العبد ، وقد جاءت النصوص بإحلال النافع وتحريم الضار ، ورفع الحرج كقوله تعالى واصفاً النبي ﷺ ومبيناً صفته الموجودة في التوراة والإنجيل : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ [١] فما جاء الإسلام إلا بالنافع الطيب ، وماحرم إلا الخبيث الضار – سواء ظهرت حكمته للمكلفين وقت نزول الوحي أو لم تظهر– ويعجز أي أحد أن يأتي بأمر قام الدليل على فائدته وقد حرمه الإسلام ، أو بأمر تبين ضرره وقد أوجبه الإسلام كيف وقد قال تعالى : ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ [٢] وعند أهل الكتاب وسائر الديانات مما خفيت حكمته وجهل نفعه ما لايوجد عند المسلمين ، وما عندهم من الحرج والمشقة والأغلال الشئ الكثير الذي رفعه الله عن هذه الامة ، كما تبين من الآية السابقة وكما قال تعالى : ﴿**وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ [٣] بل وعند أهل الكتاب ماتبين للعقل بطلانه ومع ذلك يؤمنون به ويتقيدون به ، كالتثليث وانتقاص الرب والصلب والفداء وانتقاص الأنبياء واتهامهم بالفواحش .

الشبهة الثانية : مايردده البعض من أن الإسلام اعتمد على السيف وحده في نشر الدعوة ، أو أن المسلمين يكرهون غيرهم على الدخول فيه . وهذا غير صحيح ، وآيات القرآن الكريم تنفي الإكراه في الدخول في الدين ، كما قال تعالى : ﴿ **لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ [٤] وقد سبق بيان أن الدعوة الإسلامية إنما قامت على الحرية .

---

(١) الأعراف ١٥٧ .
(٢) الأعراف ٣٢ .
(٣) الحج ٧٨ .
(٤) البقرة ٢٥٦ .

أما القتال الذي أمر الله به فليس لإكراه الناس للدخول في الإسلام ، وإنما لإزالة العراقيل عن الدعوة الإسلامية ، وليس كما يقول بعض الذين تأثروا بالهجمة الاستشراقية ، إن القتال في الإسلام إنما كان لرد العدوان فقط لاغير ، أو لإزالة الفتنة عن المسلمين الموجودين في الدوله المقُاتَلة ، وحاولوا تأويل التاريخ الإسلامي ليتحمل هذا القول ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين** ﴾ (١) كما أولوا الآيات التي تأمر بقتال كافة المشركين (٢) .

والآيات التي في القرآن لايناقض بعضها بعضها ، فإن آيات القتال نزلت على مراحل ، فأول الإسلام كانوا مأمورين بالصبر منهيين عن القتال ، كما قال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ (٣) ، ثم أُذن لهم بقتال من قاتلهم -وكان هذا قبيل الهجرة بقليل- كما قال تعالى : ﴿ **أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ (٤) ثم أُمروا بقتال من قاتلهم كما قال تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين** ﴾ (٥) ، ثم أُمروا بقتال من يليهم من الكفار ، كما قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** ﴾ (٦) ثم أُمروا بقتال كافة المشركين -وكان هذا في آخر مانزل من القرآن- كما قال تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة ١٩٠ .

(٢) بعض المفكرين المعاصرين رأوا أن الجهاد الإسلامي قتال دفاعي فقط ، ومنهم محمد عزة دروزة انظر كتابه الجهاد في سبيل الله ٥٧ دار اليقظة العربية -دمشق-١٣٩٥هـ/١٩٧٥م . ومحمد أبو زهرة انظر كتابه العلاقات الدولية في الإسلام٨٩دار الفكر العربي-القاهرة- (د.ت) ومحمد وهبه الزحيلي انظر كتابه آثار الحرب في الفقه الإسلامي١٠٩دار الفكر-دمشق- (د.ت) وجمال الدين ظافر القاسمي انظر كتابه الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ١٦٠ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢م . وعبد المتعال الصعيدي انظر كتابه حرية الفكر في الإسلام٦٦دار الفكر العربي الطبعة الثانية (د.ت) وكان غرضهم من ذلك-عفا الله عنهم- الدفاع عن الإسلام ولكنهم لم يصيبوا في ذلك .

(٣) النساء ٧٧ .

(٤) الحج ٣٩ .

(٥) البقرة ١٩٠ .

(٦) التوبة ١٢٣ .

(٧) التوبة ٥ .

فأمرهم بقتال كافة المشركين ، ولم يقل إن كفوا عن الاعتداء فخلوا سبيلهم وإنما قيده بالإسلام ، كما أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، كما قال تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (١) .

فأمر الله بقتال كافة المشركين ابتداء ، وأما القول بأن الجهاد إنما شرع لرد العدوان فقط فلم أجد قائلاً به في كتب الفقه المختلفة ، ولم يقل به أحد من الأئمةالمتقدمين ، وأما قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا** ﴾ (٢) فإن هذه الآية منسوخة عند جماعة من العلماء ، ومن قال منهم أنها محكمة حملها على النساء والصبيان والرهبان ممن لم يقاتل (٣) ولايوجد في كتب التفاسير المتقدمة تحريم قتال الابتداء ، بل لم يختلف المفسرون في جوازه ، وإنما وقع الاختلاف في تحريم ابتداء القتال في الأشهر الحرم على قولين: - والأشهر أن تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام منسوخ كما قال ابن كثير (٤) . ولو كان الابتداء فيه خلاف لذكره العلماء كما ذكروا الخلاف في جواز ابتداء القتال في الشهر الحرام .

والمشهور من السيرة النبوية أن النبي ﷺ هو الذي بدأ بقتال أهل الكتاب بعد إرسال الرسل والكتب إليهم ، قال ابن كثير بعد قوله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الأخر ...** ﴾ (٥) (هذه الآية الكريمة أو الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهدت أمور المسلمين ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واستقامت جزيرة العرب ، أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ، ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك) (٦) كما أن الأحاديث النبوية تأمر بقتال المشركين دون ذكر الاعتداء كما في قوله ﷺ : « **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** » رواه البخاري ومسلم (٧) كما صح عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم أنه إذا أمر

---

(١) التوبة ٢٩ .
(٢) البقرة ١٩٠ .
(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٨/٨ .
(٤) ابن كثير ٣٥٥/٢ .
(٥) التوبة ٢٩ .
(٦) ابن كثير ٢ / ٣٤٧ .
(٧) البخاري ١١/١ - ١٢ - مسلم ٣٨/١ .

أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ثم قال : « **اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا فلا تغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ، ولاتقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ماأجابوك فاقبل منهم وكف عنهم –ثم ذكر الإسلام ثم الجزية ثم القتال** » [1] فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن القتال في الإسلام ليس دفاعاً فقط وإنما هو قتال لأمر الله (وإذا كان القتال عن أمر الله وشرعه كان القيام به من أكبر الفضائل وأعظم الوسائل لما فيه من بذل النفوس والأموال في مرضاة الله ، ومـاكان عن أمر الله فهو على وفق الحكمة والعدل ، لأنه صدر عن أمر الحكيم الخبير ، وقد قامت البراهين واتضحت الدلائل ؛ وظهرت المعجزات على أن محمداً رسول الله ، فبطل أن يكون قتال المسلمين لمن خالف الملة قتالاً بغير عدل)[2] .

كما أنه (إذا كان قتالك من ظلمك واعتدى عليك حتى يكف عن ظلمه واعتدائه لايكون ظلماً ولاقبيحاً ، فكيف يكون قتال الكافر بالله المكذب لرسوله وكتابه ، الآتي بأعظم وأكبر الذنب يقال فيه أنه بغير عدل) [3] وليس معنى هذا أن الكفار يجبرون على الإسلام فإن هذا لايتصور حقيقة لأن الإسلام في القلب (وإنما سيف الجهاد منفذ للشريعة موصل لها إلى أسماع المكلفين حتى يصغوا إليها ، فيعلموا أنها الحق فيعملوا بها باطناً وظاهراً..) [4] فالمسلم (لايقاتل من أجل فرض عقيدته على الناس وهم كارهون إنما يقاتل لإزالة القوى الجاهلية التي تمنع وصول الحق للناس دون حواجز نفسية أو حسية أو مادية ، ممثلة في نظم جاهلية لها في حس الناس ثقل ، فإذا أزيلت الحواجز فلا إكراه في الدين) [5] فلم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناق عقيدته ، ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه ! إنما جاهد ليقيم نظاماً آمناً ، يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً ، ويعيشون في إطاره ، خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته [6] .

---

(١) مسلم ، ٥/١٤٠ .

(٢) آل معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ٢٨٤ .

(٣) آل معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق ٥٤ .

(٥) قطب : محمد ؛ مذاهب فكرية معاصرة ٥٩٩ .

(٦) قطب : سيد ؛ في ظلال القرآن ١ / ٢٩٥ .

ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ [١] .

الشبهة الثالثة : وهي القول بأن قتل المرتد عن الإسلام يعارض الحرية [٢] . وهذا أيضاً من تأثير الاستشراق وإلا فالنصوص قد دلت على قتله كما في الآيات العديدة التي تأمر بقتال الكفار كما قال تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ [٣] وكما ثبت عن النبي ﷺ في صحيح البخاري قوله : « **من بدل دينه فاقتلوه** » [٤] وقد قاتل الصديق والصحابة رضي الله عنهم المرتدين ومانعي الزكاة [٥] . كما أحرق علي رضي الله عنه زنادقة مرتدين فأنكر عليه ابن عباس الإحراق وقال لو كنت أنا لقتلتهم [٦] . وهذا القول هو الموجود في كتب المذاهب الأربعة المشهورة [٧] لاخلاف فيه إلا أن المرتدة عند الأحناف لاتقتل وإنما تسبى [٨] . بل ولانجد خلافاً مطلقاً في قتل المرتد بل هو مما أجمع عليه أئمة الدين [٩] .

فلا يجوز أن ندع هذا الحكم الصريح الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه أئمة الدين لشبهة زائفة لاسند لها ولادليل .

---

(١) الأنفال ٣٩ .

(٢) صعيدي ، حرية الفكر ٧٢ ، ٧٣ وقد جعل لأي مسلم أن يرتد عن الإسلام وكان عفا الله عنه يريد نصر الإسلام بذلك وأبعاد الشبهات عنه ، ولكنه كان شديداً على علماء الإسلام متأثراً بالهجمة الاستشراقية مما أحدث رد فعل عنده فخالف إجماع أهل العلم في قتل المرتد ولم يكتف بذلك بل اتهمهم بالجمود مع أنه مذهب الأئمة الأربعة ، وكان مما قاله (وسنذهب فيها مذهباً جديداً يخالف فيه انصار الجمود ولهم جمهرتهم وسلطانهم) ..

(٣) التوبة ٥ .

(٤) البخاري ٢١/٤ ، ٥٠/٨ .

(٥) المرجع السابق ٥٠/٨ .

(٦) المرجع السابق ٢١/٤ ، ٥٠/٨ .

(٧) انظر ابن الهمام : كمال الدين محمد بن عبد الواحد شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي ٦٨/٦-٧٢مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة- الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .

القرطبي : يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري ، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ١٠٨٩/٢ تحقيق د. محمد محمد الموريتاني .مكتبة الرياض الحديثة الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

الشافعي : محمد بن ادريس ، الام١٥٦/٦دار المعرفة بيروت.الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

وابن قدامه : عبد الله ابن أحمد ، المغني ١٢٣/٨ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض (د.ت) .

(٨) ابن الهمام : شرح فتح القدير ٧٢/٦ .

(٩) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٠٥/٣٥ .

كما أن قتل المرتد لايعارض الحرية وذلك أن المرتد قد أقدم على الإسلام باختياره ، وآمن بالله ورسوله ، وأصبح واحداً من جماعة المؤمنين ، فلا يجوز له الخروج عنهم والكفر بما آمن به .

كما أن الارتداد فيه إثارة للبلبلة وتشويش على المسلمين ، فمن حفظ الدين وصيانة المجتمع قتل هذا المرتد ، وهذه المصلحة أعظم من أي مفسدة .

الشبهة الرابعة : الرق وقد أباحه الإسلام مع معارضة الرق للحرية . وأقول إنه لاشك أن الرق فيه سلب للحرية ، وإن الإسلام أباحه بطرق شرعية ، وعبر عنه القرآن بملك اليمين ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**﴾(١) وهو ثابت في السنة النبوية ولم يختلف المسلمون في جواز الملك بالرق (٢) . ولكن هل هذا يعني معارضة الإسلام للحرية ؟ والجواب من وجوه عدة : -

أولاً : إن سبب الملك بالرق هو الكفر ، ومحاربة الله ورسوله . فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم ، وجميع قواهم ، وماأعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار جعلهم ملكا لهم بالسبي ، إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء ، لما في ذلك من المصلحة للمسلمين .

وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة . وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ، ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾ (٣) . وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ (٤) وفي الآية الأخرى في سورة النحل : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم** ﴾ (٥) وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه ؛ كما قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ (٦) . فتمرد الكفار على ربهم وعتوا ، وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا،

---

(١) المؤمنون ٥ ـ ٦ .

(٢) الشنقيطي. محمد الأمين ، أضواء البيان٧/٩١٤ عالم الكتب بيروت (د.ت) .

(٣) الذاريات ٥٦ .

(٤) إبراهيم ٣٤ .

(٥) النحل ١٨ .

(٦) النحل ٧٨ .

واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربته وارتكاب مايسخطه، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره. وهذا أكبر جريمة يتصورها الإنسان. فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جل وعلا عقوبة شديدة تناسب جريمتهم، فسلبهم التصرف[1].

ولو فرضنا ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك بالرق، وتشنع في ذلك على دين الإسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النعم، وتسدي إليه جميع أنواع الإحسان، ودبر عليها ثورة شديدة يريد بها إسقاط حكمها، وعدم نفوذ كلمتها، والحيلولة بينها وبين ماتريد من تنفيذ أنظمتها، التي يظهر لها أن بهما صلاح المجتمع، ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة، فإنها تقتله شر قتلة. ولاشك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه؛ فهو أشد سلباً لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل. والكافر قام ببذل كل مافي وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه؛ ليسير عليه خلقه فينتشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية، وتنتظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسماها ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[2] فعاقبه الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف، ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك.

فإن قيل: إذا كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال؟

فالجواب: أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء: أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لاخفاء بها. فالمسلمون عندما غنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع، وهو الحكيم الخبير. فإذا استقر هذا الحق وثبت، ثم أسلم الرقيق، بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبوقاً بحق المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام، وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه؛ كما هو معلوم عند العقلاء. نعم، يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم، وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه، وفتح له الأبواب الكثيرة[3].

---

(١) الشنقيطي. محمد الأمين، أضواء البيان ٣ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٢) النحل ٩٠.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان ٣/٤٢٥-٤٢٦.

كما سيأتي .

ثانياً : الاسترقاق في الإسلام إنما كان معاملة بالمثل حيث كان الأسرى يُسترقون يقول سيد قطب عن الرق في الإسلام : (إنه كان لمواجهة أوضاع عالمية قائمة ، وتقاليد في الحرب عامة . ولم يكن ممكناً أن يُطبق الإسلام في جميع الحالات النص العام ﴿ **فإما مناً بعد وإما فداء** ﴾ [1] في الوقت الذي يسترق فيه أعداء الإسلام من يأسرونهم منهم من المسلمين ، ومن ثم طبقه الرسول ﷺ في بعض الحالات فأطلق بعض الآسارى مناً ، وفادى ببعضهم أسرى المسلمين ، وفادى بعضهم بالمال . وفي حالات أخرى وقع الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لاتعالج بغير هذا الإجراء) [2].

وليس معنى هذا أن الامام لايسترق إذا كان أعداء المسلمين لايسترقون ، فإن الامام مخير بين المن والفداء والقتل والرق [3] حسب المصلحة في ذلك . فقد يكون الرق فيه تخويف لأعداء الإسلام من محاربته ، وقد تكون المصلحة مبادلة الأسرى إذا كان العدو قد أسر بعض المسلمين وهكذا ..

ثالثاً : إننا بقولنا أن الاسترقاق في الإسلام يعارض الحرية فإن هذه المقولة نابعة من نظرتنا إلى الرق ، ونحن ننظر إليه في ظروف القرن العشرين ، ننظر إليه في ضوء الشناعات التي ارتكبت في عالم النخاسة ، والمعاملة الوحشية البشعة التي سجلها التاريخ في العالم الروماني خاصة ، فنستفظع الرق ، ولاتطيق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة أمراً مشروعاً يقره دين أو نظام [4] بينما يجب أن ننظر إلى الرق في ضوء الإسلام الذي أمر بحسن معاملة الرقيق كما قال عليه الصلاة والسلام : « **إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممايأكل ويلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم** » متفق عليه [5] .

كما أمر بتعليمهم وتربيتهم ، كما قال عليه السلام : « **من كانت له جارية فعالها فأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران** » رواه البخاري [6] .

كما حفظ كافة حقوقهم وحذر من التعدي عليهم بغير حق ، كما قال ﷺ:

---

(١) محمد ٤ .

(٢) قطب : سيد ؛ في ظلال القرآن ٦/٣٢٨٥ .

(٣) ابن قدمة ، المغني ٨/٣٧٢ .

(٤) قطب : محمد ؛ شبهات حول الإسلام ٣٨ ، دار الشروق الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٥) البخاري ٣ /١٢٣ ، مسلم : – ٥/٩٣ .

(٦) البخاري : – ٣/١٢٣ .

« **من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » رواه مسلم [1] وقال ﷺ :« **من ضرب غلاماً له حدالم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه** » رواه مسلم [2] .

كما أن طاعة العبد لسيده ونصحه له من أعظم البر ، كما قال عليه السلام : « **إن العبد أذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة ربه ، فله أجره مرتين** » متفق عليه [3] .

رابعاً : إن الإسلام لم يبح الرق إلا في أسرى الحرب الذين أقدموا باختيارهم ، وحاربوا كلمة التوحيد ، ومع ذلك فإن الإسلام سعى لإعتاق العبيد بطرق عديدة بل وأوجب الإعتاق وحض عليه في حالات عديدة جداً منها :

أولاً : جعله كفارة لمن يقتل مؤمناً خطئاً ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله** ﴾ [4] .

ثانياً : جعله كفارة لمن يقتل رجلاً من المعاهدين : ﴿ **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ [5] .

ثالثاً : جعله كفارة للظهار ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** ﴾ [6] .

رابعاً : جعله كفارة للأيمان ، كما قال تعالى : ﴿ **لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة** ﴾ [7] .

خامساً : جعل الله عتق الرقاب من مصارف الزكاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله** ﴾ [8] .

سادساً : أنه جعل عتق الرقاب من أفضل الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة**

---

(١) مسلم : - ٥/٩٢ .
(٢) مسلم : - ٥/٩٠ .
(٣) البخاري ٣/١٢٣ ، مسلم ٥/٩٤ .
(٤) النساء ٩٢ .
(٥) النساء ٩٢ .
(٦) المجادلة ٣ .
(٧) المائدة ٨٩ .
(٨) التوبة ٦٠ .

والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة ... ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **فلا اقتحم العقبة . وماأدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ [2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار** » رواه البخاري ومسلم [3] .

سابعاً : أمر بمكاتبة العبد على قدر من المال ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي اتاكم** ﴾ [4] .

وهكذا فإن الإسلام سعى لتحرير الأرقاء بكافة الطرق ، وفتح أبواب التحرير .

---

(١) البقرة ١٧٧ .

(٢) البلد ١١ - ١٤ .

(٣) البخاري : - ٣/١١٧ ؛ مسلم ٤/٢١٧ .

(٤) النور ٣٣ .

المبحث الثالث

حرية أهل الكتاب في النظام الإسلامي

أولاً : **حريتهم الشخصية** [النفس والمال] : لقد كفل الإسلام لأهل الكتاب الحرية الشخصية إذا هم أدوا الجزية ، كما قال تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر، ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (١) والجزية لاتؤخذ إلا من الحر البالغ الذكر القوي على الاكتساب ، ولاجزية على النساء ، ولا على الصبيان ، ولاعلى المجانين ولاعلى الرهبان ، ولاعلى شيخ فان ، ولاعلى فقير ، كما لايكلف الأغنياء الأداء عن الفقراء (٢) وعلى هذا فإن العدد الذي يؤدي الجزية قليل جداً كما أنها مبلغ سنوي زهيد ، ولاتؤخذ الجزية من الثمار والتجارة والزرع إلا العشر من أموالهم إذا باعوا ، ومن العلماء من لم يأخذ إلا مرة واحدة في السنة وهو مذهب عمر بن عبد العزيز (٣) .

والوصية بأهل الذمة والمعاهدين كثيرة جداً في كلام رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة من بعدهم ، سواء بحفظ عهدهم وعدم الاعتداء عليهم ، أو بعدم تكليفهم مالا يطيقون ، ومن تلك النصوص قول النبي ﷺ : «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً** » رواه البخاري (٤) .

وقوله ﷺ : « **إذا ملكتم القبط فأحسنوا إليهم فإن لهم ذمة وإن لهم رحماً** »(٥) : قال عبد الرزاق الصنعاني (٦) : إن لهم رحماً يعني أم إبراهيم ابن النبي ﷺ (٧) .

---

(١) التوبة ٢٩ .

(٢) ابن الهمام ، شرح فتح القدير ٥٢/٦ ، القرطبي ، الكافي ٤٧٩/١ ، الشافعي ؛ الام ١٧٥/٤ المقدسي : بهاء الدين عبد الرحمن ، العدة شرح العمدة ٦١٧ ، تقديم وتحقيق محب الدين الخطيب ، (د.ت) .

(٣) لقرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٨ / ١١٢ - ١١٣ .　　(٤) البخاري ٤ /٦٥ .

الصنعاني عبد الرازق بن همام : المصنف ٦ /٥٨ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٥) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني من حفاظ الحديث الثقات له الجامع الكبير قال الذهبي هوخزانة علم ، توفي ٢١١هـ الزركلي ؛ الأعلام ٣٥٣/٣ .

(٦) المرجع السابق ٦ / ٥٩ .

ولما قالوا لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أوصنا يا أمير المؤمنين ، قال : « أوصيكم بذمة الله ، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم » رواه البخاري [١] ولما أوصى عمر الخليفة من بعده قال : « أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ..حتى بلغ – وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لايكلفوا فوق طاقتهم » [٢] وفي وصية علي – رضي الله عنه – لعامله على الخراج : « انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولاصيف ، ولارزقاً يأكلونه ولادابة يعملون عليها ، ولاتضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم ، ولاتقمه على رجله في طلب درهم ، ولاتبع لأحد منهم عرضاً في شئ من الخراج ، فإنا إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فإن أنت خالفت ما أمرتك به فآخذك الله به دوني ، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك »[٣] وقال عبد الله بن عباس : « ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو » [٤] وفي نصيحة أبيوسف للرشيد [٥] : « وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك ، وابن عمك محمد ﷺ ، والتفقد لهم حتى لايُظلموا ولايُؤذوا ولايُكلفوا فوق طاقتهم » [٦] ولو أتينا بكلام أهل العلم في ذلك لطال المقام ، وإنما أتينا بأمثلة على أن الشريعة الإسلامية كفلت لأهل الذمة حريتهم الشخصية ، وحمايتهم في النفس والمال .

ثانياً : حريتهم في إقامة الشعائر التعبدية والإلتزام بدينهم :

وذلك أن الإسلام لايمنع أهل الكتاب من إقامة دينهم بحرية كاملة ، بل ويسمح لهم بإظهار شعائرهم في أراضيهم التي صولحوا عليها ، ولايسمح لهم بإعلان ذلك في أرض المسلمين ، وقد سئل ابن عباس هل للمشركين أن يتخذوا الكنائس في أرض العرب؟ فقال : « أما ما مصّر المسلمون فلا تُرفع فيه كنيسة ولا بيعة ، ولا بيت نار ولا صليب ، ولايُنفخ فيه بوق ، ولا يُضرب فيه ناقوس ، ولايُدخل فيه خمر ولاخنزير،

---

(١) البخاري ٤ / ٦٤ .

(٢) ابويوسف: يعقوب بن إبراهيم؛ الخراج ٤٩ تحقيق د.محمدإبراهيم البنا .دار الإصلاح د .ت .

(٣)المرجع السابق ٥٢ .   (٤) المرجع السابق ٢٥٤ .

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب أكبر أصحاب أبي حنيفة من العلماء الثقات تولى القضاء وهو أول من لقب قاضي القضاة له كتابه المشهور الخراج توفي سنة ١٨٢هـ ابن كثير :البداية والنهايه١٠/١٨٠ .

(٦) أبو يوسف ، الخراج ٢٥٧ .

وماكان من أرض صولحت صلحاً ، فعلى المسلمين أن يفوا لهم بصلحهم » (١) ولما فتح المسلمون الشام لم يهدموا شيئاً من الكنائس التي كانت موجودة ، بل تُركت على حالها (٢) .

كما أنهم يُقرون على الخمر والخنزير والربا إذا ستروه ولم يظهروه (٣) .

ويجوز للإمام أن يجعلهم يتحاكمون إلى أهل دينهم ولايحكم بينهم كما قال تعالى : ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ (٤) .

قال الزهري : (مضت السنة أن يُردوا في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم إلا أن يأتونا راغبين في حد نحكم بينهم فيه ، فنحكم بينهم بكتاب الله) (٥) وذلك إذا تحاكموا بينهم أقر حكمهم وإذا كان ذلك يؤدي إلى الفوضى فللإمام أن يحكم بينهم بكتاب الله منعاً للفساد ، قال ابن جرير : (ونحن مخيرون إن شئنا حكمنا بين أهل الكتاب بحكمنا بيننا وإن شئنا تركناهم وحكمهم) (٦) وقد كتب محمد بن أبي بكر إلى علي – رضي الله عنه – يسأله عن مسلم زنى بنصرانية فكتب إليه : أن أقم الحد على المسلم وادفع النصرانية إلى أهل دينها (٧) .

وحاصل ذلك أن أهل الكتاب لهم أن يؤدوا عبادتهم بحرية تامة ، ولكن ليس لهم أن يبنوا المعابد في ديار المسلمين ، كما أن لهم أن يشربوا الخمر ويأكلوا الخنزير ولكن بشرط ألا يظهروا شيئاً من ذلك ، لأن إظهارهم لذلك فيه مفسدة على المسلمين ، وإخلال بنظام دينهم. كما أن لهم حرية التحاكم إلى كبارهم وعلمائهم دون الرجوع إلى حكم الإسلام ، كما أنه لايجوز لمسلم أن يكرههم على ترك دينهم ، أو شيئاً منه ، أو يجبرهم على الإسلام أو أحد شعائره ، بل لايجوز للحاكم المسلم أن يفعل ذلك .

ثالثاً : مدى حريتهم في الدعوة إلى دينهم والمجادلة عنه أو نقد دين المسلمين .

أما مايجوز لهم فإن لهم أن يعلموا صبيانهم دينهم ، كما أن لهم الاجتماع لتدارس أمور دينهم وذكر محاسنه بينهم بحرية تامة . كما أن لهم محاورة علماء المسلمين والمجادلة معهم عن دينهم بالتي هي أحسن ، ولهم في موقف الحوار أن يذكروا شبهاتهم

---

(١) الصنعاني ، المصنف ٦ / ٦٠ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ٢٨٦ .

(٣) القرطبي ، الكافي ١ / ٤٨٤ .

(٤) المائدة ٤٢ .

(٥) الصنعاني ، المصنف ٦ / ٦٢ .

(٦) المرجع السابق ٦ / ٦٢ .

(٧) المرجع السابق ٦ / ٦٢ .

في دين الإسلام ، لأن النبي ﷺ حاور اليهود والنصارى بل والمشركين ، واستمع إلى شبهاتهم وأجاب عنها (إلا أنه ليس لهم أن يسيئوا استعمال هذه الحرية ، أو حرية إبداء الرأي ، فيقوموا مثلاً بالتجوال في أنحاء الدولة الإسلامية لحمل المسلمين على الردة عن الإسلام بحجة التعليم أو إبداء الرأي ، لأن الردة جريمة في نظر الإسلام ، ولاتجوز المساهمة في وقوع الجريمة)[1] وذلك أنهم إذا فتنوا مسلماً عن دينه أو سبوا الله عز وجل ، أو كتابه أو دينه ، أو سبوا النبي ﷺ ، فإنه ينتقض العهد بذلك عند جمهور أهل العلم[2] قال ابن المنذر : أجمعوا على أن على من سب النبي ﷺ القتل[3] . وهذا مذهب مالك[4] والشافعي[5] وأحمد[6] ، وقال أبو حنيفه : لا يُقتل لأن الذي هم عليه من الشرك أعظم[7] ، ولكن إن تكرر ذلك منه قتل عند بعض الأحناف تعزيراً[8] وهذا الخلاف في نقض العهد وعدمه ، أما الجواز فلا يقول به أحد من العلماء ، ومن لم ير قتله فإنه يقول يعزر على إظهار السب ، كما يعزر على إظهار سائر المنكرات[9] .

وقد أخطأ كثير من المعاصرين في جعل الحرية لأهل الكتاب وغيرهم بنقد الإسلام أو إبداء آرائهم بحرية كاملة من غير تقييد[10] وهذا فيه مفسدة عظيمة . يقول محمد

---

(١) زيدان : عبد الكريم ، أحكام الذميين في الشريعة الإسلامية ص ١٠١ بغداد الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م لايوجد دار نشر .

(٢) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٠ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٣) ابن المنذر : أبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ؛ الإجماع تحقيق أبو حماد حفيد أحمد بن محمد بن حنيف دار طيبة للنشر والتوزيع ؛ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٤) الدسوقي : سيدي أحمد الدردير ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/٢٠٥ دار إحياء الكتب العربية ﴿ د .ت ﴾ .

(٥) الشافعي ، الام ٤/١٩٧ .

(٦) ابن قدامة ، المغني ٨ / ٥٢٥ .

(٧) ابن الهمام ، شرح فتح القدير ٦/٦٢ .

(٨) ابن عابدين : محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الرد المختار ٤/٢١٥ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ .

(٩) ابن تيمية ، الصارم المسلول ١٠ .

(١٠) انظر المودودي : أبو الأعلى : حقوق أهل الذمة ٣٢ دار الفكر (د . ت) وقد أباح لهم نقد الإسلام . وعثمان: عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية ٦٤ مؤسسة الرسالة الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م حيث قال - وإذا كان الإسلام قد اطلق حرية التفكير فإنه من الطبيعي أن يتبعها بحرية التعبير عن هذا الفكر بشتى أنواع التعبير أي سواء كان تعبيراً باللسان أو القلم وهذا مايسمى بحرية الرأى .

محمد حسين : (وكثير من أصحاب الشهوات والمأجورين والمخدوعين ومطايا الشياطين من الفاسدين والمفسدين يروجون ما عندهم تقديساً للوهم الذي أقامته الثورة الفرنسية اليهودية، فزخرفت له اسماً خداعاً خلاباً فسمته حرية الرأي أو حرية النشر أو حرية الفرد ، وما هو في حقيقة الأمر إلا وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات ، وهدم كل الأديان)[١]، والإسلام لايقر مثل هذه الحرية التي يُسب فيها الله ورسوله ودينه علنا ، حتى لوكان ذلك من أهل الكتاب ، والأدلة على منعهم من ذلك كثيرة جداً منها :-

أولاً : قال تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾[٢] قال ابن تيمية : (وإذا كان الصَّغَار حالاً لهم في جميع المدة فمن المعلوم أن من أظهر سب نبينا في وجوهنا ، وشتم ربنا على رؤوس الملأ منا ، وطعن في ديننا في مجامعنا فليس بصاغر ، لأن الصاغر الذليل الحقير ، وهذا فعل متعزز مراغم بل غاية مايكون من الإذلال لنا والإهانه)[٣] .

ثانياً :قال تعالى : ﴿ **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، إن الله يحب المتقين** ﴾[٤] (فعُلم أن العهد لايبقى لمشرك إلا مادام مستقيماً ، ومعلوم أن مجاهرتنا بالشتيمة والوقيعة في ربنا ونبينا وكتابنا وديننا يقدح في الاستقامة كما تقدح مجاهرتنا بالمحاربة في العهد)[٥] .

ثالثاً : قال تعالى : ﴿ **ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول** ﴾[٦]، (فجعل همهم بإخراج الرسول من المحرضات على قتالهم ، وماذاك إلا لما فيه من الأذى وسبه أغلظ من الهم ، بدليل أنه ﷺ عفا عام الفتح عن الذين هموا بإخراجه ، ولم يعف عمن سبه . فالذمي إذا أظهر سبه فقد نكث عهده)[٧].

---

(١) حسين : محمد محمد ؛ حصوننا مهددة من داخلها ٤٤ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢) التوبة ٢٩ .

(٣) ابن تيمية : الصارم المسلول ١٠ . ١١ .

(٤) التوبة ٧ .

(٥) ابن تيمية : الصارم المسلول ١٣ .

(٦) التوبة ١٣ .

(٧) ابن تيمية : الصارم المسلول ١٨ .

رابعاً : فعل النبي ﷺ فإنه أمر بقتل كعب بن الأشرف لما تكرر منه الطعن في دين الله ورسوله ، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : « **من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله . فقام محمد بن مسلمة فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله !! قال نعم** ... الحديث »[1] .

خامسا : ومن الأدلة إجماع أهل العلم على أن أهل الذمة وغيرهم لايجوز لهم إظهار مسبة الله ودينه ورسوله ، وأنهم لم يُقروا على ذلك كما أُقروا على ماهم عليه من الكفر[2] ، أما ما يقولونه سراً فإن عهدهم لاينتقض به فإن هذا لابد منه ، وإنما ينتقض بما يظهرونه[3] .

ومن أجاز لهم ذلك احتج بقصة اليهودي الذي قدم إلى النبي ﷺ وقال السأم عليكم ، فلم يعاقبه النبي عليه الصلاة والسلام مع علمه بما قال[4] والجواب على ذلك من وجوه :-

أولاً : أنه لما قال ذلك قال الصحابة : ألا نقتله . وهذا دليل على أنه كان مستقراً عندهم قتل الساب من اليهود ، لما رأوا قتل كعب بن الأشرف وغيره ، فنهاهم النبي ﷺ عن قتله ، وأخبرهم أن مثل هذا الكلام حق أن يقابل بمثله ، لأنه ليس إظهار السب إنما هو سر كأسرار المنافقين[5] .

ثانياً : أن النبي ﷺ له أن يعفو عمن سبه في حياته ، كما عفا عن الخارجي الذي قال له : اعدل فإنك لم تعدل . امتثالاً لأمر الله:﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[6] وليس لأحد هذا الحق إلا النبي عليه السلام[7] بل إن الله فرض على المؤمنين تعزير رسوله وتوقيره ، وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق ، فلايجوز أن نصالح أهل الذمة أن يسمعونا شتم نبينا .[8] وشتم الله وكتابه ودينه كشتم النبي ﷺ أو أعظم .

---

(١) البخاري ٥/٢٥ ، مسلم ٥/١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) ابن تيمية : الصارم المسلول ١٠ . ١١
(٣) المرجع السابق ٢٢٤ .
(٤) البخاري : ٧ / ١٣٣ ، ١٣٤
(٥) ابن تيمية : الصارم المسلول ٢٢٥ .
(٦) الأعراف ١٩٩
(٧) ابن تيمية ، الصارم المسلول ٢٣٣ .
(٨) المرجع السابق ٢٠٩ .

وخلاصة هذا المبحث ثلاثة أمور :-

أولاً : إن لأهل الكتاب الحرية التامة فيما بينهم ، وفي مجتمعاتهم حول إبداء آرائهم ومعتقداتهم ، بل وبما يضمرونه من كراهة لدين الإسلام إذا لم يظهر في قول أوعمل.

ثانياً : إنه ليس لهم إظهار نقد للإسلام ، أو محاسن دينهم ، أو مسبة لله ولدينه ولرسوله في مجامع المسلمين ، بل يعاقبون على ذلك .

ثالثاً : لهم في موقف الحوار المجادلة عن دينهم بالتي هي أحسن ، وإبداء ماعندهم من شبهات مع علماء المسلمين .

المبحث الرابع

مقارنة عملية في الحرية بين أهل الكتاب والمسلمين

ختاماً لهذا الفصل أود أن أعقد مقارنة سريعة بين تطبيق أهل الكتاب للحرية وتطبيق المسلمين لها ، والغرض من هذه المقارنة ليس الطعن في أهل الكتاب ، وإنما إظهار مزية الإسلام من جهة ، والرد على أهل الكتاب الذين يطعنون في الإسلام من جهة أخرى ، رغم أنهم بعيدون عن تطبيق الحرية .

أولا : أهل الكتاب والحرية :-

يحفظ لنا التاريخ الكثير من تعصب أهل الكتاب ، وسلبهم للحريات ، ولاأستطيع إحصاء كل ماكتب ولكن سأذكر شيئاً منه :

أولاً : من نظر إلى الحرب في الأسفار المقدسة وجد الاختلاف البين بينها وبين الجهاد الإسلامي ، فنجد في التوراة الأمر بضرب جميع ذكور القرية إذا فتحت بحد السيف كما لا نجد الشفقة والرحمة وسأكتفي بهذا النص « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما » (١) .

ثانياً : الاضطهاد المسيحي لليهود وذلك بعد القرن الثالث الميلادي بعد تنصر قسطنطين ملك الرومان ، ومن تلك الاضطهادات أن الملك أمر : ألا يسكن بيت المقدس اليهود ولايمرون بها ومن لم يتنصر يقتل ، فتنصر من اليهود خلق كثير(٢) .

---

(١) سفر التثنية ٢٠:١٠ - ١٧ .

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٨ .

ثالثاً : اضطهاد النصارى بعضهم لبعض للخلافات الدينية ، فنجد أن الكنيسة الرومانية استعملت مرات كثيرة الطرد والاضطهاد ضد البروتستانت وذلك في ممالك أوربا ، وقد بلغ من أحرق بالنار قرابة مئتان وثلاثون ألفاً. وكارلوس الخامس سنة ١٥٢١م أصدر أمراً بطرد البروتستانت من بلاد الفلامنك برأي البابا ، وبسبب ذلك قتل خمسمائة ألف ، وفي فرنسا قتل في يوم واحد ثلاثون ألف رجل .

وفي مدينة كالابري الإيطالية سنة ١٥٦٠م قتل الألوف من البروتستانت ، يقول أحد الكتاب الرومان : إنني أرتعد كلما تذكرت ذلك الجلاد والخنجر الدموي بين أسنانه، والمنديل يقطر دماً وهو متلطخ اليدين إلى نهاية المرفقين ، يسحب واحداً بعد واحد من المساجين كما يفعل الجزار بالغنم (١) .

رابعاً : اضطهاد النصارى للمسلمين ، ومن تدبر التاريخ وجد أن أكبر اضطهاد واجهه المسلمون كان من أهل الكتاب ، رغم ماوجده أهل الكتاب من تسامح من المسلمين ، ويتبين هذا الاضطهاد والتعصب فيما يلي :-

١ - كان موقف اليهود في بداية الدعوة موقفاً سيئاً للغاية ، فإنهم رغم معرفتهم بصحة الإسلام وصدق الرسول كما قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ (٢) إلا أنهم أعرضوا أولاً ثم مارسوا أسلوباً سيئاً في الطعن في الدعوة ، وذلك بالقدح فيمن يؤمن منهم كما فعلوا ذلك مع عبد الله بن سلام وكان من علمائهم ، ولما أسلم قدم إلى النبي ﷺ وأخبره بإيمانه وطلب منه أن يسأل اليهود عنه قبل أن يعلن إسلامه لأنهم قوم بهت فلما سأل النبي ﷺ اليهود عنه ، قالوا : هو سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا وحبرنا وابن حبرنا.فخرج عليهم عبد الله بن سلام وأخبرهم بإسلامه وقال لهم : أسلموا فإنكم تعلمون أن محمداً رسول من عند الله . عندئذ قالوا : بل أنت شرنا وابن شرنا (٣)......

كما أنهم كانو يمارسون نوعاً من الصد المنافي للحرية عن الدعوة الإسلامية ومن

---

(١) عبد الهادي : محمد جمال ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ٣٥٧-٣٥٩ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٠٧هـ .

(٢) البقرة ١٤٦ .

(٣) البخاري : ٤ / ٢٦٨ .

ذلك ماذكره الله عنهم بقوله تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾ [1] فكانوا يريدون بذلك صد المؤمنين ، وذلك بإظهار إيمانهم ثم ردتهم بعد ذلك حتى يقال لوكان هذا الدين حق لما ارتد هؤلاء بعد إيمانهم . كما أنهم يفضلون دين المشركين عبدة الأوثان على دين الإسلام الذى علموا صحته ، وذلك للصد عنه وذلك عندما قدم المشركون المدينة وسألوا اليهود - باعتبارهم أهل كتاب وعندهم من العلم - أي الأديان أفضل ديننا أم دين محمد ؟ فأخبروهم بأن دينهم أفضل من دين محمد فأنزل الله ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ [2] كما أن نقضهم للعهود هو دأبهم ، كما حدث مع يهود بني النضير وبني قريظة [3] كما أن شتم الرسول عادتهم ؛ وذلك بقولهم السأم عليك بدلاً من السلام عليك فكان النبيﷺ يرد بـ : وعليكم . من غير شتم لهم [4] .

٢ - كان موقف النصارى في الحروب الصليبية في قمة التعصب ، فهذه تسع حملات شرسة توجه إلى ديار الإسلام على مدى قرنين من الزمان ابتداء من ٤٩٠هـ ، ومافتحت مدينة أو قرية إلا وعومل أهلها أشد المعاملة ، وقد يعمل السيف فيها فلا يسلم مسلم مسالم ولايهودي محايد ، قال ميشو في تاريخ الحروب الصليبية : - (لما استولى عمر بن الخطاب على بيت المقدس لم يلحق بالنصارى ضرراً ما ، فلما استعاده النصارى قتلوا المسلمين قتلاً ، وأحرقوا اليهود حرقاً) [5] .

وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٤٩٢هـ أن الصليبين لما فتحوا القدس قتلوا ستين ألفاً من المسلمين ، وقال ابن الجوزي : إنهم أخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلاً من فضة وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب [6] .

٣ - لما سيطر النصارى على الأندلس منعوا المسلمين من أبسط الحريات بقرارات ملكية علنية ومن ذلك :- في عام ١٥٠١م صدر القرار الملكي القاضي بحرق الكتب

---

(١) آل عمران ٧٢ .
(٢) النساء ٥١ ، انظر ابن كثير تفسير الآية ١/٥١٣ .
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣/١٠٨ ، ١٤٠ .
(٤) البخاري ٧/١٣٣-١٣٤ .
(٥) الغزالي : محمد ؛ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ١٩٦ ، ١٩٩ دار البيان الكويت (د .ت) .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ١٥٦ .

الدينية التي كانت في حوزة الموريسيكيين المسلمين [1] .

وفي عام ١٥٢٣م حولت المساجد إلى كنائس [2].

وفي عام ١٥٢٤م صدر قرار بتحريم قبر موتاهم في مزارعهم بعد منعهم من وضع مقابر لهم وذلك لإجبارهم على قبرها في الكنيسة والدير [3].

وفي ١٣ سبتمبر عام ١٥٢٥م بلغ الإضطهاد ذروته حيث صدر قرار التنصير الإجباري [4] كما حرم الختان والأسماء الإسلامية ، مما جعل المسلمين يسمون أطفالهم اسمين أحدهما سرياً والآخر علنياً نصرانياً [5] ، كما منعوا من ذبحهم للحيوانات بطرقهم الخاصة ، بل لابد أن يحضروا قصاباً نصرانياً ليذبح لهم [6].

ولما كان كثير من المسلمين يتحايلون على هذه القرارات ، أقيمت محاكم التفتيش التي كان لها الدور البارز في اقتلاع الشعائر الإسلامية ، ولذا بدأت في التفتيش والتجسس وإجبار من لم يلتزم بالقوة ، كما تُصادر أمواله ، بالاضافة إلى الضرائب القاسية ، وكان العنف هو طابع هذه المحاكم [7] ، ولم يوجد تسامح مطلقاً مع أي شعيرة إسلامية بل كانوا يهدفون إلى استئصال تام للإسلام [8] .

وكل ماذكرته منقول من المؤرخين النصارى ، وإنما أردت الاختصار ، وإلا في الأندلس حدث مايفطر القلب من حوادث فردية وجماعية لايتصور أن يفعلها من في قلبه ذرة من رحمة ، أو إيمان بدين .

٤ – إن ملوك النصارى وجماعتهم كانوا لايقبلون بأي دين سوى النصرانية أيام استبداد الكنيسة قبل الثورة الفرنسية ، ومن ذلك : أن شارلمان يفرض المسيحية بحد

---

(١) الأسباني : انطونيو دو مينقير هورتز ، والفرنسي :برنارد بنثنت تاريخ مسلمي الأندلس « الموريسيكيين » حياة ماساة أقلية ١٢٥ ، ترجمة عبد العال صالح طه تقديم وتنتيم محمد محي الدين الأصفر .دار الاشراق – قطر الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م .

(٢) المرجع السابق ١١٥ .

(٣) المرجع السابق ١٢٨ .

(٤) الأسباني : انطونيو دو مينقير هورتز ، والفرنسي :برنارد بنثنت تاريخ مسلمي الأندلس « الموريسيكيين » حياة ماساة أقلية ١١٥ .

(٥) المرجع السابق ١٢٥ – ١٢٦ .

(٦) المرجع السابق ١٢٦ .

(٧) المرجع السابق ١٢٨ – ١٢٩ .

(٨) المرجع السابق ١٢٥ .

السيف، وكذا الملك كتوت [1] بل وهناك جماعة تُدعى إخوان السيف كانت تفعل ذلك [2] .

ومن المعلوم أن الكنيسة قبل الثورة الفرنسية استبدت كثيراً ، وصادرت الحريات ، ولم يقع مثل ذلك في أي عصر من العصور الإسلامية ، بل ولاقريب منه .

والحرية الموجودة اليوم في أوربا ليست نابعة من الدين النصراني ، وإنما كرد فعل لما أحدثته الكنيسة من الكبت والحجر على العقول ، وإلا فروادها علمانيون نصارى بالاسم، فهذه الحرية شاهد على مصادرة الحريات عند النصارى لا العكس .

٥ – التنصير الذي يمارس اليوم بأساليب منافية للحرية ، والمسمى التبشير النصراني فهو يمارس بأقبح الصور ، ويستعمل فيه أنذل الطرق للضغط على الفقراء والجهال والمرضى . فهذه الدول الاستعمارية تضع المشاكل في تلك الدول المسلمة فيستغل المنصرون تلك المشاكل ، إنه عمل استعماري ، تساند فيه الدول العلمانية المستعمرة رجال الكنيسة ، فتدعمهم بالمال والرجال وكافة الأجهزة .

إن المنصرين يأتون إلى هذه الدول مستغلين تلكم الظروف ، فيمارسون من الضغط على الفقراء مايجعلهم يقدمون على التنصر الأسمي مقابل رغيف الخبز ، ويمارسون الضغط نفسه على المرضى الذين لايجدون علاجاً ، فيرفضون علاجه إلا إذا تنصر أو سمح لهم بأخذ ابنه الصغير ليعلموه مايشاءون ، وإلا فليمت من غير شفقه أو رحمة ، كما يمارسون الضغط نفسه على الفقراء ليعلموا أبناءهم في مدارسهم ... وهكذا !! أين الحرية المزعومة ؟! كيف يطعنون في دين الإسلام وهم يمارسون هذه الأساليب ؟! إن اعتمادهم في التنصير وردة المسلمين هو على هذه الصور أكثر من أن يكون عن طريق الحوار والإقناع .

وقد اعترف المنصرون بلسان رئيسهم زويمر على (إن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقين ، لقد كانوا أحد ثلاثة إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لايبغي غير الحصول على قوته وقد اشتدبه الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغي الحصول إلى غاية من

---

(١) ارنولد سير توماس ، الدعوة إلى الإسلام . مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .

(٢) ارنولد : سير توماس ، الدعوة إلى الإسلام ٣١ .

الغايات الشخصية) [١].

وسأسوق بعض الأمثلة على ماذكرت :-

في السنغال توقع البعثات التنصيرية مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة عقوداً تقدم بموجبها تلك البعثات إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة من أرز مثلاً في كل شهر على أن يكون لها الحق باختيار طفل من أطفال الأسرة ، تربيه على حسابها فينشأ في مدارس مسيحية ، ويرسل لفرنسا لإتمام تعليمه العالي ثم يعود إلى السنغال ليُستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا [٢].

وفي مصر أيام الاستعمار البريطاني ، كان المنصرون يخطفون الأولاد من الشوارع - كما تفعل العصابات - وذلك لتنصيرهم [٣].

والآن يمارس التبشير لتنصير لاجئي الأفغان في باكستان الذين فر بهم أهلوهم خوفاً عليهم من التدمير الشيوعي ، وقد استغل المنصرون هذه الأزمات والنكبات التي حلت بهم لحملهم على ترك دينهم [٤].

وفي أندونسيا يؤخذ الأطفال المسلمون من ذويهم إلى أسر نصرانية ليتم تنصيرهم ، مستغلين فقر هذه الأسر ، وقد أسموا هذا المشروع ، بمشروع (الأسر البديلة)[٥].

وفي لبنان يمارس التنصير بأشنع طريق حيث يستغل النصارى الفتن السياسية القائمة بين الطوائف اللبنانية ، وماجرت من حروب ، فيلتقطوا أبناء المسلمين ليُؤخذوا إلى معسكرات وملاجئ التنصير ، أو إلى القتل . وهذه الحملات تأتي تحت قناع هيئة الصليب الأحمر [٦].

---

(١) الصواف : محمد محمود ، المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار ٥٨ دار الإصلاح الدمام الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .

(٢) خالدي : مصطفى ، فروخ : عمر ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ٣ المكتبة العصرية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م .

(٣) قطب : محمد ، واقعنا المعاصر ٢١٦ مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر جده الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٦م.

(٤) الميداني :عبد الرحمن حسن ، أجنحة المكر الثلاثه وخوافيها :التبشير- الاستشراق- الاستعمار دراسة وتحليل توجيه ١٠٤ دار القلم دمشق الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

(٥) الميداني : عبد الرحمن حسن ، أجنحة المكر الثلاثه ١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ١٠٤ .

ونشـرت الصحف أن بعض النصـارى اللبنانيين باعـوا ألفين من أطفـال المسلمين في لبنان إلى المؤسسات التنصيرية في أوربا وأمريكا [١] .

فسرقة الأطفال الصغار ، وفتنتهم وإبعادهم عن ذويهم ، أليس معارضاً للحرية ؟

إن الإسلام لايجيز للمسلم إذا أسر أطفالاً أن يفرقهم عن أمهم وأبيهم [٢] هذا مع أنه لم يسرقهم بل أخذهم بطريق صحيح .

وفي مصـر وصل حقد الأقبـاط إلى أن يطلقوا النار على المصلين كمـا حصل ذلك في أحداث الزاوية الحمراء ، وتجاوز الأمر ذلك إلى الأطفال فـقد أطلقوا النار على (معتز أمين) وعمره ثلاث سنوات كما أطلقوا النار على اخته التي تحمله ، وهي طفلة في السنة العاشرة [٣].

---

(١) المرجع السابق ١٠٥ .

(٢) ابن قدامة ، المغني ٨ / ٤٢٢ .

(٣) الجلعود : محماس بن عبد الله ، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ٢/ ٦٤٣ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م نقلا عن الدعوة المصرية عدد ٦٤ سنة ٣١ شوال ١٤٠١ هـ ص ١٣ .

ثانياً : المسلمون والحرية :

إذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي فإننا سنجده حافلاً بالمواقف العديدة التي تدل على تسامح المسلمين وتطبيقهم للحرية على وجه العموم ، وإن حصلت مخالفات فهي شاذة مخالفة للمنهج الصحيح الذي رسمته الشريعة الإسلامية .

وسأذكر سرداً تاريخياً مختصراً أذكر فيه بعض المواقف على سبيل المثال لاعلى سبيل الحصر ، ومن ذلك :

أولاً : معاملة النبي ﷺ لمخالفيه في الدين من أهل الكتاب وغيرهم ، ويتضح ذلك من هذه المواقف :

١ - عندما أسس النبي ﷺ الدولة الإسلامية لم يتعرض لليهود المقيمين في المدينة بسوء، بل وضع معاهدات معهم تكفل للجميع حرية العيش بسلام ، حتى نقَض اليهود تلك المعاهدات [١] .

٢ - معاملة النبي ﷺ لنصارى نجران لما قدموا المدينة ، فإنه عليه السلام حاورهم وأراد مباهلتهم فرفضوا ، وقد صلوا في مسجد رسول الله ﷺ إلى المشرق ، فلم يُنكر النبي ﷺ عليهم ذلك [٢] .

٣ - معاملته عليه الصلاة والسلام للمشركين ، ويتضح ذلك مما روته أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت : أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ ، فسألت النبي ﷺ أأصلها ؟ قال نعم . قال ابن عيينه: فأنزل الله تعالى فيها : ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ [٣] رواه البخاري [٤] .

وحسبنا في ذلك معاملة النبي ﷺ للمشركين لما فتح مكة ، فإنه عفا عنهم وقال « **اذهبوا أنتم الطلقاء** » [٥] رغم ماوجد منهم من استهزاء وتعذيب وتكذيب انتهت بمحاولة قتله وإخراجه من مكة .

٤ - إن أهل الكتاب الذين وفوا بعهدهم عاشوا في ظل دولة النبي ﷺ آمنين

---

(١) ابن كثير ٤/٣٣٠

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ٢/١٦٠

(٣) الممتحنة ٨ .

(٤) البخاري ، ٧/٧١ .

(٥) ابن هشام :السيرة النبوية ٤/٤١ .

مطمئنين ، وحسبنا في ذلك أن النبي ﷺ وهو زعيم الدولة مات ودرعه مرهونة عند يهودي في صاع من شعير . رواه البخاري[1] .

ثانياً : معاملة الخلفاء الراشدين لأهل الكتاب وغيرهم من رعايا الدولة الإسلامية . كانت معاملة الخلفاء لهم تدل على أسمى معالم الحرية . ومن ذلك أن خالدبن الوليد لما فتح الشام صالح الروم على عدم هدم شيء من كنائسهم . قال أبو يوسف : (فتركت البيع والكنائس لم تهدم لماجرى من الصلح بين المسلمين وأهل الذمة ، ولم يُنكر ذلك الصلح على خالد أبو بكر ، ولا رده بعد أبي بكر عمر ولاعثمان ولاعلي)[2]. ويذكر حنا النيقي : « أن المسلمين في مصر وافقوا على عدم احتلال أي كنيسة ، وعلى ألا يتدخلوا في شئون الأقباط بأي صورة من الصور ، ويذكر أن عمرو بن العاص جبى الضرائب المفروضة لكنه لم يمد يده قط إلى شئ من أملاك الكنائس ، ولم يأت بعمل من أعمال النهب والتدمير ، بل لقد حافظ على البيع حتى آخر حياته »[3] « ولم يُكره عمرو بن العاص أحداً من سكان مصر على الإسلام ، ولو كان هناك إكراه مابقي الأقباط على دينهم حتى هذه اللحظة ، بل إن أقباط مصر كانوا يشعرون بالعدالة في ظل الدولة الإسلامية ، ولا أدل على ذلك من قصة ذلك القبطي الذي لطمه ابن عمرو بن العاص فى سباق للخيل ، فرحل إلى الخليفة في المدينة ليأخذ حقه له رغم مشقة السفر وطول الطريق ، فلما وصل إلى الخليفة عمر رضي الله عنه دعي ابن عمرو بن العاص ، وأمرالمصري بضربه وقال مقولته المشهورة . [متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا][4].

(إن الناظر لتاريخ مصر يجد الفرق شاسعاً بين دخول الإسلام لمصر ودخول المسيحية ، فالمسيحية ظلت غريبة على أهل مصر ، بينما اجتذب الإسلام أقباط مصر ، وأشار بعض المؤرخين المسيحين إشارات قليلة في حالات رؤساء الدين المسيحي الذين اعتنقوا الإسلام)[5] .

وأشار يوحنا إلى أن أسقف نقيوس – عاش في القرن السابع الميلادي – قال : (إن

---

(١) البخاري ٣/٢٣١ . (٢) أبو يوسف ، الخراج ٢٩٤

(٣) ترتون : دكتور أ.س ، أهل الذمة في الإسلام ٣٧ ترجمة وتعليق حسن حبشي دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

(٤) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ٦٠٠ (بتصرف) .

(٥) ارنولد :توماس ، الدعوة إلى الإسلام ١٠٥ .

فتح المسلمين لمصر وشمال أفريقيا جلب للقبط حرية دينية بعد ضغط البيزنطيين) [1] .

فالخلفاء الراشدون ضمنوا الحرية لجميع أفراد الدولة الإسلامية ، بما في ذلك غير المسلمين ، وقدالتزموا المنهج الإسلامي في معاملة غير المسلمين فشهد الجميع بفضلهم وعدلهم حتى غير المسلمين ، يقول الأب بروغلي : (إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوماً صادقين ذوي دراية وذكاء ، منهم أبو بكر وعمر رجلان توليا زمام دولة فسيحة الأرجاء، فأحسنا سياستها ، وكانا ذوي ثبات وعدل وقناعة وفضل ، وكانا أرفع قدراً وأبعدمرمى من القياصرة الذين حاربوهما) [2] فكانوافي غايةالعدل والإحسان حتى إلى أعدائهمامطبقين في ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [3] .

وكان لتسامحهم - رضي الله عنهم - أثره الكبير في إسلام أهل الكتاب وغيرهم ، ويلخص أرنولد ذلك بقوله : (تسامح العرب كان وراء دخول الكثير في الإسلام وذلك تركهم لشعائرهم ، ويحكمون فيما بينهم بحكمهم) [4] .

ثالثاً : في العهد الأموي والعباسي والذي امتدا أكثر من ثمانية قرون ، وفتحت فيه بلاد كثيرة بعضها لم يصل إليه جيوش - كجنوب شرق آسيا- عومل الرعايا غير المسلمين في هذه الفترة معاملة حسنة بالجملة ، ولم يكن هناك إكراه على أحد منهم للدخول في الإسلام ، بل تركت لهم حرية دينية مما جعل البعض منهم يدخل في الإسلام اقتناعاً ، ويبقى الآخرون على عقائدهم موفر لهم حرية دينية كاملة ، بل إن بعض الخلفاء لجهله يفضل بقاء النصارى على النصرانية لأخذ الجزية ، والبعض الآخر يبقي الجزية حتى على من أسلم من النصارى ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز أمر بإسقاطها على من أسلم منهم فكتب له بعض عماله ، إن هذا يضر ببيت المال ، فكتب له عمر: « إن الله إنما بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً » [5] ومن تدبر إسلام بعض النصارى رغم أن الجزية تبقى عليهم ، علم شدة اقتناعهم بالإسلام ، وعدم إكراههم على الدخول فيه ، يقول الكونت هنري دي كاسترى مامعناه : إن خلفاء بني أمية لم ينظروا بعين الرضا إلى كثرة دخول

---

(١) المرجع السابق ١٢٣ .

(٢) الغزالي : محمد ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) المائدة ٨ . (٤) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ١٥٧ - ١٥٨ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٨٨/٩ .

المسيحين في الإسلام ، وذلك لانخفاض الضرائب، فقد هبطت في أيام معاوية إلى النصف عما كانت عليه في أيام عثمان (١).

وفتح المسلمون الهند وحكموها ثمانية قرون فلم يفرضوا العقيدة الإسلامية على الوثنيين الهنود ، بل تركوهم لعقائدهم مع أن فيها مالايعقله عاقل من عبادة للبقر وتبرك بروثها وبولها (٢) .

وماحصل للهند حصل للأندلس ، يقول أرنولد : (اعتنق أهل أسبانيا الإسلام لاقتناعهم بالإسلام ، وكرههم للطبقية المسيحية) (٣) ولقد ظل المسلمون في الأندلس ثمانية قرون فلم يفرضوا عقيدة الإسلام على نصارى الأندلس بل دخل منهم من دخل في الإسلام حباً فيه وإيماناً بصدقه ، وبقي النصارى نصارى حتى ردوا للمسلمين الجميل بطردهم من الأندلس مع التعذيب والتنكيل والتشريد على أبشع صورة وعاها التاريخ) (٤).

فالعهدان الأموي والعباسي على وجه الإجمال قد وفرا للرعايا غير المسلمين حرية في أداء شعائرهم ، وكفل لهم حقوقهم رغم بعض التجاوزات الشاذة في الحرية التي قد يشترك معهم فيها بعض المسلمين ، بسبب السياسة الظالمة لبعض الولاة كالحجاج بن يوسف وغيره وليس بسبب علماء الإسلام أو تطبيق الشريعة الإسلامية ، بل كان علماء الإسلام شديدي الاهتمام بحقوق أهل الكتاب ، وخاصة عندما يكون أهل الكتاب بحاجة إلى ذلك ، ومن ذلك ماحدث في سنة ٧٠٠هـ من محاولة دبرها متملك مغربي ترمي إلى هدم كل ما بمصر من الكنائس ، بيد أن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد أحبطها ، إذ أفتى بأنه لايجوز أن يهدم من الكنائس إلا ما استجد بناؤه (٥) ، وعندما أسر التتار اليهود والنصارى أمر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بفكاك جميع اليهود والنصارى ، لأنهم أهل ذمة (٦) .

وقد يحدث تجاوزات من المسلمين بسبب ظلم النصارى ، ومن ذلك لما غزا المغول دمشق سنة ٦٥٨هـ وحمى هولاكو النصارى قاموا بالمجاهرة بشرب الخمر وضرب

---

(١) الغزالي :محمد ، التعصب والتسامح ١٩٤ .

(٢) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ٦٠١ .

(٣) ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٤) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ٦٠٠ .

(٥) ترتون ، أهل الذمه ٦١ نقلاً عن المقريزي ، المواعظ والعبر ٢/٤٩٩ .

(٦) ابن تيميه ، مجموع الفتاوي ٢٨ / ٦١٧ - ٦٣٠ .

المسلمين ، وخرجوا محتفلين بالصليب ، فلما طُرد التتار شرع المسلمون في نهب بيوتهم وحطموا كنيستين ، وذبحوا بعض النصارى واسترقوا بعضهم [١]. وقد يستبد حاكم ما كالحاكم بأمر الله الذي أمر بهدم الكنائس الموجودة في البلاد التي يملكها ، واستولى على محتوياتها [٢] . ثم أعادها بعد ذلك ، وقد يحدث العكس بأن يُعطي النصارى أكثر من حقوقهم ، فكنيسة حلوان بنيت بأمر عبد العزيز بن مروان مع أن هذه المدينة أسسها المسلمون [٣] وهذا مثال من حوادث كثيرة يقول أرنولد (ربما اتفق أصحاب المذاهب على أن الذميين لايسمح لهم أن يبنوا دوراً للعبادة في المدن التي أسسها المسلمون ، ولكن السلطة المدنية أباحت للقبط أن يبنوا كنائس في القاهرة)[٤] .

ولكن الأمر الغالب في العهد الأموي والعباسي هو معاملة النصارى بحرية تامة من غير ظلم لهم ، ولاحيف عليهم إلا مايصدر من بعض الولاة الذين خالفوا القاعدة العامة . فكان دأب المسلمين هو تسامحهم مع أهل الكتاب ، وكان لهذا التسامح أثره الكبير في دخول الناس في دين الله أفواجاً ، يقول ارنولد : (وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحين في صدر الحكم الإسلامي ، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق) [٥] ويقول محمد كرد على : « وفي وصايا الخلفاء الراشدين فمن بعدهم من بني أمية وبني العباس بأهل الذمة ما يقطع ألسنة المفتاتين ، ويفقأ حصرم عيون المغتابين والعيابين ، ولو كان المسلمون كما تحاول متعصبة الغرب أن تصورهم لما بقي في الشرق القريب دين يخالف دين الإسلام ، ولامعبد ينادي بغير كلمة الشهادة) [٦] .

رابعاً : معاملة الدولة العثمانية للرعايا غير المسلمين فقد أعطاهم العثمانيون حرية في أداء شعائرهم ، وجعلوهم يتحاكمون إلى علمائهم ، وكانوا متسامحين معهم عدا استثناءات يسيرة لا تقر ، منها ماكان يفعله العثمانيون من أخذ أبناء الكفار قسراً على أبويهم وتعليمهم الإسلام ، وجعلهم في معسكرات بمعزل عن أبائهم ، ثم تدريبهم على السلاح وجعلهم في جيش مستقل « اسمه الانكشارية » وهذالم يفعل في كافة

---

(١) ترتون ، أهل الذمه ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ٥٩ .

(٣) ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام ٨٥ .

(٤) المرجع السابق ٨٤ .

(٥) المرجع السابق ٨٨ .

(٦) علي : محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ٣٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٥٠م .

العصور الإسلامية وقد نهى النبي ﷺ عن التفريق بين الوالدة وولدها فقال : « **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** » [1] وقد أجمع أهل العلم على أن التفريق بين الأم وولدها الطفل غير جائز[2]. ولكن هذا استثناء وليس أدل على تسامح الدولة العثمانية مع المسيحين من كلمات ريتشارد ستبر [3] – حيث قارن بين المسلمين الأتراك وبين المسيحين أنفسهم – حيث يقول عن الأتراك : إنهم سمحوا للمسيحين جميعاً للإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم ، وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا ، بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة في القسطنطينية ، وفي أماكن أخرى كثيرة جداً ، على حين أستطيع أن أؤكد بحق بدليل اثني عشر عاماً قضيتها في أسبانيا إننا لانرغم على مشاهدة صفاتهم البابويه فحسب . بل إننا في خطر على حياتنا وسلعنا [4] .

وعندما فتح العثمانيون القسطنطينية رغم أنها فتحت بالقوة بعد حصار شديد إلا أن العثمانيين عاملوا أهلها أفضل المعاملة و« من أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني (الفاتح) [5] بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها أن يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة الإغريقية . فحرم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعا » [6] « ولم تقتصر معاملتهم لرئيس الكنيسة على ماتعود أن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم بل كان متمتعاً بسلطة أهلية واسعة ، فكان من عمل البطركية أن تفصل بين القضايا التي تتعلق بالإغريق بعضهم مع بعض ، فكان لها أن تفرض الغرامات وتسجن المجرمين في سجن معد لها ، بل كان لها أن تحكم بالإعدام في بعض الأحيان [7] و (المؤرخ البيزنطي الذي خلف لنا قصة سقوط القسطنطينية يحدثنا كيف كان بايزيد [8] رحب الصدر كريم الخلق مع رعاياه المسيحيين ، وكيف

---

(١) الترمذي : محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ٣٧٦/٢ تحقيق عبد الوهاب عبدالطيف ، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ-١٩٧٨م .

(٢) ابن قدامه ، المغني ٤٢٢/٨ .

(٣) تاجر أنجليزي كان في تركيا سنة ١٨٧٥م .

(٤) محمود : علي عبد الحليم ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ١٦ بحث ضمن مجموعة بحوث بالعنوان السابق نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

(٥) هو الخليفة العثماني محمد الفاتح فتح القسطنطينية وبلاد كثيرة كان من أفضل الخلفاء العثمانيين ديناً وسياسة توفي ١٤٨١م .

(٦) ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام ١٧٠ .

(٧) المرجع السابق ١٧١ .

(٨) هو الخليفة العثماني بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح وخليفته تولى ١٤٨١م وطد أركان الحكم العثماني في البلغار وآسيا الصغرى والبحر الأبيض توفي ١٥١٢م .

جعلهم يألفونه ألفة تامة ، بأن سمح لهم بالتردد على مجلسه في حرية كاملة)[1] .

خامساً : في العصر الحديث نجد أن أهل الكتاب ينعمون بحرية تامة في الدول الإسلامية – رغم استغلالهم هذه الحرية بتنصير المسلمين وإثارة الفتن وتجسسهم على المسلمين لصالح الأعداء – بل إننا نجد أن بعض الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي تجاوزت تلك الحرية ، ومكنتهم من مسئوليات واسعة على المسلمين ، واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ، فعينوا منهم الوزراء والمستشارين مما أضر بالمسلمين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وبعد هذا البيان الموجز أذكر كلام أرنولد ملخصاً لتعامل المسلمين مع الكفار بقوله: (وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامي قد تلوثت بدماء كثيرة من الاضطهادات القاسية ، ظل الكفار على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لم نجد لها مثيلاً في أوربا حتى في عصور حديثة جداً) [2] .

وفي ختام هذا المبحث لانناقش غير المسلمين بمنطق الإيمان الذي لايلزمهم بل نفترض – جدلاً – (أن كل النظم ذات حد متساو في الوجود وفي الانتشار في الأرض فلننظر في الواقع التاريخي نظرة علمية موضوعية مجردة ، أي النظم مارس حقه في الوجود وفي الانتشار في الأرض بروح إنسانية حقيقية ، وأيها مارس الوجود والانتشار بسلوك خالٍ من القيم الإنسانية هابط إلى الحضيض) [3] .

---

(١) المرجع السابق ١٧٣ .

(٢) ارنولد : سيرتوماس ، الدعوة إلى الإسلام ٤٦١ .

(٣) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ٦٠٤ .

الباب الثاني

أهداف الحوار وأهميته

الفصل الأول : الأهداف المشروعة .

الفصل الثاني : الأهداف غير المشروعة .

الفصل الثالث : هدف أهل الكتاب من الحوار .

تعريف الحوار

قبل أن أبدأ بالحديث عن أهداف الحوار فإنني مضطر إلى التعريف بالحوار ، والتفريق بين مصطلح الحوار وبين المصطلحات الأخرى المقاربة له ، كالجدال والمحاجة والمناظرة .

أما الحوار فأصله من الحور وهو الرجوع عن الشئ وإلى الشئ ، وفي الحديث من « **دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه** » .

وقال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

والمحاورة المجادلة ، والتحاور التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام [1] .

فالحوار هو تراجع الكلام وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :-

الأول : في قصة أصحاب الجنة ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا** ﴾ [2] .

والثاني : في نفس القصة ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً** ﴾ [3] . **والثالث** : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ [4] .

ويفهم من هذه المواضع الثلاثة أن الحوار مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين [5] .

أما المجادلة فإنها تشترك مع الحوار في كونها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين إلا أنها تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة لذا في اللغة تسمى شدة الفتل جدل ، والجديل الزمام المجدول من أدم ، ومنه قول أمرئ القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصراً ... وساق كأنبوب السقي المذلل

والجادل من الإبل الذي قوي ومشى مع أمه ، والأجدل الصقر [6]، ورجل جدل إذا

(١) ابن منظور لسان العرب : ٤/٢١٧ – ٢١٨ .
(٢) الكهف ٣٤ .
(٣) الكهف ٣٧ .
(٤) المجادلة ١ .
(٥) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، أصول الحوار ٩ ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
(٦) ابن منظور ، لسان العرب ١١/١٠٣ .

كان قوي في الخصام [١] .

فأصل كلمة الجدل كما هو واضح من الشدة والغلبة، واستعملت في المناظرة والمخاصمة لأنهما يحتاجان إلى قوة في الكلام والحجج .

والجدل الاصطلاحي دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة [٢] ، ويكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال [٣] ، فيظهر من معنى الجدل القوة والخصومة والغلبة وهذا مالاتجده في الحوار لذا (فإن الجدال ورد في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً كلها مذمومة إلا في ثلاثة مواضع وهي : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [٤] ، وقوله تعالى: ﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجهاوتشتكي إلى الله** ﴾ [٦]) ، [٧] والموضع الثالث لايشير لاإلى مدح ولا إلى ذم ، أما بقية المواضع في القرآن الكريم فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدال ، وإما عدم جدواه [٨] أو لأنه يفتقد شروطاً أساسية كطلب الحق أو الجدال بغير علم ، أو يطلقه الكفار على الرسل كما قال تعالى : ﴿**قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** ﴾ [٩] .

فالجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق ، وإنما قيد بالحسنى كقوله تعالى : ﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾ [١٠]، ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [١١] .

---

(١) المرجع السابق ١١/١٠٥ .

(٢) الجرجاني ، على بن محمد بن على ؛ التعريفات ١٠٦ تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣) أبو زهرة : محمد ؛ تاريخ الجدل ٥ ، دار الفكر العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٠م

(٤) النحل ١٢٥ . (٥) العنكبوت ٤٦ .

(٦) المجادلة ١ .

(٧) الأنصاري : أبي الفرج عبد الرحمن ، رسالة استخراج الجدال في القرآن الكريم ٤١ ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٣ ، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٦هـ .

(٨) الندوة العالمية ، اصول الحوار ٩ . (٩) نوح ٣٢ .

(١٠) العنكبوت ٤٦ .

(١١) النحل ١٢٥ .

فلفظة الجدل مذمومة إلا إذا قيدت ، ومما يؤكد ذلك ماصح عن النبي ﷺ « **ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ الآية ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾**[1] [2] » . ولهذا السبب لم اختر كلمة الجدل عنواناً للبحث .

إذن فالفرق بين الحوار والجدال أنهما (يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين ، لكنهما يفترقان بعد ذلك : الجدل هو اللدد في الخصومة ، ومايتصل بذلك ولكن في إطار التخاصم بالكلام ، فالجدال والمجادلة والجدل كل ذلك ينحى منحى الخصومة أو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له ، أما الحوار والمحاورة فهي مراجعة الكلام والحديث بين طرفين دون وجود بالضرورة خصومة)[3] .

وقد تترادف كلمة الحوار والجدل في أحيان قليلة كما في قوله تعالى : **﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ﴾**[4] .

أما المحاجة والتحاج فهي تطلق في اللغة على التخاصم والجدال ، ويقال رجل محجاج أي جدل . بخلاف الحجة التي هي البرهان ، وقيل مادُفع به الخصم ، وفي الحديث « **فحج آدم موسى** » أي غلبه بالحجة[5] .

وقد وردت المحاجة والتحاج في القرآن في ثلاثة عشر موضعاً ولم تمدح أبداً ، بل إما تذم وتستنكر لأنها من صفات الكافرين ، أو يطلقها الكفار على المؤمنين ، والسبب في ذلك ، لأن المحاجة ليست بالضرورة استخدام البرهان الصحيح وإنما مايرد به على الخصم ، وقد تكون الحجة باطلة كما قال تعالى : **﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ماستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾**[6] وقد تكون الحجة صحيحة كما قال تعالى : **﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾**[7] .

---

(١) الزخرف ٥٨

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والآجرى ، انظر أحمد ٥/٢٥٢ ، الترمذي :محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ٥/٥٥ ، ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ١/١٩ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (د.ت) ، الآجري : محمد بن الحسين ، الشريعة ٥٤ تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/١٤ . المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، أصول الحوار ٩ .

(٤) المجادلة ١ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ٢/٢٢٦ ، ٢٢٨ .

(٦) الشورى ١٦ .

(٧) الأنعام ٨٣ .

واختلف في تعريف الحجة فقيل البرهان والدليل [1] ، والتعريف الصحيح لها أنها تطلق على مادُفع به الخصم [2] وتطلق حينئذ على الشبهة [3] ، فهي تطلق على مادفع به الخصم ، سواء كان برهاناً صحيحاً أو شبهة باطلة ، وذلك لأنهاوردت في القرآن وذمت ، ولو كانت تعتمد فقط على البرهان الصحيح لما ذمت. وقد يقال أنها تحمد إذا استخدمت البرهان الصحيح ، وتذم إذا استخدمت الشبهة . والجواب أنها تذم في الغالب وذلك بالنظر إلى المقصد وهو دفع الخصم بغض النظر عن الحق . وأما إذا كان القصد منها الحق واستخدمت البراهين الصحيحة فإنها لابد أن تقيد بالمحاجة الحسنة أو بالجدال بالتي هي أحسن ، لذا نجد أن المفسرين يفسرون المحاجة بالجدال وكذا العكس، كما يفسرونها بالخصام ، يقول ابن كثير في تفسير : ﴿ **أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** ﴾ [4] أي أتحاجوني في هذه الأصنام[5] ، ويقول في قوله تعالى : ﴿ **قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** ﴾ [6] أي حاججتنا فأكثرت من ذلك [7] ويقول في قوله تعالى : ﴿**فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن** ﴾[8] أي جادلوك في التوحيد [9] ، وفي قوله تعالى : ﴿ **أتحاجوني في الله وقد هدان** ﴾ [10] قال أي تجادلوني في أمر الله [11] . وابن الجوزي يفسر المحاجة بالمخاصمة والجدال ، فيقول : حاج بمعنى خاصم [12]، وحاجوك أي جادلوك وخاصموك [13] .

وخلاصة القول أن الحجة قد تمدح وقد تذم ، وذلك لأنها تطلق على البرهان الصحيح كما تطلق على الشبهة الفاسدة كما سبق . أما المحاجة فإنها في الغالب مذمومة ، لأنها سواء استخدمت برهاناً صحيحاً أو شبهة فاسدة فإن القصد منها اسكات الخصم ودفعه لا لبيان الحق ، ومعنى المحاجة قريب من معنى الجدال والمخاصمة . لذا استخدم المفسرون لفظة الجدال والمخاصمة في معنى المحاجة .

---

(١) الجرجاني ، التعريفات ١١٥ ذكر الدليل وذكر ابن منظور ، لسان العرب ٢٢٨/٢ البرهان ، وذكر الأنصارى رسالة استخراج الجدل ٤٤ إنها دليل الدعوى .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ٢٢٨/٢.

(٣) الأنصاري ، رسالة استخراج الجدل ٤٤.

(٤) الأعراف ٧١.

(٥) ابن كثير : ٢ /٢٥.

(٦) هود ٣٢.

(٧) ابن كثير ، ٤٤٣/٢.

(٨) آل عمران ٢٠.

(٩) ابن كثير ٣٥٤/١.

(١٠) الأنعام ٨٠ .

(١١) ابن كثير ١٥٢/٢.

(١٢) ابن الجوزي : عبد الرحمن ، زاد المسير ٣٠٧/١ المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م .

(١٣) المرجع السابق ٣٦٣/١ .

أما المناظرة فأصلها من النظر ، والنظر يقع على الأجسام والمعاني ، فما كان بالأبصار فهو للأجسام ، وماكان بالبصائر كان للمعاني ، وفي الحديث « **من ابتاع مصراة فهو بخير النظرين** » أي خير الأمرين ، والنظير المثل والند يقال : ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة [1] .

والمناظرة : أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه [2] ولم يرد في القرآن الكريم المناظرة بمعنى الحوار والجدال ، وأقرب ماورد النظر سواء بعين البصر أو البصيرة كقوله تعالى : ﴿ **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** ﴾ [3] .

والمناظرة غالباً ماتكون محمودة ، ومعناها الاصطلاحي يتفرع من معناها اللغوي الذي يرجع إلى أحد أمرين « إما النظير ، أو النظر بالبصيرة » [4] والمعنى الاصطلاحي إما أن يكون ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة [5] ونداً له .

وهذا التعريف مشتق من النظير ، أو النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب [6] وهذا مشتق من النظر ، وعلى التعريف الثاني تمدح المناظرة لأن الغرض منها الوصول إلى الصواب بالنظر بعين البصيرة ، وعلى الأول لاتمدح ولاتذم لذاتها ، وقد تنقلب المناظرة جدلاً إذا كان هدفها التغلب على الخصم من غير نظر إلى الحق .

والمناظرة قريبة من معنى الحوار ، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر ، كما أن الحوار أدل في الكلام ومراجعته .

وهناك لفظة أخرى تستخدم في هذا المجال وهي التقارب ، وهي في اللغة ضد التباعد وتقارب الشيئان تدانيا [7] ، وهو حسي بالمكان ومعنوي بالمعاني من أخلاق وديانة، وفي رأيي أن التقارب يختلف عن المصطلحات السابقة وليس مشابهة لهم ، وإنما تأتي في هذا المجال إذا كان الهدف من الحوار أو الجدال التقارب فهي هدف للحوار وليس شبيه له .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٥/٢١٨ ، ٢١٩ .
(٢) المرجع السابق ٥/٢١٥ .
(٣) النمل ٣٥ .
(٤) الجرجاني ، التعريفات ٢٨٧ .
(٥) ابن منظور ، لسان العرب ٥/ ٢١٩ .
(٦) الجرجاني ، التعريفات ٢٨٧ .
(٧) ابن منظور ، لسان العرب ١/٦٦٣ ، ٦٦٦ .

أهمـية الأهداف :

للأهداف أهمية كبيرة في الحـوار ، إذ أن هدف الحوار هو ثمرته المطلوبه ، كما أن الهدف من الحوار يحدد موضوعاته وأساليبه .

ويمكن الحكم على الحـوار من خـلال مـعرفـة أهدافـه : هل هي أهداف ومـقاصـد مشروعة أم لا ؟

ثم إذا كانت الأهداف مشروعة فـإن معرفتها أيضاً مهمة لمعـرفة مدى نجاح الحوار ، لأن نجاح كل شيء متعلق بتحقيقه لأهدافه الموضوعة .

وعلى هذا الأساس سنقسم أهداف الحوار إلى قسمين :–

أولاً : أهداف مشروعة

ثانياً: أهداف غير مشروعة

والأهداف المشروعة يندرج تحتها الأهداف الواجبة والمستحبة .

أما الأهداف غـير المشروعـة فهي مانُهي عنهـا ، سواء كان النـهي نهي تحريم أو نهي كراهة . ثم جعلت قسماً ثالثاً لأهداف أهل الكتاب من الحوار ، وركزت على النصارى لنشاطهم المكثف في العصر الحديث .

الفصل الأول

الأهداف المشروعة

الأهداف التي شرعها الله هي ماجمعت بين هذين الشرطين الأساسين :-

الأول : الإخلاص لله تعالى وهذا شرط في كافة العبادات وهو هدف أخروي .

الثاني : أن يكون الهدف صالحاً وهو ماوافق الشريعة .

فلا تكفي النية الصالحة بل لابد من اجتماع الشرطين جميعاً ، وقد جمع الله هذين الشرطين في قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (١) .

أما الأول فيرجع إلى النية والقصد ، وإرادة الله والدار الآخرة بعيداً عن طلب المال والجاه ومتاع الدنيا الزائل ، وقد جاءت نصوص كثيرة تشير إلى أهمية هذا الأمر ومنها: قوله تعالى : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** ﴾ (٢) ويقول تعالى : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون** ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب** ﴾ (٤) .

كما ذم الله من كانت إرادته مقصورة على الحياة الدنيا دون الآخرة : ﴿ **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾ (٥) ويقول تعالى : ﴿ **فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى** ﴾ (٦) .

كما جعل النبي ﷺ مدار العمل وصحته على النية ، فقال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) الكهف ١١٠ .
(٢) الإسراء ١٨ ، ١٩ .
(٣) هود ١٥ ، ١٦ .
(٤) الشورى ٢٠ .
(٥) النجم ٢٩ .
(٦) النازعات ٣٧ - ٣٩ .

« **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه** » متفق عليه [1] . حتى أن من كان عمله الظاهر نصر دين الله فإن ذلك لاينفعه إلا إذا كانت نيته كذلك ، فهذه الهجرة وهي من أشرف الأعمال لاتنفع إلا بالنية الصحيحة.

وكذا الجهاد في سبيل الله ، وقد سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل حمية وشجاعة ورياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » متفق عليه [2] .

فالإخلاص لله شرط أساسي لأي حوار يراد عمله مع أهل الكتاب .

أما الثاني فهو أن يكون الهدف مشروعاً في ذاته، وهذا ما سأفصله في المبحث القادم .

الأهداف المشروعة في ذاتها :-

الهدف العام من الحوار الذي شرعه الله هو الدعوة للدين الإسلامي ، والدفاع عنه وبيانه للناس ، قال الرازي : (والجدل الممدوح في تقريرالحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله والذب عن دين الله) [3] ، ويندرج تحت هذا الهدف العام أهداف عديدة منها :-

١ - دعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم ببيان محاسن الإسلام وفضائله ، وهذا أسمى الأهداف وأجلها ، وهو مادعت إليه الرسل جميعاً كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في آيات عديدة منها : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون** ﴾ [4] ﴿ **وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ [5] ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون** ﴾ [6] ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ [7] ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا**

---

(١) البخاري ٢٠/١ ، مسلم ؛ ٤٨/٦ رواية مسلم .

(٢) البخاري ٣٠٦/٣ ، مسلم ؛ ٤٦/٦ رواية مسلم .

(٣) الرازي : فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر ، التفسير الكبير١٦٧/٥ دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثالثة (د.ت) .

(٤) المؤمنون ٢٣ .

(٥) العنكبوت ١٦ .

(٦) الأعراف ٦٥ .

(٧) الأعراف ٧٣ .

الله مالكم من إله غيره ﴾[1] ﴿ **وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾[2] وقال الله عن كافة الرسل ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[3] .

وقد أمر الله نبيه محمد ﷺ بحوار أهل الكتاب لأجل هذا الهدف العظيم فقال تعالى ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[4] .

وقد أرسل الرسول ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض – ومنهم أهل الكتاب – تلبية لأمرالله تعالى يدعوهم إلى الإسلام[5] مثل رسالته عليه السلام إلى هرقل وهي : (من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباًمن دون الله فإن تولوا فقولوااشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[6] » رواه البخاري[7]. ومن تأمل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد أن غايتها هذا الهدف السامي ، ومن ذلك أنه لما سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة – وكان ذلك قبل الهجرة – وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام فجلسوا إليه وكلموه ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره[8] . وعندما أسلموا أنزل الله تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون . وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا**

---

(١) الأعراف ٨٥ .
(٢) المائدة ٧٢ .
(٣) النحل ٣٦ .
(٤) آل عمران ٦٤ .
(٥) انظر كتاب التاريخ والسير أحداث سنة ست من الهجرة .
(٦) آل عمران ٦٤ .
(٧) البخاري ١ / ٦ .
(٨) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٨ ـ ٢٩ .

مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾(١) .(٢) .

وعندما هاجر الصحابة إلى الحبشة تحاوروا مع النجاشي ، وقرأ جعفر بن أبي طالب صدراً من سورة مريم فأسلم النجاشي (٣) ومات على الإسلام سنة تسع ، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب (٤) ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه عبدالله بن سلام وحاور النبي ﷺ فأسلم رضي الله عنه (٥) .

فهذا الهدف هو أسمى الأهداف وأعلاها ، لأنه فيه تبليغ دعوة الله إلى الناس ، وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والجهل .

٢ - الحوار معهم لبيان ماهم عليه من الباطل ، سواء بإثبات تحريفهم لكتبهم ، أو انحرافهم عن مناهج الأنبياء ، أو إشراكهم بالله تعالى ، وذلك لإقامة الحجة عليهم ولإظهارباطلهم للمؤمنين ليحذروامنه **﴿ ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيّ عن بيّنة﴾**(٦) فإذا تبين لهم باطلهم قامت الحجة عليهم ، وكان دافعاً لهم للتوجه إلى الإسلام.

والآيات القرآنية المبينة لانحراف أهل الكتاب سواء من السابقين أو اللاحقين كثيرة جداً منها : **﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾** (٧) . **﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾** (٨) ، **﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾** (٩) فيبين بالأدلة انحرافهم مما لايستعجب منه كفرهم بمحمد ﷺ كما قال تعالى : **﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴾** (١٠) ، **﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾** (١١) ، **﴿ يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾** (١٢) **﴿كل الطعام كان حلاً لبني**

---

(١) المائدة ٨٢ ـ ٨٥ .
(٢) ابن كثير : ٢ / ٨٥ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١ / ٢٩٠ ، الآجري : الشريعة ٤٤٩ ـ ٤٥١ .
(٤) البخاري ٢٦٤/٤ ، ابن حجر : أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٩١/٧ - دار الفكر - (د . ت) .
(٥) البخاري ٢٦٨/٤ .
(٦) الأنفال ٤٢ .
(٧) البقرة ٥١ .
(٨) البقرة ٥٥ .
(٩) البقرة ٦٥ .
(١٠) البقرة ٧٥ .
(١١) البقرة ١١٦ .
(١٢) آل عمران ٧١ .

إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [1] . **﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾** [2]**﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ماأنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا ﴾** [3] **﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾** [4]، **﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ﴾** [5] . والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

ولقد حاج النبي ﷺ نصارى نجران ويهود المدينة ، وأظهر باطلهم بل ودعا نصارى نجران إلى المباهلة عملاً بقوله تعالى : **﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءناونساءكم وأنفسناوأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾** [6] فلما دعاهم إلى المباهله امتنعوا خوفاً من عذاب الله [7] ، فأظهر الله كذب ما يدّعون في عيسى عليه السلام .

وكُتب العلماء المسلمين حافلة بالرد على أهل الكتاب ، وإظهار حقيقتهم ببيان تحريفهم لكتبهم وبطلان عقيدتهم .

٣ - الحوار معهم للرد على شبهاتهم وطعنهم في الإسلام ، وذلك لإظهار الإسلام كما هومن كمال وجمال ، فيظهرالحق ويدحض الباطل ، وقد ذكر ابن تيمية أن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها [8] ، وقد اهتم القرآن بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين ورد عليها بأوضح برهان ، وهذا من الحِكم في نزول القرآن مفرقاً كما قال تعالى : **﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾** [9] قال ابن

---

(١) آل عمران ٩٣ .
(٢) المائدة ١٨ .
(٣) المائدة ٦٤ .
(٤) المائدة ٧٠ .
(٥) المائدة ٧٧ .
(٦) آل عمران ٥٩-٦١ .
(٧) البخاري ٥/١٢٠ .
(٨) ابن تيميه : الجواب الصحيح ١/٧٦ .
(٩) الفرقان ٣٢-٣٣ .

كثير : ﴿ **ولايأتونك بمثل** ﴾ ، بحجة وشبهة ﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ أي ولايقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم ، قال ابن عباس : ﴿ ولايأتونك بمثل ﴾ أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول (1) .

ومن شبههم التي رد عليها القرآن إنكارهم للرسالة بحجة أن محمداً ﷺ يمشي في الأسواق ويأكل الطعام كما قال تعالى : ﴿ **وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً** ﴾ (2) فرد الله عليهم ﴿ **وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾ (3) ومن ذلك محاجة موسى وفرعون ، فكان فرعون يطعن في رسالة موسى ، وكان موسى عليه السلام يرد على شبهة فرعون ، ومن ذلك : ﴿ **قال فرعون ومارب العالمين؟ قال رب السماوات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين** ﴾ (4) ، ﴿ **فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحوراً . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾ (5) وفي الرد على الشبه إسكات للطاعنين ، وبيان للحائرين .

ولكن يشترط على من تولى الرد على شبهة أهل الكتاب إحكام الرد لئلا يقرر الشبه ويعجز عن الرد وذكر ابن تيمية: أن بعض الذين قرروا دلائل النبوة قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة مايبلغ نحو ثمانين سؤالاً ، وأجابوا عنها بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية ، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين ، وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها بها ، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها (6) .

٤ – الحوار معهم لتثبيت المؤمنين ، فإن المحاور في كثير من الأحيان يحاور أهل الكتاب لالغرض هدايتهم وإيمانهم أو بيان الحق لهم بدرجة أولى ، وإنما لإظهار علو الإسلام وقوة حجته وضعف حجج خصومه للمسلمين فيزدادوا إيماناً ويقيناً .

وإن كثيراً من أهل الكتاب ليصدون عن سبيل الله بكافة الوسائل لرد المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من**

---

(1) ابن كثير ٣/٣١٧-٣١٨ .
(2) الفرقان٧ .
(3) الفرقان ٢٠ .
(4) الشعراء ٢٣-٢٤ .
(5) الإسراء ١٠١-١٠٢ .
(6) ابن تيميه : الجواب الصحيح ١/٧٦ -٧٧ .

عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ (١) ، وكما قال تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء** ﴾ (٢) ، وإن من واجب المسلمين تثبيت هؤلاء المؤمنين الذين يسعى أهل الكتاب لردتهم ، ومن وسائل التثبيت دحض حجج أهل الكتاب والغلبة عليهم في ميدان الحوار .

وقد أوضح الله عز وجل في كتابه أن نزول القرآن بدحض شبهات الأعداء والرد عليهم فيه أعظم ثبات للمؤمنين .كما قال تعالى : ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين** ﴾ (٣) .

٥ - الحوار معهم لتحقيق مصالح المسلمين المشروعة ، كالحوار مع أهل الكتاب للضغط عليهم ، وفضح طرقهم في ردة المسلمين من أجل أن يتوقفوا عن عمليات التنصير ، أو على الأقل ليقل نشاطهم فيها ، أو الحوار معهم لإتاحة السبل لدعاة الإسلام لنشر دين الله في ديارهم ، أو الحوار معهم لتحييد البعض منهم وذلك بتغيير قناعته تجاه الإسلام أو تجاه مايقومون به من أعمال ، وفي كثير من الأحيان يستطيع المحاور المسلم تحييد خصمه إذا لم يهتد إلى الإسلام وهذا مكسب لايستهان به ، فإن من لم تستطع كسبه ليكون عوناً على الخير ، فلا أقل من إخماد شره وكبت فساده . وقد يتمكن المحاور المسلم من إضعاف عمليات التبشير والكيد بالإسلام بحواراته مع رؤوس النصارى ، محتجاً على بعض تصرفاتهم في بعض البلاد الإسلامية . ومظهراً لحقيقة مايقومون به على رؤوس الملأ ، أو بإقناعه لبعضهم في بعض القضايا.

وفي الآيات القرآنية الإشارة إلى ذلك السبيل ومن أمثلة ذلك:- ﴿ **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ (٤) ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (٥) ﴿ **قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وماأنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون** ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة ١٠٩ .
(٢) آل عمران ٩٩ .
(٣) النحل ١٠١ - ١٠٢ .
(٤) آل عمران ٩٩ .
(٥) آل عمران ٧١ .
(٦) المائدة ٥٩ .

تطبيق المسلمين لهذه الأهداف :

والأمثلة كثيرة وقد ذكرت بعضها ، وسأشير إليها على سبيل الإجمال :

فمنها مافعله النبي ﷺ فأول ماقدم إلى المدينة حاور اليهود ووادعهم ليكف شرهم ويكبت آذاهم ، كما حاور أهل الكتاب اليهود والنصارى وأظهر باطلهم ودعاهم إلى الإسلام وأرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام .

ومنها الحوادث الكثيرة التي حدثت أيام الفتح الإسلامي ، مما أسفر عنه إسلام عدد كبير من أهل الكتاب بالشام ومصر .

ومنها الكتب المؤلفة التي تحاور أهل الكتب المتضمنة لهذه الأهداف من إظهار كمال الإسلام وحسنه ، وبيان انحرافات أهل الكتاب في عقيدتهم وتحريفهم لكتبهم ، وكتمهم لرسالة محمد ﷺ مثل كتب أبي الوليد الباجي[١] ، وأبي عبيدة الخزرجي[٢] وابن حزم الأندلسي ، وأبو حامد الغزالي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، ومن الكتب الحديثة كتب ابن معمر[٣] ورحمت الله الهندي وأحمد ديدات .

فنجد أن بعض هذه الكتب تدعوهم إلى الإسلام بإظهار محاسنه ، أو بإظهار زيف ما عند النصارى ، أو رداً عليهم فيما يهاجمون به الإسلام من شبهات ، وقد أرسل المودودي رسالة للبابا بمناسبة يوم السلام العالمي ـ رداً على رسالة أرسل بها البابا ـ يبين له انحراف المنصرين في دعوتهم ، وذلك بسلوك مسالك محرمة وممارسة أساليب منافية للسلام من إشعال الفتن واستغلالها [٤] .

---

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي الفقيه المالكي أحد الحفاظ والمكثرين في الفقه والحديث تولى القضاء ، وله المنتقى شرح الموطأ توفى سنة ٤٧٤ هـ (ابن كثير ، البداية والنهاية . ١٢/١٢٢ ، الذهبي : محمد ابن أحمد ، سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨١م).

(٢) هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي فقيه أندلسي من أهل قرطبة توفي سنة ٥٨٢هـ (الزركلي ، الأعلام ١/١٥٠) .

(٣) هو عبد العزيز بن حمد بن معمر من علماء نجد ، ولد في الدرعية أيام ازدهارها ، سافر إلى البحرين ورد على أحد قسسها في كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، وتوفي في البحرين سنة ١٢٤٤هـ (الزركلي، الأعلام ، ٤/١٧).

(٤) المودودي : أبو الأعلى ، طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر ٢٤٠-٢٤١ ، مكتبة الرشد الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الفصل الثاني

الأهداف غير المشروعة

أولا : موالاة الكفار ومودتهم :

كثير من الحوارات الدائرة اليوم بين المسلمين وأهل الكتاب يكون الهدف منها موالاة الكفار ومودتهم ، ونجد أن بعض المفكرين المسلمين يصرح بمودة المخالفين في العقيدة إذا لم يعتدوا على المسلمين ، مستدلين بالآيات التي تأمر بمسالمة المسالمين من الكفار وعدم قتالهم والبر بهم كقوله تعالي : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ (١) وهذه أمثلة: –

١ – يجعل محمد عبده ثمانية أصول للإسلام ، السابع منه مودة المخالفين في العقيدة، وجعل الأصل الأول النظر العقلي لتحصيل الإسلام ، والأصل الثاني تقديم العقل على النقل عند التعارض ، ولم يجعل من هذه الأصول ركنا من أركان الإيمان أو أركان الإسلام (٢) .

٢ – يقول محمد أبو زهرة : « إن المودة ليست واجبة بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة بل هي واجبة للمخالفين في الدين مالم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم » (٣) .

٣ – يقول الشيخ مصطفي المراغي في رسالة بعث بها إلى مؤتمر الأديان العالمي : « اقتلع الإسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخري ، وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنبا إلي جنب » (٤) .

---

(١) الممتحنة ٨

(٢) العلياني : د . علي بن نفيع ، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف المغالية فيه ٣٥١ ، دار طيبة – الرياض ، الطبعة الاولي ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م نقلا عن عبده : محمد ، الإسلام والنصرانية ٨.

(٣) أبو زهرة : محمد ، تنظيم الأسرة للمجتمع ٥١ دار لفكر العربي – القاهرة (د . ت) يحتمل أنهما أرادا بالمودة البر والأقساط الذي لا يتعلق بالقلب ولكن الكلمة تدل علي غير ذلك .

(٤) القحطاني : محمد بن سعيد ، الولاء والبراء في الإسلام ٣٤٥ ، دار طيبة الرياض الطبعة الأولي (د ت) .

ولبيان هذه المسألة نبين حكم مودة الكفار وموالاتهم كما جاءت بها النصوص الشرعية.

١ - يقول تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ (١) وهذه الآية تعم جميع اليهود والنصارى سواء من قاتلنا أو لم يقاتلنا ، لأن الولاية لا تجوز إلا للمؤمنين كالمحبة والمودة ، بخلاف البر والإقساط الجائز للمسالمين ، ومما يدل على ذلك أنه لما عين أبو موسى الأشعري كاتبا نصرانيا أنكر عليه عمر رضي الله عنه ذلك وتلا هذه الآية (٢) قال ابن كثير (نهى الله عن موالاة اليهود والنصاري الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله) (٣) .

٢ - قال تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ (٤) .

قال ابن عباس : (نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء) (٥) وقال ابن كثير (نهى تبارك وتعالى أن يوالوا الكفار ، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين) (٦) .

٣ - قال تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أوإخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ (٧) .

ومعنى يوادون أي يحابون ويوالون (٨). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله ، والجهاد في سبيله لقوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ (٩) فالإيمان الواجب وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان كما ذكر ابن تيمية استشهادا بهذه الآية (١٠).

---

(١) المائدة ٥١ .
(٢) ابن كثير : ٦٨/٢ .
(٣) المرجع السابق ٦٨/٢ .
(٤) آل عمران ٢٨ .
(٥) القرطبي : الجامع ٥٧/٤ .
(٦) ابن كثير : ٣٥٧/١ .
(٧) المجادلة ٢٢ .
(٨) القرطبي : الجامع ٣٠٧/١٧ .
(٩) المجادلة ٢٢ .
(١٠) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، الإيمان ١٣ ، المكتب الإسلامي ببيروت الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

٤ – قال تعالى : ﴿ **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون** ﴾ (١) .

٥ – قال تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ (٢) ، فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العدواة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده (٣) فلابد من إظهار العداوة للمشركين وإظهار عيوب دينهم ، يقول ابن القيم : (لم يزل رسول الله ﷺ في أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد على الإنكار عليهم ، وعيب دينهم ، وتقبيحه ، والنهي عنه ، والتهديد والوعيد كل وقت وفي كل ناد ، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ، ويتركونه وشأنه فأبى إلا مضيا على الإنكار عليهم وعيب دينهم) (٤) .

وقال محمد بن عبد الوهاب (٥) : إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً** ... الآية ﴾ (٦) واستدل بسيرة النبي ﷺ حيث أظهر عداوة المشركين ابتداء مما عرضه وأصحابه للأذي (٧) .

وقال الشيخ حمد بن عتيق (٨) فإذا كان الله قد نفى الإيمان عن من واد أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادين لله ورسوله، فمن واد الأبعدين عنه فهو أولى بأن لايكون مؤمناً (٩) .

---

(١) المائدة ٨٠ ، ٨١ .　　　　(٢) الممتحنة ٤ .

(٣) ابن تيميه : مجموع الفتاوي ٣٦١/٨ .

(٤) ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد ١٤١/١ دار الكتاب العربي (د . ت) .

(٥) هو محمد بن عبد الوهاب التميمي قام بدعوة عظيمة في نجد جدد فيها الدين وقضى على مظاهر الشرك فيها بعون من الله ، ثم من أمراء آل سعود كان زاهدا في الدنيا له كتب أشهرها كتاب التوحيد ، توفي في الدرعية سنة ١٢٠٦ هـ . انظر آل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٥-٧ نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ـــ الرياض (د – ت) . الندوي : مسعود . محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ٣٤ – ٥٢ ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

(٦) المجادلة ٢٢ .

(٧) ابن عبد الوهاب : محمد ، مجموعة التوحيد ٢٢ « ست عشر رسالة لمجموعة من المؤلفين » نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض (د . ت) .

(٨) حمد بن علي بن محمد بن عتيق قاضي حنبلي من علماء نجد تفقه بالرياض له كتب في العقيدة وأشهرها إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد توفي ١٣٠١ هـ انظر الزركلي : الإعلام ٢٧٢/٢ .

(٩) بن عتيق: حمد بن علي ، مجموعة التوحيد ٢٧١ .

ولخطر موالاة المشركين جاءت النصوص بتحريم كل ذريعة إلى ذلك ، ومن ذلك التشبه بهم حتى في الأمور الظاهرة اليسيرة لأنها قد تؤدي إلى محبتهم ومودتهم القلبية .
يقول ابن تيمية : (الموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم ، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع من الموالاة والمودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة ، وتدل عليه العادة ، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بمثل هذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات) ثم ساق قصة عمر مع أبي موسي الأشعري التي ذكرناها(1) .

والكفار نوعان كلاهما لا تجوز موالاته ومودته وهما :

١ - **الكفار المحاربون** وهؤلاء يجب قتالهم كما بينته النصوص الشرعية .

٢ - **كفار محايدون** وهم من لم يقاتل المسلمين ولم يمنعوا الدعوة الإسلامية فهؤلاء يحسن البر بهم والإقساط إليهم ، وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك كقوله تعالى : ﴿ **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** ﴾ (2) وهذه الآية مختلف في نسخها وإحكامها فنقل عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ (3) ، (4) وذكر آخرون أنها محكمة (5) .

من الآيات القرآنية الدالة على الإحسان إلى المسالمين قوله تعالي : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين** ﴾(6) وهذه الآية كالتي قبلها مختلف في نسخها وإحكامها (7) .

---

(1) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، اقتضاء الطراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١٥٩/١ تحقيق د . ناصر بن عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولي ١٤٠٤ هـ .

(2) النساء ٩٠ .

(3) التوبة ٥ .

(4) ابن كثير : ٥٣٣/١ .

(5) النحاس : ابي جعفر ، محمد بن أحمد بن إسماعيل الناسخ والمنسوخ ١١١ (د . ت) وبهامشه الموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي .

(6) الممتحنة ٨ .

(7) القرطبي : الجامع ٥٩/١٨ .

وعلى فرض إحكام الآيتين ، فإن هاتين الآيتين ليس فيهما ذكر الموالاة والمودة القلبية ، وإنما غاية ما تدلان عليه ترك القتال مع البر والإقساط الظاهرين ، وعلى هذا لا يستدل بهما على موالاة الكفار ومحبتهم ، بل إن الآيات المحكمة السابقة تدل على تحريم موالاة جميع المشركين ، بخلاف المسالمة والبر والإقساط التي يراعى فيها مصلحة الدعوة الإسلامية ، ونوعية الكفار وموقفهم منها .

يقول سيد قطب : (إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء ، واتخاذهم أولياء شيء أخر ، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته) (هؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة ، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها ، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق ، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة ، ناسين ما يقرره القرآن الكريم أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة وأن هذا ثابت لهم ، وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه ، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم ، وأنهم مصرون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة ، وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . إلى آخر هذه التقريرات الحاسمة)[١] .

وموالاة الكفار ومناصرتهم ومودتهم هي أصل أهداف الحوار المحرمة إذ أن أكثر الأهداف المحرمة متفرعة من هذا الأصل .

ثانيا : الحوار معهم لأجل التقارب معهم : وذلك بمسالك شتى منها : —

(أ) التنازل عن شيء من الدين أو أخذ شيء من دينهم لإتمام ديننا . يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته بعنوان نظرية الوحدة : (وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية ، وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق أستكمله الثاني !! .. وعلى هذا لاح لي بارق كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها)[٢] وقد

---

(١) قطب : في ظلال القرآن ٢/٩٠٩ – ٩١٠ .

(٢) غزال : مصطفي فوزي ، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام م ٢٤٧ ، دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م .

تبنى محمد عبده محاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية وتفاوض مع القس الانجليزي إسحاق تيلور وقد أشار إلى ذلك رشيد رضا ونشر رسالتين منها في الجزء الثاني من تاريخه ، وبين اشتراك اليهود فيها [1] .

وقد ظهر هذا بشكل واضح في مؤتمر الحوار بلبنان عام ١٩٧٠م اذ كتب مسيحي في التقارير في نهاية الحوار : (وفي الحوار يكتشف الشخص المنتمي إلى عقيدة معينة وعلى الرغم من التزامه الديني أنه في احتياج إلى بعض النقاط التي تؤكد عليها بالأكثر عقيدة أخرى ـ وأوضح مسلم بعد ذلك ـ إن الإسلام وقد بدأ تاريخه من مركز قوة وانتصار يحتاج اليوم إلى الفكرة المسيحية عن الألم الذي هو طريق الانتصار) [2] ، فإنه إن عذر النصراني بقوله لتحريف دينه ، فما عذر المسلم الذي أكمل الله له الدين ، وأتم عليه النعمة : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [3] فالإسلام ليس فيه نقصان يكمل من أي عقيدة أخرى ، فقد أتمه الله وبلغه النبي ﷺ كما أوحي إليه : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ [4] والزيادة والنقصان ليس لها ضابط ولا نهاية ، فمن بدأ ولو بشيء يسير فقد اتبع منهجا آخر وترك الوحي المنزل : ﴿ **ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ [5] ، فلا يجوز سلوك هذا المسلك لأي مصلحة كانت حتى لو كان بها تأليف قلوب أهل الكتاب وكسبهم ، لأن الدعوة إلى الله ليس هذا طريقها ، ولا يبدأ بها بإثبات نقص الدين وحاجته إلى ما سواه ، أو الميل إلى الكفار لأخذ ما عندهم ، وإنما طريقها بإثبات كمال الدين وحسنه ، ونقص ماعداه ، وبالدعوة بالتي هي أحسن كما بينه الكتاب والسنة .

(ب) ومن مسلك التقارب مشاركتهم فيما هم فيه من العبادات ، وهذا ليس أمرا جديدا، فقد عرض هذا النوع على النبي ﷺ كما روى ابن إسحاق أن الأسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي – وكانوا ذوي أسنان في قومهم ـ اعترضوا رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فقالوا : يامحمد هلم فلنعبد ما

---

(١) حسين : محمد محمد ، الإسلام والحضارة الغربية ٩٧- ٩٨ دار الإرشاد بيروت الطبعة الأولي ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

(٢) سليمان : وليم : الحوار بين الأديان ٥٣ - ٥٤ ، تقديم عبد العزيز كامل ، (د . ت) .

(٣) المائدة ٣ . (٤) المائدة ٦٧ .

(٥) المائدة ٤٩ .

تعبد ، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، فأنزل الله فيهم : **﴿ قل ياأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين ﴾** (١) ، (٢) .

فلا تلاقي في منتصف الطريق حتى لو كان المسلمون في مرحلة ضعف لأن الدين يجب أن يكون في نقائه ووضوحه .

وفي مؤتمر الحوار الذي عقد بلبنان عام ١٩٧٠ م وحضره ثلاثة من الهندوس وأربعة بوذيين وثلاثة مسلمين وثمانية وعشرون مسيحيا ، كانت هناك فترات للعبادة المشتركة بقيادة واحد من الحاضرين(٣) فصلى المسلم خلف عبدة الأوثان كما يصلون وأقرهم على ما هم عليه ، بل شاركهم فيه !! ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولا شك أن فعل شيء من ذلك يعد من الكفر الأكبر ؛ لأن عبادة غير الله شركٌ أكبر باتفاق المسلمين ، بل إن إقرار الكفار على ما هم عليه من الكفر المخرج من الملة ، فكيف بالمشاركة ! .

(جـ) ومن مسالك التقارب اقراراهم على دينهم وتصحيحه لهم ، أو مدحه باعتباره دينا صحيحا . أو مساواته بالإسلام . وكثير من المتفلسفة يقولون بهذا القول فيجعلون دين اليهود والنصارى كالإسلام ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن التتار : (وكذلك الأكابر من وزرائهم يجعلون الإسلام كدين اليهود والنصارى وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين ، ثم منهم من يرجح دين اليهود أو دين النصاري ، ومنهم من يرجح دين المسلمين ، وهذا القول فاش غالب فيهم حتى فى فقهائهم وعبادهم لا سيما الجهمية من الاتحادية الفرعونية ونحوهم فإنه غلبت عليهم الفلسفة ، وهذا مذهب كثير من المتفلسفة أو أكثرهم ، وعلى هذا كثير من النصارى أو أكثرهم ، وكثير من اليهود ، وأيضا لو قال قائل : إن غالب خواص العلماء منهم والعباد على هذا المذهب لما أبعد) (٤) .

ونجد أن بعض النصارى المعاصرين يقول بذلك ، يقول نصري سلهب : (٥) (إن المسيحية والإسلام منزلان يدعوان إلى الله وإلى اليوم الأخر ، وإذا كان هناك فوارق

---

(١) الكافرون ١-٦.
(٢) ابن هشام ، السيرة ٢/ ١٠ .
(٣) سليمان : وليم ، الحوار مع الأديان ٤٩ .
(٤)ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٤ / ٣٨١ .
(٥) نصراني لبناني يكتب في الشرق الأوسط .

بينهما فلأن الله شاء ذلك ، فالطرق إلى الله عديدة) ثم ساق الآيات التي توضح اعتراف القرآن بالنصارى ومدحه لهم [1]. ووافقه على ذلك بعض المسلمين فيقول محمد حمدي زقزوق) [2] : (إن أتباع الأديان الأخرى يمكن أن يكونوا صالحين بشرط إيمانهم بوحدانية الله ، وعلى وعي بمسؤليتهم أمامه ، وكذا سلوكهم العلمي مطابق ، ويستدل بقوله تعالي : **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[3] . [4] ولا أدري ماذا يقصد بأن يكونوا أتباعا للأديان الأخرى ، ويكونوا موحدين ثم يكون سلوكهم مطابقا !! هل يقبل من أحد غير الإسلام الذي أنزل على محمد ؟ . ولا يقول بهذا القول ويستدل بهذه الآيات على أنها إقرار لأهل الكتاب إلا جاهل بالقرآن أو متجاهل ، لأن القرآن فيه مدح للنصارى المؤمنين بالله قبل مبعث النبي ﷺ ، أو ممن آمن بمحمد ﷺ وليس في القرآن ثناء على النصارى ممن أتى بعد محمد ولم يؤمن به ، وظهر ذلك في الآيات التي فيها مدح لهم وهي : -

١ - **﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾**[5] .

ويتضح من هذه الآيات أنها نزلت فيمن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد قال ابن عباس : إن هذه الآيات نزلت في النجاشي [6] .

٢ - **﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾**[7] قال ابن عباس في هذه الآية أنها نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم [8] .

٣ - **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر**

---

(١)سلهب : نصري لقاء المسيحة والإسلام ٢٠ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٠ م .

(٢) استاذ أزهري وقد عمل وكيلا لكلية الشريعة في قطر .

(٣) البقرة ٦٢ .

(٤) زقزوق : محمد حمدي ، الإسلام في الفكر الغربي ١٢٤ ، دار القلم الكويت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

(٥) المائدة ٨٢ ، ٨٣ .

(٦) ابن كثير ، ٢/١٨٥ .

(٧) آل عمران ١١٣ .

(٨) ابن كثير ، ١/٣٧٩ .

وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [1] .

وهذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي من النصارى قبل مبعث النبي ﷺ ولكنهم لم يدركوه [2] .

فهذه الآيات وأشباهها نزلت في الموحدين منهم قبل البعثة ، أو المؤمنين بمحمد بعد البعثة ، وأما غالب ذكرهم في القرآن فهو مذمة لهم على كفرهم وعنادهم وجحدهم بآيات الله وكتمهم لما عرفوه من الحق كما هو معلوم من القرآن في آيات عديدة كما قال تعالى : **﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾** [3] وكما قال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾** [4] .

ولا غرابة في خروج هذا الرأي من بعض النصارى أو من عوام المسلمين ، وإنما الغرابة أن يقول به بعض المثقفين المسلمين وقد صرحت النصوص بخلاف ذلك كما قال تعالى : **﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾** [5] وقال : ﷺ « **والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » رواه مسلم [6] .

ثالثا : الحوار معهم لتحقيق أهداف مشتركة كمحاربة الشيوعية ، أو لنشر الأديان السماوية الثلاثة ، ومن أمثلة ذلك :

أ ـ ما تتزعمه السياسة الغربية من حوارات بين أبناء الأديان السماوية الأصل الثلاثة، وخاصة بين المسلمين والنصارى لمحاربة الشيوعية ، وتضييق مجال عملها . وكثيرا ما نرى أن الشيوعية إذا نشطت في بلد إسلامي أوعزت الولايات المتحدةلحكومات هذا البلد بإعطاء المسلمين قدرا أكبر من الحرية – لا حبا لهم ولكن دفعا للشيوعية – كما حدث ذلك في مصر ، فهذه حركة سياسية تستغل بها الحكومات الغربية المسلمين ، وتستثمر جهودهم لمصالحها ، ولا حرج على المسلمين في محاربة الشيوعية أو استغلال الحريات المتاحة لهم لنشر دينهم ، وإنما الحرج في الولاء مع المنصرين

---

(١) البقرة ٦٢ .
(٢) ابن كثير ١/١٠٣ .
(٣) البقرة ١٤٦ .
(٤) آل عمران ٧٠ .
(٥) آل عمران ٨٥ .
(٦) مسلم ١/٩٣ .

والحكومات الغربية وتحقيق أهدافهم .

ب ـ معهد حوار الحضارات والذي تولى رئاسته الفليسوف الفرنسي المسلم روجيه جارودي ، وقد أنشيء هذا المعهد بباريس عام ١٩٧٤ م تحت رعاية منظمة اليونسكو ومقره الآن في جنيف [١] وقد أسسه مسلمون ونصارى ، والأغلبية فيه مسلمون ، والأموال المبذولة في المشروع أغلبها أموال إسلامية ، وقد ذكر جارودي أن الهدف من هذا المعهد هو(كشف النقاب عن وجه الإسلام الحق المشرق وعن عقيدته وإسهاماته لتعزيز القيم الإنسانية في العالم) [٢] غير أن المادة الثانية من النظام الأساسي للمعهد نصت على أن الهدف منه هو (تشجيع الأبحاث الرامية إلي إظهار أهمية الإسهام الذي قدمته الثقافات غير الغربية إلى الثقافات الجامعة ، وكذلك تشجيع اللقاءات الروحية التي تتيح المجال بإجراء حوار بين الأشخاص ذوي الثقافة والإيمان الواعين أهمية ومستقبل جميع مركبات السنة الإبراهيمية ـ اليهودية والمسيحية والإسلامية ـــ وجميع اشكال الروحانية والنزعة الإنسانية [٣]. ويتبع لهذا المعهد (القلعة الحرة) في قرطبة وهي قلعة قديمة شيدت للدفاع عن المدينة أيام الخلفاء المسلمين ، وتنص وثيقة القلعة على أنه (بفضل تفهم عمدة قرطبة وموافقة المجلس البلدي بالإجماع قد تم التنازل عنها لمدة ٤٩ عاما وذلك للمعهد الذي يرأسه روجيه جارودي معهد حوار الحضارات وسيكون الغرض من متحف القلعة الحرة الأندلسي هو إبراز الإسهام العظيم الذي قدمه الأندلس إلى الثقافة العالمية ، لاسيما في الفترة التي بلغ فيها الذروة أي فترة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر ميلادي . وإيجاد الوسيلة التي يمكن أن تصبح بها قرطبة من جديد عاصمة للفكر ، ومنارا للعلم) [٤] وسيكون في القلعة مكتب دراسة ومركز نشر وإدارة عامة ومتحف [٥] .

وفي القاعة ١٠ بالطابق الأرضي سيكون قاعة استماع لموسيقى عربية أندلسية مع عرض آلات عربية أندلسية [٦] .

ولجارودي نشاطات أخرى في قرطبة كمشروع إحياء روح جامعة قرطبة الإسلامية ومركز البحوث في قرطبة ، والهدف من المركز الأخير إثبات قدرة الإيمان

---

(١) جارودي : – روجيه ، نشرة ورقة واحدة بعنوان تعريف بمعهد حوار الحضرات .

(٢) المرجع السابق .

(٣) معهد حوار الحضارات ، النظام الأساسي ٢ .

(٤) معهد حوار الحضارات ، القلعة الحرة ٣ .

(٥) نشرة صادرة عن القلعة ٣ .

(٦) المرجع السابق ٥ .

والثقافة الإسلامية على إخراج المجتمعات المعاصرة من ضلالتها أي من الفردية الرأسمالية ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ ومن الشمولية السوفيتية (١) .

وفي إطار الدعوة إلى الإبراهيمية التي ينادي بها جارودي ندوة حوار الوحدة الإبراهيمية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وكما نصت نشرة الندوة أن اللقاء لا يهدف (إلى الخوض في طروحات لاهوتية بل تحديد القواسم المشتركة بين معتنقي الإيمان الإبراهيمي وخاصة ما يجب أن يفعلوه سوية) وتستغرق الندوة خمسة أيام ، دعى إليها حوالي عشرون شخصا ثلاثة عن اليهود وتسعة عن النصارى وتسعة عن المسلمين (٢) منهم روجيه جارودي وعبد الله نصيف من رابطة العالم الإسلامي ، ومختار مبود من اليونسكو ومحي الدين صابر من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومحمد أسد وأنور إبراهيم وزاردار ومحمود أبو السعود وأسماعيل فاروقي(٣) .

وفي إطار ذلك مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية في قرطبة في ١٢ – ١٥ فبراير ١٩٨٧ م وقد دعي إلى المؤتمر يهود ونصارى ومسلمون للأهداف السابقة ، وكان ممن يمثل المسلمين روجيه جارودي والبروفيسور عبد السلام ـ قادياني ـ وصدر الدين أغاخان إسماعيلي وآخرون . والمؤتمر يركز على الإنسان والسلام والاقتصاد(٤).

والنقد الموجه لمثل هذه الحوارات ما يلي :

أولا : أنها لا تحقق أهدافا شرعية مقبولة ، بل على العكس تحقق أهداف أهل الكتاب من جعل أديانهم المحرفة على قدم المساواة بالإسلام ، أو على الأقل إقرار المحاور المسلم بها يصاحب ذلك عدم اعترافهم بنبوة محمد ﷺ على وجهها الصحيح من كونه رسولا للعالمين وشريعته ناسخة لما قبلها . يقول أنور الجندي عن هذا الحوار: (وقد كشف المحاورون المسلمون أهداف هذه الدعوة إلى الحوار بأنها محاولة من الكنيسة للحصول على اعترافات صريحة بالنصرانية وبالسيد المسيح في غير مقابل مماثل ، وأن هذه الاعترافات تقدم للنصارى والغربيين لإثنائهم عن دخول الإسلام بدعوى أنه لا توجد بين

---

(١) مركز البحوث قرطبة نشرة من ورقة واحدة .

(٢) ندوة حوار الإبراهيمية نشرة صادرة عن الندوة ص ١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤ . وهؤلاء مدعوون ، وليس بالضرورة أن يكونوا جميعا قد شاركوا فيها ، كما أن مشاركة بعض العلماء الخيرين في مثل هذه الحوارات قد يكون فيه مصلحة بيان الحق إذا بينه .

(٤) مجلة البلاغ ١٥ رجب ١٤٠٧ هـ العدد ٨٨٤ ص ٥٦ – ٥٧ .

النصرانية والإسلام فوارق أساسية ، وهذه خدعة شديدة الخطورة إذ أن مفهوم التوحيد الخالص الذي يتميز به الإسلام له آثاره البعيدة في النفس الإنسانية وفي الإيمان) [١] .

ومن المعلوم أن دين أهل الكتاب قد حرف عن أصله ، فطرأت الانحرافات العديدة عندهم وأعظمها الشرك بالله (ومن هنا فإن قبول الحوار مع هذه الأديان دون تقدير الموقف الخاص لهذه الانحرافات يكون عملا غير عملي ، خاصة وأن الجانب الأخر سيصر على موقفه ويطالب بقبول الأمر الواقع ، فهل معنى هذا أن يعترف الإسلام بالأمر الواقع وبالأديان القائمة الآن على أنها هي الأديان المنزلة ، وأن كتبها هي الكتب المنزلة) [٢] (والحقيقة التي لا تقبل الجدل أن الإسلام جاء ليصحح أخطاء أتباع الأديان السابقة ، ويكشف عن إنحرافها عن الطريق الذي رسم لها) [٣] فليس هذا الحوار بهذه الصورة من طرق الإسلام ، لذا لما (واجه علماء الأزهر جارودي رفضوا فكرته تماما كما أن كثيرا من علماء المسلمين في الملتقى الإسلامي بالجزائر عارضوا الفكرة ورفضوها) [٤] .

ثانيا : أن المتزعم لمثل هذه الحوارات في الغالب لا ينبغي له أن يمثل الإسلام لعدم إنطباق الشروط الواجب أن تتوفر في المحاور المسلم ، فلا يجوز أن يمثل الإسلام إسماعيلي أو باطني أو قادياني . أما روچيه جارودي – وهو المخطط لمثل هذه الحوارات – فإنه وإن كان عالما بفلسفة الغرب إلا أنه ينقصه العلم بشريعة الإسلام ، إضافة إلى أن له كتابات تدل على انحرافات فكرية ناشئة عن الجهل بالإسلام ، ومنها على سبيل المثال : مدحه لابن عربي ونقله لكلامه المتضمن انحرافات خطيرة واقرارها على صورة لا تصدر من عالم بالشريعة الإسلامية ، ومن ذلك قول جارودي : (يقول ابن عربي على لسان الله مخاطبا الإنسان : لا أتجلى لعبدي إلا في صورة معتقده الخاص.والقرآن يؤكد مقولة ابن عربي فيشير إلى أن ما يقوله الإنسان عن إيمانه ليس بذي قيمة ، وإنما القيمة الأثر لما يفعله هذا الإيمان في قلب المؤمن ليمنحه راحة النفس ، وحينذاك يردد الإنسان على لسان ابن عربي :

---

(١) مجلة منار الإسلام – أبو ظبي – في جمادى الآخره – ١٤٠٧ هـ ص ٧٢

(٢) مجلة منار الإسلام – أبو ظبي – في جمادي الأخرة – ١٤٠٧ هـ ص ٧١

(٣) المرجع السابق ٧٣ . (٤) المرجع السابق ٧٢ .

لقد صار قلبي قابلا كل صورة — فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف — وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت — ركائبه فالحب ديني وإيماني

إن هذا الانفتاح الشامل في الإسلام على كافة الديانات التي ليست كلها إلا لحظات من العطاء في الملحمة الإنسانية ، وعملية خلق مستمر ينجزه الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه ، إن هذه الميزة في الإسلام جعلت منه أكبر قوة روحية قادرة على الاستيعاب والاحتواء) (١) إن هذا الكلام لفي غاية الخطورة وخاصة لمن يحاور الأديان الأخرى باسم الإسلام (٢) وللجارودي كتابات أخرى في مدح الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا والسهروردي وابن عربي تصفهم بأنهم أنقذوا الفلسفة الإسلامية الأصيلة من الاختناق الذي كانت تعاني منه (٣)، كما يصف من خالفهم وحاول بيان انحرافهم بعدم التفتح والتعصب فيقول : (أما العامل الداخلي في انحسار الفلسفة وسائر ألوان العلوم والثقافة الإسلامية فمرده إلى رفض كل تفتح خلاق ، ويكفي أن نشير إلى ما أصاب الفلسفة من نكسات ، إذ نُفي ابن طفيل إلى مراكش ، وحكم على السهروردي بالموت متهما بالهرطقة ، وسجن ابن عربي في القاهرة عام ١٢٠٦هـ بعد أن كشف خطره أحد الفقهاء المتعصبين ، ولقد نجا من الموت بأعجوبة ولكن قراءة كتبه أصبحت محرمة بحجة الحفاظ على أصول الدين وقواعده وهكذا انطفأ مشعل الفلسفة الرؤيوية وحُكم عليها بالشلل وهي في أوج ازدهارها وانطلاقها) (٤) .

ومن كتاباته فيما يتعلق بالفقه قوله : (والقرآن يقر تعدد الزوجات ولكنه لم يشرعه أصلا ، فقد وجد من قبل وأشير إليه في التوراة والعهد الجديد بل إن القرآن يفرض على تعدد الزوجات قيودا منها: العدل التام بين مختلف الزوجات في الإنفاق والمحبة والمعاشرة الجنسية. وهذه الشروط والقيود إذا طبقت حرفيا كما نص عليها القرآن فإنها تجعل تعدد الزوجات أمرا مستحيلا) (٥) ومن المعلوم أن الشارع لم يشترط العدل في المحبة ولا

---

(١) جارودي : روجيه ، ما يعد به الإسلام ، ١٧٦ ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكم . دار الوثبة دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

(٢) أنا لا أشك في نية جارودي وحسن مقصده وإني أعلم أنه أسلم باقتناع كما أن له كتابات تشير إلى عدم إقتناعه بوحدة الوجود (انظر ص ٧٨ من نفس الكتاب) إلا أن ذلك شئ وتعديه للحوار باسم الإسلام رغم انحرافاته المذكورة شئ آخر .

(٣) المرجع السابق ١٧٦ .

(٤) المرجع السابق ١٧٧ .

(٥) جارودي ، ما يعد به الإسلام ١٠٥ .

المعاشرة الجنسية ، وأنما اشترط المبيت والإنفاق ، ثم كيف يقر الله أمرا يستحيل تطبيقه .
ومن آراءه التي يرددها أن القرآن لا يصلح لكل زمان ومكان » ومن أقواله الدالة على ذلك: (ونحن نرى أن التفسير الضيق القائل بأن القرآن يتضمن تشريعا يصلح لكل زمان ومكان – هذا التفسير – يهدد مستقبل الإسلام بالخطر)[1] وقال : « إن من غير المنطقي أن نستخلص من القرآن تشريعات وقوانين سياسية شاملة تصلح لكل زمان ومكان)[2] ، كما أن له كلاما يميل فيه إلى إنكار كون السنة مصدرا للتشريع [3] .

ثالثا : أن المركز الإسلامي ينبغي أن يكون قائما على أصول إسلامية فلا يكون خليطا من أهل الكتاب ، لأن في ذلك نوعا من وحدة الهدف والتحالف معهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين . وقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنه لما نوقش جارودي في القاهرة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وسئل عن تكوين المركز ، ذكر أن المركز يتكون من أربعة أعضاء هو الرئيس ، والأمين العام مسيحي أسباني وعضوان مسلمان أسبانيان – معروف أنهما ممن يتاجرون بالإسلام – وأخفى ذكر بعض الأعضاء اليهود الصهاينة الذين كانوا يعملون في تحقيق فكرة جامعة البحر الأبيض المتوسط [4] فلما فشلت الفكرة تحولا إلى مركز قرطبة – وكان الاجتماع برئاسة وزير الأوقاف المصري السابق الأحمدي أبو النور فلما قال جارودي ذلك ذكر العلماء أنهم لا يقبلون مركزا إسلاميا دون أن يكون مكونا من أصول إسلامية أما أن يكون بهذه الطريقة المشبوهة فذلك شئ لا يقبل)[5] .

وأخيرا أنقل مقتطفات من كلام سيد قطب ـ رحمه الله ـ في بيان هذا الجانب فيقول : (إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم ، وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب ، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا لهم البقاء على دينه وتحقيق نظامه ، ولن يكفهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له ، وسذاجة أي سذاجة وغفلة أي غفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقا واحدا نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار والملحدين فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة

---

(١) المرجع السابق ١٠٧ .
(٢) المرجع السابق ١٠٨ .
(٣) المرجع السابق ٢٦٥ .
(٤) هذه الفكرة لتوحيد الأديان تبناها السادات وأراد أن تكون في سيناء ولكنها فشلت ولم تنجح .
(٥) صحيفة الهدى وهي ملحق يومي تصدره صحيفة الاتحاد بأبو ظبي بمناسبة شهر رمضان ١٤٠٧/٩/١٩ هـ .

مع المسلمين ، وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان، حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد - بوصفنا جميعا أهل دين - ناسين تعاليم القرآن كله ، وناسين تعاليم التاريخ كله ، فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين ﴿ **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ [١] ، وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة ، وكانوا لهم دروعا ورداءً ، وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام ، وهم الذين أرتكبوا فظائع الأندلس ، وهم الذين شردوا العرب المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم ، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية ! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان .. في الحبشة والصومال وأرتيريا والجزائر ، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان ، ثم يظهر بيننا من يظن - في بُعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة - أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر ندفع به المادية الإلحادية عن الدين) [٢].

ويقول : (إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة ، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون في فهم معنى الأديان كما يخطئون في فهم معنى التسامح ، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله ، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي .. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام) [٣] .

ويقول : (إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام لأنه ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ [٤] ولكن هذا ليس معناه أن يعترف بما هم عليه (دينا) ويراهم على (دين) . ومن ثم فليس هناك جبهة دين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك (دين) هو الإسلام وهناك (لا دين) هو غير الإسلام .. ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة ، أو عقيدة أصلها وثني على وثنيتها ، أو إلحادا ينكر الأديان .. تختلف فيما بينها كلها . ولكنها تختلف كلها مع الإسلام ، ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء) [٥] .

---

(١) النساء ٥١

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ٢ / ٩١٠

(٣) المرجع السابق ٢ / ٩١٢ .

(٤) البقرة ٢٥٦ .

(٥) قطب ، في ظلال القرآن ٢/ ٩١٥ .

الفصل الثالث

هدف أهل الكتاب من الحوار

إن هدف أهل الكتاب من الحوار هو هدف استعماري وتنصيري يراد منه استغلال ثروات المسلمين ، وردتهم عن دينهم ، وطمس حضارتهم ماخلا قلة قليلة لاتذكر كمن أسلم منهم عن طريق الحوار، أما غالبيتهم وماتسعى إليه مؤسساتهم المختلفة فهي ماأشرنا إليه آنفاً .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك وحذرنا من أهل الكتاب تحذيرات عديدة :-

فتارة يخبرنا برغبتهم الجادة المتواصلة في فتنتنا عن ديننا وصدنا عنه حسداً منهم كما قال تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ودت طائفة من أهل الكتاب لويضلونكم ومايضلون إلا أنفسهم ومايشعرون** ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائِكم ...** ﴾ (٣) .

وتارة يحذرنا من مودتهم وإرادة رضاهم فإنهم لن يرضوا عنا إلا بأن نترك ديننا ونتبع ماهم عليه ، قال تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن الهدى هدى الله**﴾ (٤) .

وتارة يبين لنا سعيهم المتواصل لإضلالنا وصدنا عن دين الله ، قال تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولاتؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ...**﴾(٥) .

وتارة يحذرنا من طاعتهم فإنها لاتنتهي إلا بتركنا لدين الله كما قال تعالى :

---

(١) البقرة ١٠٩ .

(٢) آل عمران ٦٩ .

(٣) النساء ٤٤ – ٤٥ .

(٤) البقرة ١٢٠ .

(٥) آل عمران ٧١، ٧٢ .

﴿ يأأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردونكم بعد إيمانكم كافرين ﴾[1] .

وإنني أعجب من بعض المسلمين الذين يتناسون هذه التوجيهات القرآنية الآمرة بالحذر من أهل الكتاب لما يهدفون إليه من مقاصد وأهداف سيئة ، فيقومون بالدفاع عن أهل الكتاب ، أو طاعتهم ومودتهم . ولقد علمنا التاريخ أن نحذر منهم وألا نسارع إلى تصحيح نواياهم . وإن أهداف أهل الكتاب هي ماأشار إليه القرآن الكريم سواء أعلنوا ذلك أم تخفوا بثياب أخرى .

ولو عدنا إلى الوراء لمعرفة خلفية ماينادون به من حوارات لما خفي علينا شيء من أهدافهم ، وذلك أنهم بعد أن فشلت الحروب الصليبية عن أداء مهمتها ، وعلم النصارى أن الحرب لاتنفع مع المسلمين لما فيها من إثارة غيرتهم الدينية ، وإحياء روح الجهاد ، عمدوا إلى أساليب أخرى كالاستشراق ودراسة تراث المسلمين بهدف الطعن فيه ، وكالتنصير المسمى بالتبشير ، وكانت آخر وسائلهم الحوار. ولكن (للأسف أن بعض المفكرين المسلمين ـ تحت تأثير الهزيمة النفسية أمام الغزو الثقافي الغربي ـ يحاول الدفاع عن المستشرقين المحدثين ، وأنهم يختلفون عن أسلافهم في آرائهم ومنهجهم الذي كان يتسم بالتعصب)[2] وقد انطلت اللعبة على هؤلاء . وسأحاول أن أبين أن الاستشراق والتنصير والحوار ماهو إلا امتداد للحروب الصليبية ، وأن ذلك وجوه متعدده لعملة واحدة .

أما الاستشراق: فيقول لويس التاسع بعد ماوقع أسيراً في مصر ورجع إلى بلاده: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلاتقاتلوهم بالسلاح وحده -فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح- ولكن حاربوهم في عقيدتهم)[3] .

ويقول جارودي : (وبعد أن أخفقت الحروب الصليبية عاود الكرة المبشرون ـ رواد الاستشراق ـ ، وقد قرر مجمع فيينا عام ١٣١٢م إحداث عدد من الكراسي الجامعية لتدريس اللغة العربية في كل من جامعة باريس وأكسفورد وبولونيا ـ في إيطاليا ـ وأفينيون وسالا منك ، وذلك تلبية لاقتراح الراهب الكاتالاني ريموندليل ـ

---

(١) آل عمران ١٠٠ .

(٢) غراب : أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق ٣٤ دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٣) قطب : محمد ، واقعنا المعاصر ١٩٦ .

١٢٣٤ـ١٣١٦م ـ الذي سافر إلى شمالي أفريقيا وآسيا الصغرى حيث لمس ماتحظى به الثقافة العربية هناك من قيمة وأهمية .

وهكذا ولد الاستشراق الذي لم يكن في أساسه بحثاً علمياً صرفاً ، وإنما كان يهدف إلى التبشير بالدين المسيحي .

والجدير بالذكر أن عملية الاستشراق هذه ـ ما عدا بعض الحالات ـ تلعب دوراً مشبوهاً في خدمة الكنيسة والسياسة الاستعمارية ، والذي يعمل على فبركة شرق طيع يستجيب لمقتضيات السيطرة الغربية .

وحسبنا أن نشير إلى بعض الأمثلة الشهيرة، ونبدأ بزعيم المستشرقين سيلفستردي ساسي ١٧٥٧-١٨٣٨م وهو أول أستاذ في اللغة العربية في كليات اللغات الشرقية بباريس ومديرها فيما بعد، ثم كان استاذاً في (الكوليج دي فرانس) وقد قام هذا المستشرق بالإضافة إلى منصبه العلمي بدور مواز لهذا المنصب في وزارة الخارجية الفرنسية حيث كان مستشاراً للشؤون السياسية الشرقية في الحكومة ، وهو الذي حرر البيانات والنشرات لجيش نابليون ..ناهيك بصياغته للنداء الموجه إلى الجيش الفرنسي باجتياح الجزائر عام ١٨٣٠م .

أما المستشرق ماكس ميلر ـ ١٨٢٣ـ١٩٠٠م ـ الذي كان الآمر الناهي في جامعة اكسفورد لكونه أستاذاً للغة السنسكريتية ، والديانات الشرقية ، فكان يقوم بإلقاء المحاضرات في كامبريدج لتخريج الكوادر الإدارية الاستعمارية للهند عام ١٨٨٢م.

أما روت بينيركت١٨٨٧-١٩٤٨م والأستاذ في جامعة كولمبيا فقد كتب أشهر مؤلفاته بعنوان السيف والأقحوان تلبية لطلب المخابرات العسكرية بزعامة الجنرال ماك أرتر . وقد حولت المخابرات المذكورة عملية نشر الكتاب وتوزيعه في سبيل تسهيل ضم اليابان إلى مشروعات السياسة الأمريكية .

إن هذا الاستشراق الذي كان يُسخر غالباً لخدمة الأهداف التبشيرية والأمبريالية والسياسية في العالم الثالث قد أسهم إسهاماً كبيراً في خلق تسويغ علمي للغربيين ، تسويغ لأحكامهم السابقة وممارساتهم التسلطية « إلى أن قال » فالغرب لم يحاول أن يفهم الشرق ويتعلم منه ويطلع على مايحركه من الداخل من عقيدة وثقافة بل نظر إليه من الخارج منطلقاً من مقاييسنا ـ نحن الغربيين ـ في فهم الأمور، وكأن مسيرة الحضارة الغربية هي المثل الأعلى الذي يجب اتباعه . وفي أحسن الأحوال كان الغرب يعرف ما

لدى الشرق ولكنه لم يكن يحبه) [1] . ويؤكد هذا محمد أسد بقوله : (إن كره الأوربيين نحو الإسلام كره عميق الجذور ، يقوم في الأكثر على التعصب الشديد ، وهذاالكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية شديدة وقوية وعنيفة . وهم عندما يتحدثون عن أي دين وإن كانوا يكرهونه فإنهم يتحدثون بتوازن،أما إذا تحدثوا عن الإسلام فإن التوازن يختل ويأخذهم الميل العاطفي) [2] .

ويقول مصطفى السباعي عن إحدى رحلاته العلمية في أوربا : (وقد أتيح لي خلال تلك الرحلة أن أواصل زيارة الجامعات في كل من بلجيكا والدانمرك والنرويج وفنلندا وألمانيا وسويسرا وباريس ، بالإضافة إلى اسكتلندا وانجلترا وهولندا والسويد ، واجتمعت بمن كان موجوداً حينئذ من المستشرقين الذين لقيتهم خلال تلك الرحلة ، واتضحت لي الحقائق التالية :-

أولاً : إن المستشرقين ـ في جمهورهم ـ لايخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً ، وقد يشذ عن ذلك أفراد .

ثانياً : إن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية –كالدول الاسكندنافية – أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

ثالثاً : إن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن جولد تسهير وآرائه بعد أن انكشفت أهدافه الخبيثة .

رابعاً : ان الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ، يلقى منهما كل تأييد .

خامساً : إن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ماتزال حريصة على أن توجه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه سمعة المسلمين ، ففي فرنسا لايزال بلاشير وماسينيون وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شئون العرب والمسلمين) [3] ثم ذكر أن دراسة المستشرقين محجوبة عن إصابة الحق في القضايا الإسلامية بحجابين :

---

(١) جارودي : روجيه، مايعد به الإسلام ٢٣٢-٢٣٤ .

(٢) الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ٩١-٩٢ .

(٣) السباعي:مصطفى،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي١٦ ١٧٠ (بتصرف) .

الأول: التعصب الديني .

الثاني: الغرور الغربي بسبب القوة المدنية [١].

فالتعصب الديني باق إلى اليوم وقد حشد إدوارد سعيد [٢] الأدلة الكثيرة الدالة على بقاء المستشرقين على تعصبهم السابق [٣] .

وعلى ذلك فهم غير مؤهلين لدراسة الإسلام ، لأنهم تجردوا من الصدق والأمانة ، واتخذوا موقفاً متحيزاًمسبقاً، ولايمكن أن يكون الإنسان موضوعياً وهو يشعر نحو الإسلام بهذا الكم من العداوة ، إضافة إلى عمالته للاستعمار واشتغاله بالتنصير[٤] فدراسة المستشرقين للإسلام ليست علمية صرفه كما أسلفنا ، وإنما لأمر يراد لهدم الإسلام ، وقد صرح بذلك المستشرق الأمريكي روبرت بين حيث يقول في كتابه السيف المقدس : (إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم فقد غزوا الدنيا من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية ، إن النار التي أشعلها محمد ماتزال تشتعل بقوة وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء)[٥] وصدق الله إذيقول : ﴿ **يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[٦] .

أما التبشير المسيحي فقد اتضح زيفه وسوء أهداف المنصرين ، وصلتهم القوية بالاستعمار ، وإرادتهم لصد المسلم عن دينه وزعزعة عقيدته ، يقول زعيم المبشرين صموئيل زويمر : (لاينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل ، أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، فعندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً ، يا أيها المبشر المسيحي ، يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح المسلم مسيحياً..)[٧]

وقد ذكر محمد عبده أن أحد أبناء جبل لبنان المسيحيين ممن تعلم في مدارس الجمعيات الدينية الفرنسية ، وامتلأ قلبه بحب فرنسا واستقر في ذهنه أنها منبع العلم والحرية ، فسافر إلى فرنسا لتعينه على إنشاء مدارس بلبنان ، واتصل بأحد معارفه

---

(١) المرجع السابق ٢٢ .
(٢) نصراني فلسطيني يحمل الجنسية الأمريكية ويعمل في إحدى جامعاتها .
(٣) انظر كتابه الاستشراق .
(٤) غراب : أحمد ، رؤية إسلامية للإستشراق ١٠٠ بتصرف .
(٥) قطب : محمد ، مذاهب فكرية معاصرة .
(٦) محمود : علي عبد الرحمن ، الغزو الفكري ١٣٨ .
(٧) الصف ٨ .

ممن استقر هناك فقال له صاحبه (إن ماتخيلته ضرب من الوسواس ، وأن الحكومة الفرنسية وإن كانت تطرد الجزويت من بلادها وتنازع الكنيسة في سلطتها، ولكن سياستها في الخارج دينية محضة ، ويمكن أن تعرف ذلك من حمايتها للجزويت وإعانتها لهم بالمال والقوة في بلادك ، فإن كنت تريد إنشاء مدارس دينية في بلاد لبنان كان أملك في المساعدة قريباً ، وإلا فارجع ، فرجع الشاب بالخيبة)[١] .

فهي سياسة استعمارية تسخر جهود المنصرين لأهدافها وهم يعلمون ذلك ، و(أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول ـ كما يقول أمين الريحاني ـ قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني ، وإيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين)[٢] وقد لاحظ بعض النصارى هذا الأمر فكتبوا يتذمرون من هذا الوضع فكتب رشيد سليم الخوري عن المنصرين (أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لاتقتضي أن أكون بارعاً في الجدل أو عالماً شهيراً بالتاريخ)[٣].

ويقول خليل اسكندر قبرصي : (إن الدين الذي نحن عليه أشبه بألعوبة صبيانية يلهوننا بها ليصرفونا بها عن عبادة الخالق الحقه إلى عبادة الجنسيات المختلفة ،إنه مطية لمآرب دنيئة سافلة،إنه وسيلة دمار وأداة هلاك وبوار) ويقول عنهم : (إن تعاليم الإنجيل لاتنطبق على تعاليمهم هم يقولون ابغض تجنب احذر امقت اكره ، والانجيل يقول أحبوا أعداءكم)[٤]. وقد أقام عمر فروخ وزهير الخالدي الأدلة الكثيرة على ارتباط التبشير بالاستعمار مباشرة[٥] .

أما الحوار وهو أسلوب قديم للنصارى ولكن في الآونة الأخيرة تبناه الفاتيكان عام ١٩٦٢م وذلك عندما دعا البابا يوحنا الثالث والعشرون إلى إثارة حوار بين المسيحيين وغير المسيحيين[٦] ، كما أصدر الفاتيكان عام ١٩٧٠م كتاباً بعنوان توجيهات لإقامة الحوار بين المسيحين والمسلمين[٧] ،وفي المجموعة التي أصدرها المجمع المسكوني الثاني

---

(١) عبده : محمد ، الإسلام والرد على منتقديه ٦٦ .   (٢) فروخ : التبشير والاستعمار ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ٣٥ وقد كتب ذلك في مجلة العصبة الأندلسية ١٩٤٧م العدد الرابع .

(٤) قبرصي : دعوة نصارى العرب للدخول في الإسلام ٥ – ٦ .

(٥) يرجع إلى كتاب التبشير والاستعمار .   (٦) فروخ : التبشير والاستعمار ٢٥٧ .

(٧) هذا الكتاب ترجمه إلى العربية قصي أتاسي ميشيل واكم وقد اشتمل الكتاب على نصائح للمبشرين في كيفية حوارهم مع المسلمين ، وإنه حقاً يتحدث جملة بإنصاف –رغم مافيه من الباطل– فهو يعترف بظلم النصارى وإساءتهم للمسلمين ويطلب منهم الحوار بروح منصفة والتقبل للحق ، ولكنه ينافي مايفعله المبشرون المدعومون من الفاتيكان مادياً ومعنوياً مما يشير إلى أن ذلك الحوار نوع من التكتيك .

تعريف وتفصيل لهذا الحوار وفيه (يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار)[1] ، وكيف لنا أن نثق بهذا الحوار والجهات التي تتبناه لم تغسل أيديها إلى الآن من المؤامرات القديمة ضد الإسلام ، ومن الأساليب الدنسة التي يرتكبها عملاؤهم في الدول الإسلامية ، فالجهات الداعمة لهذا الحوار هي نفس الجهات التي دعمت الحروب الصليبية والاستعمار والاستشراق والتنصير حتى بعض الوجوه لم تتغير ، وإنما تغير الاسم فأتوا باسم جذاب ليتقبله الناس بعد أن انكشفت مؤامراتهم السابقة ، يقول عمر فروخ : (يصعب على المبشرين أن يتصلوا بالناس وخصوصاً المثقفين وذوي المكانة الاجتماعية ، فلجأوا إلى وسيلة جديدة سموها الحوار تقوم على جمع نفر من المثقفين ذوي الكلمة المسموعة في قومهم على مناقشات علنية لاتمت بظاهرها إلى التبشير وإن كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقائد بجر الناس إلى القول والرد ثم النفوذ من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة إلى التأثير على ذوي النفوس الضعيفة . ويقول (إن النتائج العملية لذلك الحوار لم تكن بعيدة الأثر في تحقيق الهدف الذي نُصب لها ، ذلك أن المخلصين أدركواأن هذاالحواروسيلة جديدة من وسائل التبشيرالسياسي والديني معاً) [2] ومالم يتفطن المسلمون لهذاالحواروأهدافه فإنه يخشى أن يعظم أثره ويصعب درء خطره .

ومن أهداف جمعيات الحوار ماأشار إليه بعض الباحثين بقوله : (وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم ، وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام ، وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام ، وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان وليست الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام ، فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشنة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين ، وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود والبحث عن مزاملته بأي ثمن ومحاولة تقريبه من الإسلام خاب ظنهم وقالوالماذانتنقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة ؟ بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم ليكسبوا بذلك عزاً وشرفاً)[3] ولاشك أن مؤسسة جارودي لها دور كبير في تحقيق هذا

---

(١) فروخ : التبشير والاستعمار ٢٥٨ . (٢) فروخ :التبشير والاستعمار ٢٥٧ .

(٣) العلياني: د . علي بن نفيع أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف المغالية فيه ٤٤٩ .

الهدف الأخير كما أسلفت .

أما من لايخدم أهدافهم فهم لايضيعون الوقت في الحوار معه إذ الحوار ليس إلا وسيلة للتبشير ، ومما يدل على ذلك أن البابا ـ وهو الذي دعى إلى الحوار– امتنع عن حوار أحمد ديدات ، ففي مقابلة لديدات سُئل:ـ دعوت البابا أكثر من مرة لمناظرتك فكيف كانت ردود فعله تجاه هذه الدعوات ؟. فأجاب: أجل لقد فعلت ذلك مراراً ولكن دون جواب رغم أن البابا هو الذي أعلن مراراً عن ضرورة إجراء حوار بين الديانتين الإسلامية والمسيحية حين صرح بذلك في تركيا وكينيا ونيجيريا وغيرها ، ولكن في حقيقته لايعنى بالحوار المناظرة والنقاش ،بل مايقصده ويوضحه لأتباعه :–أن اذهبوا ونصروا المسلمين وحولوهم لديننا .ولو استخدم كلمة ـ حولوا ـ لما أعجبت الناس، فاستبدلها بكلمة ـ حوار ـ ذلك المعنى الجميل المقبول ،وقد كُشف أمره حين قبلت دعوته ووجهت له الرسائل أطلب فيها محاورته امتثالاً لأمر الله لنا بذلك) [١] فالاستشراق والتنصير والحوار لها هدف واحد بأسماء مختلفة .

ومما يدل على سوء نوايا أكثرهم أنهم تركوا ديارهم خاوية من أي دين وجاءوا إلى بلاد الإسلام بكثافة مستغربة ،ولو صحت لسعوا أولا في بلادهم فإن ذلك فيه تأثير أقوى وجهد أقل ، فإن بلادهم دينها المادة فقط ، يقول محمد أسد: (ولاريب في أنه لايزال في الغرب أفراد عديدون يشعرون ويفكرون على أسلوب ديني ، ويبذلون جهود القانط حتى يوفقوا بين معتقداتهم وبين روح حضارتهم ، ولكن هؤلاء شواذ فقط ، إن الأوربي العادي – سواء كان ديمقراطياً أم فاشياً أم رأسمالياً أم بلشفياً ، صانعاً أم مفكراً – يعرف ديناً إيجابياً واحداً هو التعبد للرقي المادي،أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة هدف آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر) [٢].

ومما يدل على ذلك تجربة قام بها رئيس قسم الفلسفة في جامعة لندن د. جود حيث يقول : سألت عشرين طالباً وتلميذة كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم : كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني الكلمة ؟« فلم يجب بـ (نعم) إلا ثلاثة فقط ، وقال سبعة منهم إنهم لم يفكروا في هذه المسألة أبداً ، أما العشرة الباقية فقد صرحوا أنهم معادون للمسيحية) [٣] وقد يتساءل أحد :ولم يبذل اليهود والنصارى هذه الجهود في

(١) مجلة البلاغ ١٤٠٩/٧/١٣هـ ١٩ فبراير ١٩٩ العدد ٩٨١ الكويت ص ١٥ .

(٢) أسد : محمد ، الإسلام على مفترق الطرق ٤٧ .

(٣) الندوي : أبو الحسن علي الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٩٨ ، دار القلم – الكويت ، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

ديار الإسلام ؟ ومامصلحتهم منها؟ والجواب على ذلك (إن ظاهرة الغزو الصليبي لاتحتاج إلى تعليل ولاتفسير ، فالحقد الذي يحمله الصليبيون في قلوبهم للإسلام قد أخبرنا به اللطيف الخبير في كتابه المنزل : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير** ﴾ [1] ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شى قدير** ﴾ [2]، ﴿ **ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾[3] فهو حقد دائم كامن في قلوبهم ضد الإسلام ، لايحتاج إلى باعث آخر ، فبمجرد وجود إسلام في الأرض كاف لتحريك ضغائنهم ، وباعث لهم على التحرك ضد المسلمين ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا . تلك حقيقة نحتاج إلى توكيدها والتذكير بها) [4]، (حقيقة أن أوربا هجرت الدين ونسيته ، ولم تعد تحكمه في شيء من واقع حياتها لا السياسية ولا الاقتصادية ولاالعلاقات الاجتماعية ولامشاعر القلب ولاخطرات الذهن ، ولكن هذا كله شيء والحقد الصليبي شيء آخر ، إن الحقد الصليبي ليس مبعثه بالضرورة تدين النصارى كما يبدو لأول وهلة ، إنما سببه الأساسي هو وجود المسلمين ! وجود تجمع بشري لاينتمي إليهم ولاينضوي إلى زمرتهم ولايتبع ملتهم) [5] .

---

(١) البقرة ١٢٠ .
(٢) البقرة ١٠٩ .
(٣) البقرة ٢١٧ .
(٤) قطب : محمد واقعنا المعاصر ١٩٠ – ١٩١ .
(٥) المرجع السابق ١٩١ .

الباب الثالث

للحوار ثلاثة أركان أساسية لا يتصور قيام حوار بدونها وهي المتحاوران وموضوع الحوار .

وفي الحوار مع أهل الكتاب ستكون الأركان الثلاثة السالفة هي : -

١ ـ شروط المحاور المسلم .
٢ ـ المحاور الكتابي وشروطه .
٣ ـ موضوعات الحوار .

أولاً : شروط المحاور المسلم

هناك شروط يجب أن تتوافر في المحاور المسلم وعليه أن يسعى لتكميلها في نفسه إن أراد أن يتصدى للحوار مع أهل الكتاب . وهذه الشروط ترجع في أساسها إلى شرطين أساسيين لابد منهما في كل عمل : –

الأول : الأمانة .

والثاني : إتقان العمل . فإن كان العمل محتاجاً إلى قوة عبّر عنه بالقوة وإن كان محتاجاً إلى علم عُبّر عنه بالعلم وهكذا .

وقد ذكر الله هذين الشرطين في كتابه الكريم في آيات عدة مثل قوله تعالى عن جبريل: ﴿ **إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين** ﴾(١) ومثل قوله تعالى في قصة موسى : ﴿ **ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾ (٢) ومثل قول يوسف عليه السلام : ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** ﴾(٣) ومثل قول العفريت لسليمان : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين** ﴾(٤) .

وتفرع من هذين الشرطين شروط عدة ضرورية للمحاور المسلم وهي : –

١ – العلـــــم .

٢ – الاســـتقامـــة .

٣ – الإخـــلاص .

٤ – الجهـــر بالحـــق .

٥ – الالتزام بأدب الحوار .

---

(١) التكوير ١٩ – ٢١ .
(٢) القصص ٢٦ .
(٣) يوسف ٥٥ .
(٤) النمل ٣٩ .

أولاً : العلـــم :

صفة العلم هي أول الشروط فلا حوار بلا علم ، والمحاور الجاهل يفسد أكثر مما يصلح ، وقد ذمّ الله المجادل بغير علم كما قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير** ﴾[1] ، كما ذم الله أهل الكتاب لمحاجتهم بغير علم فقال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾[2]. قال القرطبي : في الآية دليل على المنع عن الجدال لمن لا علم له)[3] .

والعلم يشمل العلم بالإسلام من ينابيعه الصافية ، من الكتاب والسنة ومايتبع ذلك من كتب أهل العلم المفسّرة للكتاب والسنة ، ويشمل العلم بشبهات أهل الكتاب والرد عليها ، كما يشمل العلم بمن يحاور ، والاطلاع على عقيدته وفكره . فأما عقيدته العامة فلا يعذر محاور بجهلها وأما المذهب الفكري الخاص[4] فبقدر إمكانه ، كما يشمل العلم بأدب المناظرة ومناهج الحوار والجدل.

والمحاور المسلم داعٍ إلى الله يجب أن تكون دعوته بعلم وبصيرة كما قال تعالى :

﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾[5]. ولو تأملنا كيف كان علم المحاورين المسلمين لتعجبنا من سعة علمهم واطلاعهم ، ففي رسالة أبي الوليد الباجي رد على أحد الرهبان (وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد الذي سميتموه التحاماً اختلافاً لعله لم يبلغك،ولو كنت لدينا لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملتك ، ثم من تقريع المسلمين على ذلك وتتبع الحجج بما لم يبلغه قط أحد منهم ، ولأسمعناك من غرائبه وعجائبه وتلفيقاته وتناقضه وفضائحه واضطراب رواة الأناجيل ما يملأ به سمعك ويطيش به لبك ، لكن الكتاب لايحتمل التطويل)[6] يقول في نقض

---

(١) الحج ٨ ، لقمان ٢٠ . (٢) آل عمران ٦٥ – ٦٦ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠٨ .

(٤) العقيدة العامة هي ديانة المحاور التي ينتسب إليها كاليهودية والنصرانية مثلاً ، أما المذهب الفكري الخاص فهو اتجاهات الرجل الفكرية التي تخصه والتي لايتفق فيها بالضرورة مع عموم أهل ملته .

(٥) يوسف ١٠٨ .

(٦) الباجي : أبي الوليد سليمان بن خلف ، رسالة راهب فرنسا إلى ملك المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد عليها ٨٠، دراسة وتحقيق محمد عبدالله الشرقاوي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م .

منهج كتابه وهو رسالة صغيرة : (ولو تتبعنا مافي كتابك من التناقض وفساد الوضع ومستحيل القول لما سلم منه إلا اليسير الحقير) [1].

ومن أسباب انخداع المسلمين بأعداء الإسلام من المستشرقين والمؤرخين والكتّاب جهلهم بحقائق التراث الإسلامي ، وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية [2] فالعلم صفة لازمة يجب أن تكون في المحاور المسلم لتقيه من الزلل ، كما تعينه على إقناع الخصم وتسليمه بعون الله تعالى .

ثانيا: الاستقامة على الحق :

والاستقامة من أهم الشروط بل إن أكثر الشروط يتفرع منها لأنها كلمة عامة تعني لزوم طاعة الله تعالى وتوحيده . قال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ [3]. قال الصديق رضي الله عنه! ﴿ **ثم استقاموا** ﴾ لم يشركوا بالله شيئاً [4] . وقرأ عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر فقال لم يراوغوا روغان الثعلب [5]. وقال ابن عيينة في قوله تعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾[6] استقم على القرآن[7]. وقال ابن قتيبة في نفس الآية امض على ما أمرت به [8] . وقال ابن رجب الحنبلي : موضحاً معنى الاستقامة بعد رواية أقوال أهل العلم فيها (والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولايسرة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك ، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها ..) [9] .

وقال النووي : (قال العلماء معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى ، وقالوا هي من جوامع الكلم وهي نظام الأمور ..) [10] .

---

(١) المرجع السابق ٧٤ .
(٢) السباعي،السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي٣، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨هـ .
(٣) الأحقاف١٣ .
(٤) ابن رجب: عبدالرحمن بن شهاب الدين ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاًمن جوامع الكلم ، ١٩٢ ، دار المعرفة – بيروت (د.ت) .
(٥) المرجع السابق ١٩٢ .
(٦) هود ١١٢ .
(٧) ابن الجوزي ، زاد السير ٤/١٦٤ .
(٨) المرجع السابق ٤/١٦٤ .
(٩) ابن رجب ، جامع العلوم والحكم ١٩٣ .
(١٠) النووي ، رياض الصالحين ٨٢ .

ومما يدل على عموم معنى الاستقامة أنه عندما أتى رجل إلى النبي ﷺ وقال له قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: « **قل آمنت بالله ثم استقم** » رواه مسلم [(١)].

والمحاور المسلم داع إلى الله يجب أن يكون مستقيماً على الحق معتصماً به، فلايكون عنده شيء من الانحرافات الفكرية أو السلوكية، أما المسائل الاجتهادية فلايُطعن فيه الأخذ برأي منها إذا كان مقلداً لغيره أو مجتهداً فيها إن كان من أهل الاجتهاد. أما إذا انحرف عن الصراط المستقيم وهو يحاور الناس من أجله فقد عظم ذنبه وفحش غلطه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبرمقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ [(٢)]. ويقول تعالى ذاماً لبني إسرائيل: ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[(٣)]. وانحراف الداعي عن الحق منفر للناس عن سلوكه، كما أن الناس إذا رأوا الداعي إلى الله في موقف الحوار يأمر الناس بالحق، ثم لايطبق مايأمرهم به فإنه يقل اهتمامهم بما يقول؛ لأنه لو كان مهماً لما تركه.

ومن دواعي هداية الآخرين إلى الخير العمل به واتباعه والاعتصام به، لأن (أهم مايتميز به الداعون إلى الحق: الثبات عليه والاعتصام به، فإنما تشرف النفس بمقدار معرفتها للحق، واستمساكها به، لأنه هو الذي يعلي قدرها ويرفع شأنها ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم** ﴾[(٤)]) [(٥)].

ثالثاً: الإخلاص لله:

وأن يكون حواره في سبيل الله ونصر دينه وإعزاز كلمته، لا لأغراض شخصية. يقول ابن القيم في فوائد قصة نصارى نجران: ـ عندما بعث النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح معهم وكان قد قال لأبعثن معهم رجلاً أمينا ـ (بعث الإمام الرجل العالم إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام وأنه ينبغي أن يكون أميناً وهو الذي لاغرض له ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله ولايشوبها بغيرها فهذا هو الأمين حق الأمين كحال أبي عبيدة بن الجراح..)[(٦)]. وقد تقدم هذا الجانب في أهداف الحوار.

---

(١) مسلم ٤٧/١.
(٢) الصف ٢ – ٣.
(٣) البقرة ٤٤.
(٤) الزخرف ٤٣.
(٥) عثمان. عبدالكريم، معالم الثقافة الإسلامية ٥٤.
(٦) ابن القيّم. زاد المعاد ٦٤٤/٣.

رابعاً : الجهر بالحق :

لأن المحاور داع إلى الله ، فيجب عليه الجهر بالحق دون خوف أو جبن أو حياء أو مجاملة ، لأن في ذلك تلبيس على الناس .وقد بيّن الإمام أحمد أهمية الجهر بالحق عملياً عندما افتتن بخلق القرآن وقيل له : يا أبا عبدالله قد أجاب أصحابك ، وقد أعذرت فيما بينك وبين الله ، وقد أجاب أصحابك والقوم ، وبقيت أنت في الحبس والضيق . فقال رحمه الله : إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق ؟[1].

وقد مدح الله المبلغين لرسالاته من غير خوف ولا جبن بقوله : ﴿ **الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً** ﴾[2] وقال تعالى : آمراً نبيّه بإظهار الحق ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾[3] . فلا يجوز كتم شيء من الحق عند الحاجة إليه ، أو إخفاؤه والتذرع بأي مصلحة كانت إذ أن في إظهار الحق أعظم المصالح ، إلا إذا خاف الداعي على نفسه خوفاً بيناً ، أو خشي على دعوته. وإخفاء الحق وكتمانه مما تكرر النهي عنه في القرآن الكريم كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابينّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[4] وقال تعالى :﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾[5] .

كما ذم أهل الكتاب لكتمهم للحق وتلبيسه بالباطل فقال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾[6] .

وعاقبة الجهر بالحق والصدع به الفوز بمرضاة الله والنجاة من سخطه وعقابه ، ولو كان في كتم الحق مرضاة المخلوقين ، فإن عواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة ، بخلاف مرضاة الله. قال ابن القيّم :

---

(١)حنبل:حنبل بن اسحاق ،ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل ٤١ . دراسة وتحقيق د.محمد نغمش، مطبعة سعدي وشندي ـ مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٢) الأحزاب ٣٩ .

(٣) الحجر ٩٤ .

(٤) البقرة ١٥٩ .

(٥) البقرة ٧٤ .

(٦) آل عمران ٧١ .

فاصدع بأمر الله لاتخش الورى ... في الله وأخشاه تفز بأمان [١] .

وإذا كان هذا أهمية الجهر بالحق ، فإن خطر التكلم بالباطل أكثر وأشد .

خامساً : الالتزام بأدب الحوار :

وهذا من الشروط الضرورية التي يجب على المحاور التحلي بها لعدة أمور :

أولاً : لأنه معتبر شرعاً بنصوص عديدة ستأتي بإذن الله .

ثانيا : لأن الأدب في الحوار وسيلة مهمة في طمأنة المحاور وتسليمه واقتناعه .

ثالثا : لأن الأدب في الحوار ضمان لمواصلته واستمراره .

والنصوص الشرعية الحاثة على أدب الحوار كثيرة جداً وهي تنقسم إلى قسمين :

قسم يحث على أدب عام للحوار ، وقسم آخر يحث على أدب خاص .ومن النصوص التي تحث على الأدب العام قوله تعالى: ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [٢] . فلابد من حكمة وهي وضع الأمور في مواضعها فلكل مقام مقال ، ولكل ظرف موقف ، وموعظة حسنة من غير زجر وسباب وإنما رفق ولين ، وجدال بالحسنى يشتمل على كافة أدب الحوار، يقول ابن كثير: ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب) [٣]ويقول سيد قطب : (والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لايثقل عليهم ولايشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة ، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه ، وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق،وتتعمق المشاعر بلطف،لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب

---

(١) ابن القيّم : محمد بن أبي بكر ، الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (النونية) ٢١.دار المعرفة- بيروت ١٣٤٥ هـ .

(٢) النحل ١٢٥ . (٣) ابن كثير ، ٢/٥٩١ .

النافرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولاترذيل له وتقبيح ، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الاقتناع والوصول إلى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لاتنزل عن الرأى الذى تدافع عنه إلاّ بالرفق حتى لاتشعر بالهزيمة ، وسرعان ماتختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويُشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة وأن الداعي لايقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله،لا في سبيل ذاته ونصر رأيه وهزيمة الرأي الآخر) [١] .

ومن النصوص قوله تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهاكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾[٢] . هذه الآية مختلف فيها هل هي محكمة أو منسوخة ورجح ابن جرير أنها محكمة[٣] .

يقول الشوكاني : ﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** ﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن ، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل ، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لاعلى طريق الإغلاظ والمخاشنة .

﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلابأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم .[٤] وهناك قول آخر بأن الذين ظلموا هم الذين نصبوا القتال للمسلمين فجدالهم بالسيف أو إعطاء الجزية [٥] .

ومن النصوص العامة الأمر بإحسان القول كما قال تعالى:﴿ **وقولوا للناس حسناً** ﴾[٦] وقوله تعالى :﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن** ﴾[٧] والإحسان في القول يشمل كافة آداب الحوار ، وهي من الكلمات الجامعة في القرآن الكريم .

ومن النصوص العامة الأمر بالرفق في السنة الشريفة ، ومنها ما روته عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ قال : « **إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه ولاينزع من شيء**

---

(١) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ٢٣٠٢/٤ .
(٢) العنكبوت ٤٦ .
(٣) ابن جرير ، جامع البيان ٢/٢١ ـ ٣
(٤) الشوكاني ، فتح القدير ٢٠٥ .
(٥) المرجع السابق ٢٠٥ .
(٦) البقرة ٨٣ .
(٧) الاسراء ٥٣ .

إلا شانه » رواه مسلم [1] ، ومنها ماترجم له البخاري بقوله باب الرفق في الأمر كله ثم ساق حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السأم عليكم . قالت عائشة : ففهمتها فقلت وعليكم السأم واللعنة . قالت فقال رسول الله ﷺ : « **مهلاً ياعائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله** » رواه البخاري [2] .

ومن النصوص الدالة على أدب الحوار الأمر بحسن الخلق ، ولقد مدح الله النبي ﷺ لحسن خلقه فقال:﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[3] كما أمرنا بالاقتداء به قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [4] كما حث النبي ﷺ على حسن الخلق فقال : « **إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً** » رواه الترمذي [5] وإسناده حسن [6] .

آداب الحوار المتفرعة من هذه النصوص كثيرة منها :

أولاً : الصدق : فلايجوز الكذب في الحوار ولا في غيره إلا ما استثنى كالحرب والإصلاح بين الناس ، فلايجوز الكذب بهدف هداية الآخرين والتأثير عليهم وقد أمر الله بالصدق فقال : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [7] وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** » ، متفق عليه[8] في موقف الحوار يجب على المحاور استخدام الصدق في كل حديثه، وإذا سئل عما لايعلم فلايكذب وإنما يقول لاأعلم ، وكان هذا هدي السلف الصالح .

وعاقبة الصدق حميدة على المدى البعيد، أما الكذب فإن عاقبته سيئة في الدنيا والآخرة، والمحاور الكاذب لابد أن يكتشف، ومن ثم لايقبل منه شيء حتى لوكان حقا.

---

(١) مسلم ٨/٢٢ . (٢) البخاري ٧/٨٠ .
(٣) القلم ٤ . (٤) الاحزاب ٢١ .
(٥) الترمذي ٣/٢٥٠ .
(٦) النووي ، رياض الصالحين ٣٠١ ، وقد حسنه الألباني في الحاشية .
(٧) التوبة ١١٩ . (٨) البخاري ٧/٩٥ ، مسلم ٨/٢٩ .

ثانيا : الحلم والصبر: والمحاور يجب أن يكون حليماً صبوراً فلايغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه ، والغضب لايوصل إلى إقناع الخصم وهدايته وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر. والحلم من صفات المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** ﴾[1]. وعندما قال رجل للنبي ﷺ أوصني . قال: « **لاتغضب** » ورددها مراراً .رواه البخاري [2].

وقد نبّه الله عز وجل إلى فضل الصبر مع أهل الكتاب فقال تعالى :﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾ [3] فعزم الأمور بالصبر والحلم لا بالغضب والانفعال. وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » متفق عليه [4] .

ومن أعلى مراتب الصبر والحلم مقابلة الإساءة بالإحسان فإن ذلك له أثره العظيم على المحاور، وكثير من الذين اهتدوا لم يهتدوا لعلم المحاور واستخدامه أساليب الجدل ، وإنما لأدبه وحسن خلقه واحتماله للأذى ومقابلته بالإحسان ، وقد نبّه الله عز وجل الداعين إليه إلى ذلك الخلق الرفيع وأثره وفضل أصحابه . فقال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين . ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ [5] .

ثالثا : الإنصاف :

يجب على المحاورأن يكون منصفاً فلا يردحقاً بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها محاوره،وهذا الإنصاف له أثره العظيم لقبول الكتابي للحق ،كما تضفي على المحاور روح الموضوعية [6] .

والتعصب وعدم قبول الحق من الصفات الذميمة في كتاب الله فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء**

---

(١) آل عمران ١٣٤ .

(٢) البخاري ٩٩/٧-١٠٠ .

(٣) آل عمران ١٨٦ .

(٤) البخاري ٩٩/٧ ، مسلم ٣٠/٨ .

(٥) فصلت ٣٣-٣٥ .

(٦) الندوة العالمية ، أصول الحوار ٤٢ بتصرف .

بالقسط ولايجرمنكم شنئآن قوم على ألاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [١].

ومن تدبر القرآن الكريم وذكره لأهل الكتاب وصفاتهم الذميمة يجد أن المولى عز وجل لم يبخسهم حقهم ، بل أنصفهم غاية الإنصاف ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً** ﴾[٢] ويقول تعالى : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ [٣] .

ويقول ابن القيّم :

وتعر من ثوبين من يلبسهما	يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه	ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلّ بالإنصاف أفخر حلة	زينت بها الأعطاف والكتفان [٤]

رابعا : التواضع :

يجب على المؤمن أن يكون عزيزاً على الكافرين ، ذليلاً على المؤمنين ،كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ [٥]. ولكن هذا لايعني التكبر على الآخرين وازدرائهم ، فإن هذا ليس من صفات المؤمنين فضلاً عن الدعاة إلى الله والمجادلين عن دينه . والتواضع صفة ممدوحة ، كما أن الكبر صفة مذمومة حتى مع الكافرين، لأنها لا تليق إلا بالله المستغني عن كل أحد لذا قال تعالى في الحديث القدسي: « **العز إزاري والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني عذبته** » رواه مسلم[٦] ويقول تعالى واصفاً أهل الجنة : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولافساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [٧].

والكبر والتواضع يكونان في القلب ، وأمرهما عظيم لذا قال عليه الصلاة والسلام : « **لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » رواه مسلم [٨]

---

(١) المائدة ٨ .
(٢) آل عمران ٧٥ .
(٣) آل عمران ١١٣ .
(٤) ابن القيّم ، الكافية الشافية (النونية) ١٩ .
(٥) المائدة ٥٤ .
(٦) مسلم ٣٦/٨ .
(٧) القصص ٨٣ .
(٨) مسلم ٦٥/١ .

والكبر وإن كان في القلب إلا أنه يظهر على سلوك المتكبر في صفات عديدة تجعل الناس ينفرون منه ويكرهون معاشرته ، وقد يزدريهم ويرد ماعندهم من الخير . لذا يجب على المحاور أن يبتعد عن صفات المتكبرين وأن يكون متواضعاً حتى يقبل الحق منه . ومن صفات المتكبرين ماذكره الله في كتابه في قوله تعالى : ﴿ **ولا تصعّر خدك للناس ولاتمش في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور** ﴾ [(١)] . وماذكره عليه الصلاة والسلام : « **الكبر بطر الحق وغمط الناس** » رواه مسلم ـ [(٢)] وقوله عليه السلام : « **لاينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً** » متفق عليه [(٣)] وهذه النصوص دلت على صفات منها :

١ ـ ازدراء الآخرين وعدم احترامهم ويظهر ذلك من ظاهر القول ، وحركات العين وإيماءات اللسان ، وإشارات اليدين .

٢ ـ الغرور والإعجاب المفرط بالنفس وصفاتها واستخدام بعض الألفاظ الدالة على نفسه بكثرة مثل : قلت ـ قمت ـ عملت ـ أنا .

(لذا يحسن بالمحاور أن يتجنب استعمال ضمير الجماعة مثل : وتجربتنا تدل على كذا ، وإذا درسنا القضية المختلف فيها يتبين لنا كذا وكذا . ذلك أنه إذا استعمل هذا النوع من طريقة الحديث يخشى عليه أن يقع من حيث يدري أو لايدري في مدح نفسه ، والتأكيد على خبرته وثقافته، وهذا النوع من الحديث يترك انطباعاً سلبياً لدى السامع يجعله ينفر منه ويزهد فيه ، والإنسان بطبعه يكره من يتعالم عليه وينزله منزلة الجاهل الذي ينبغي أن يتعلم منه) [(٤)].

٣ ـ ماتدل عليه هيئة اللباس كإسبال الثياب، أو هيئة البدن من تصعير للخد واختيال المشية .

٤ ـ رد الحق وعدم قبوله حتى لو ظهر له واستبان ، أوعدم التسليم بالخطأ وتركه ، وما أصعب ذلك على النفس البشرية ، وعلى المتكبر أصعب وأشق لأنه معجب بنفسه مزدر لغيره، والمتكبر لاينفع أن يكون داعية إلى الله ، لأن الكبر ليس من صفات المؤمنين فضلاً عن الدعاة .

---

(١) لقمان ١٨ .
(٢) مسلم ١/٦٥ .
(٣) البخاري ٧/٣٤، مسلم ٦/١٤٨ .
(٤) الندوة العالمية ، اصول الحوار ٥٥ .

والمحاور يجب أن يبتعد عن الكبر بشتى صوره ، فإن الطرف الآخر إذا رأى منه إزدراء له واحتقاراً سواء بالقول باللسان أو بالإيماء أو بحركات اليدين أو بتصعير الخد، فإن ذلك ينفره منه، ويؤدي إلى كراهته وكراهة ماعنده ، لأن الناس جبلوا على محبة المتواضعين وكراهة المتكبرين .

وكما أن الكبر منفر فإن التواضع محبب للناس وجالب لودهم وعامل فعال في التأثير عليهم ، لذا على المحاور أن يلتزم بالتواضع ويروض نفسه عليه .

ومن تأمل المحاورين المسلمين وجد هذا الخلق الرفيع ظاهراً في محاورتهم ، فهذا أبو الوليد الباجي ينصح أحد الرهبان بعد بيان الحق له بقوله : (فاعتبر أيها الراهب ضعف ماأنت عليه ، وفضل ماندعوك إليه ، فعسى أن يوفقك الله ويهديك فتصير بعلم الله بكونك من جملتنا ، وفيئك إلى ملتنا ، فقد بلغنامن إرادتك للخير، وحرصك عليه، ماحرصنا به على إرشادك وهدايتك ، ورجونا انقيادك وانابتك)[1] فلا يجوز الإزدراء بالآخرين وتصغيرهم وافتراض سوء النية فيهم ، بل يجب الدخول في الحوار بروح إسلامية بافتراض حسن النوايا أولاً ، ثم المخاطبة والمحاورة على هذا الأساس ، أما الاتهام بلا دليل واضح وبرهان بيّن فإن هذا مما نهينا عنه ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [2]. يقول المودودي – يرحمه الله ـ : تعليقاً على قوله تعالى:﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم** ﴾[3] . (أي يدعونا إلى تناول الأديان والعقائد المختلفة بالبحث القائم على البراهين والحجج ، ونقدها بأسلوب لبق ، أو إبداء الاختلاف فيها بطريق معقول ، هذا مما يشمل حق الإنسان في إبداء الرأي، أما تناولها بهدف الإيذاء والإهانة والاستخفاف فأمر غير مباح) [4] .

خامساً : الرحمـــة

(الرحمة كمال في الطبيعة تجعل المرء يرق لآلام الآخرين ويسعى لإزالتها ويأس لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى) [1] أما قاسي القلب فإنه يتمنى لغيره الأخطاء ويتصيدها عليهم من غير رحمة ولاشفقة .

---

(١) الباجي ، رسالة راهب ٨٠ . (٢) البقرة ١١١ .
(٣) الأنعام ١٠٨
(٤) المودودي ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الإفتتاحي ، شوال ١٣٩٤هـ ص ٦٣ .
(٥) الغزالي . محمد ، خلق المسلم ص ٢٠٣ .

والرحمة مهمة جداً في موقف الحوار مع أهل الكتاب ، فإنه يجب على المسلم أن يسعى لهداية أهل الكتاب ويرحمهم ويشفق عليهم ، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة عندما قيل له يارسول الله إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها فقيل : هلكت دوس . فقال عليه الصلاة والسلام « **اللهم أهد دوساً وائت بهم** » متفق عليه[1] .

وهاهو عليه الصلاة والسلام يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « **رب اغفر لقومي فإنهم لايعلمون** » متفق عليه [2]. فهو عليه السلام نبي الرحمة ، لذا قال الله تعالى فيه : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم** ﴾[3]. بل وجمع الله غاية رسالته بالرحمة فقال تعالى : ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [4].

فيجب على المحاور المسلم أن يجمع بين الرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن رحمته بهم وشفقته عليهم يأمرهم بما أوجب الله عليهم ، فلاتمنعه الرحمة من أداء واجبه ، كما يجب ألا يأخذه الأمر والنهي فيتجرد من الرحمة .

يقول ابن القيّم :

اجعل لقلبك مقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وأرحمهم بها	إذ لاترد مشيئة الديّان
وانظر بعين الأمر وأحملهم على	أحكامه فهما إذاً نظران [5]

سادساً : طيب الكلام وحسن الاستماع :

يجب على المحاور المسلم أن يكون طيب الكلام ، طلق الوجه عند الحوار، اقتداء بالنبي ﷺ ، فإنه عليه السلام لم يكن فاحشاً ولامتفحشاً [6] .

ولايرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه السامع عملاً بقوله تعالى : ﴿ **واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [7]. ورفع الصوت

---

(١) البخاري ٣/٢٣٥، مسلم ٧/١٨ .
(٢) البخاري ٤/١٥١ ، مسلم ٥/١٧٩ .
(٣) آل عمران ١٥٩ .
(٤) الأنبياء ١٥٩ .
(٥) ابن القيّم : الكافية الشافية (النونية) ٢١.
(٦) البخاري ٧/٨١ .
(٧) لقمان ١٩.

لايقوي حجة صاحبه قط ، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون ، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية[1]. كما يجب على المحاور ألايستأثر بالكلام لنفسه ، ويحرم الطرف الآخر من الكلام بالإطالة التي تخرج به عن حدود الذوق واللباقة ، فالاستئثار بالكلام كالاستئثار بالطعام فكلاهما منقصة بصاحبه، من هنا كان على المحاور أن يراعي الوقت أثناء كلامه ، فإذا كان في مؤتمر ما وأعطي دقائق معينة التزم بذلك ، وإذا لم يحدد له الوقت ، حدده هو من تلقاء نفسه حسب طبيعة الموقف .[2]

وإذا تحدث المحاور الآخر فيجب حسن الاستماع ، وقد كان النبي ﷺ يستمع للمشركين كما روى ابن اسحاق أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قومه ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكفّ عنا ! – وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون – فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا ابن أخي . إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال رسول الله ﷺ : « قل ياأبا الوليد أسمع » . قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء ، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منها، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : « أفرغت يا أبا الوليد ؟ ».. قال: نعم ، قال: « فاستمع مني ». قال : افعل . قال : **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ...﴾**[3]

(١) الندوة العالمية ، أصول الحوار ٥٦ . (٢) المرجع السابق ٢٥ .
(٣) فصلت ١ – ٣ .

ومضى رسول الله ﷺ يقرؤها إلى السجدة واستمع إليها عتبة حتى تغيّر وجهه وتأثر مما سمع وذهب إلى القوم وهو يمدح القرآن فقالوا له: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه [1] .

فلم يقاطع النبي ﷺ وسلم هذا المشرك ، بل استمع إليه حتى فرغ ، ثم طلب منه الاستماع ، وكان عليه السلام يكنيه ليستجلب وده رغبة في هدايته .

(إن كثيراً من الناس يخفقون في ترك أثر طيب في نفوس من يقابلونهم لأول مرة لأنهم لاينصتون إليهم باهتمام ، إنهم يحصرون همهم فيما سيقولونه لمستمعهم ، فإذا تكلم المستمع لم يلقوا له بالاً. ونسوا أن المتحدث البارع مستمع بارع) [2] .

ولا شك أن الإطالة ومقاطعة المحاور ينبيء بخصال سيئة في المتحدث منها :

١ - إعجاب المرء بنفسه وتصوره أن علمه جديد على الناس .

٢ - حب الثناء والشهرة .

٣ - الغفلة عن تقدير الطرف الآخر من حيث العلم والوقت ، والموقف .(٣)

---

(١) ابن هشام ١/٢٦١-٢٦٢ .

(٢) الندوة العالمية ، اصول الحوار ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ٢٥ .

ثانياً : المحاور الكتابي وشروطه :

ليس هناك شروطاً خاصة بالمحاور من أهل الكتاب في الشريعة الإسلامية سوى عدم الظلم ، كما قال تعالى :﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم** ﴾(١) وللآية تفاسير متعددة ، وأرجح الأقوال فيها قولان ، الأول : ترك مجادلة الظالمين والانتقال معهم إلى القتال لدفع الظلم . والثاني : مجادلتهم مع الإغلاظ عليهم (٢) . ويمكن الجمع بينهما بأن يجادلوا مع الإغلاظ عليهم ، وإن لم تكن المصلحة في جدالهم فإنهم يقاتلون لدفع ظلمهم فهنا موضع اجتهاد حسب تقدير المحاور للمصلحة ، ولا يعني هذا عند الإغلاظ عليهم أن نقابل الإساءة بالإساءة ، لأن الله أمر بمقابلة الإساءة بالإحسان : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ (٣). وقال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **ويدرؤن بالحسنة السيئةأولئك لهم عقبى الدار** ﴾ (٤)، ولكن قد يتحتم على المحاور أن يغلظ على محاوره إذا أساء لرده إلى الصواب ، كما أن رد الظلم والعقاب بالمثل حق مشروع ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به** ﴾ (٥) وإن كان الصبر والتحمل أفضل ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ (٦) وقد يكون الأفضل عدم العفو عن الظالم إن كان العفو يشجعه على الإساءة والظلم .

أما الامتناع عن الحوار مع الظالمين واتخاذه منهجاً مطرداً فهذا يخالف منهج النبي ﷺ ، فقد حاور عليه الصلاة والسلام اليهود في المدينة وكانوا يكتمون ماأنزل الله ويلبسون الحق بالباطل . كما حاور نصارى نجران ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا . كما يخالف منهج علماء الأمة وسلفها الصالح كما سيأتي أمثلته في مناهج الحوار . فالأصل أن يقبل الحوار مع كل أحد ، لأن كل كافر ترجى هدايته مهما بلغ من الإساءة والكفر. نعم قد تكون المصلحة في الامتناع عن الحوار مع طائفة أو أفراد – وهذا استثناء – نظراً لعدم جدوى الحوار معهم لتكرر ذلك من غير فائدة فصرفه لغيرهم أولى ، أو لتبين عدم إرادتهم للحق ورغبتهم في الشهرة والظهور فيكون إهمالهم أجدر، أما إذا علم التزام المحاور بأدب الحوار وحرصه على الحق فلا يجوز الامتناع عن محاورته بأي عذر كان .

---

(١) العنكبوت ٤٦ .
(٢) الشوكاني ، فتح القدير ٤/٢٠٥ .
(٣) فصلت ٣٤ .
(٤) الرعد ٢٢ .
(٥) النحل ١٢٦ .
(٦) النحل ١٢٦ .

ثالثاً : موضوعات الحوار :

لموضوعات الحوار أهمية كبرى ، إذ أنها ركن من أركانه لايتم إلا بها ، فلابد من توضيحه وبيانه ، كما أن موضوعات الحوار تنطلق من الأهداف السامية التي شرعها الله لمحاورة أهل الكتاب .

وعلى هذا فكل موضوع يخدم الأهداف التي شرعها الله في محاورة أهل الكتاب فهو مطلوب الحوار فيه ، وكل موضوع يخدم أهدافاً نهى الله عنها فيجب تركه .

وسأذكر أبرز الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم والسنة المشرفة لأنها بلاشك هي المحققة للأهداف المشروعة ، فيجب على الدعاة الأخذ بها والانطلاق منها.

وأبرز تلك المواضيع هي :

أولاً : بيان التوحيد وأهميته ، وأنه لانجاة لأحد إلا به فيدعوهم إليه ويحذرهم من الشرك بأنواعه المختلفة ، فتارة يبين أنه بعث به جميع الأنبياء ، وقد ورد ذلك في آيات عديدة في سياق محاورة أهل الكتاب منها قوله تعالى : ﴿ **ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين** ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموامنهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾[٢]. وكقوله تعالى : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون** ﴾[٣] .

وكقوله تعالى : ﴿ **وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة. وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ [٤].

وتارة يبين لهم عاقبة الشرك كقوله تعالى محاوراً أهل الكتاب : ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً**

---

(١) آل عمران ٦٧ .
(٢) العنكبوت ٤٦ .
(٣) البقرة ١٣٣ .
(٤) البينة ٤ – ٥ .

عظيماً ﴾ (١). وكقوله تعالى للنصارى على لسان نبيهم : ﴿ **وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومالظالمين من أنصار** ﴾(٢).

وتارةً يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن اتخاذ المخلوقين أرباباً حتى لو كانوا ملائكة وأنبياء، كقوله تعالى: ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (٣) . وكقوله تعالى : ﴿ **ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾(٤) . وكقوله تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾(٥) .

وتارة ينكر عليهم نسبة الولد لله ويبيّن لهم أن هذا من الشرك كقوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ (٦) . وقال تعالى عنهم : ﴿ **وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون** ﴾ (٧) . كما ينكر على النصارى التثليث الذي هو نوع من الشرك ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾(٨) . وقال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولواعلى الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً** ﴾(٩) .

---

(١) النساء ٤٨ .
(٢) المائدة ٧٢ .
(٣) آل عمران ٦٤ .
(٤) آل عمران ٧٩ – ٨٠ .
(٥) المائدة ٧٢.
(٦) التوبة ٣٠ .
(٧) البقرة ١١٧ .
(٨) المائدة ٧٣ .
(٩) النساء ١٧١ .

ولأجل هذا الموضوع يبين لهم بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بعيسى وحقيقته وقصة ولادته وبيان أنه لم يصلب .

ثانياً : دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ ، وبالكتاب الذي أنزل إليه ، وبالدين الذي جاء به ، وهو دين الإسلام ، ويحذرهم من الكفر به خاصة وقد بشرت به كتبهم وعلموا أنه رسول من عند الله .كقوله تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنامن بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير** ﴾[1] وكقوله تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [2] وكقوله تعالى ذاماً أهل الكتاب على تفريقهم بين الأنبياء ، وكفرهم بمحمد ﷺ : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوابين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً.أولئك هم الكافرون حقاًوأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ [3] وكقوله تعالى : ﴿ **يا أيهاالذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ [4] وكقوله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ، كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون** ﴾[5] وكقوله تعالى محاوراً أهل الكتاب : ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون** ﴾ [6]. وكقوله تعالى في سياق محاورتهم : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[7] وقال تعالى واصفاً معرفتهم بالحق الذي جاء به : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناء هم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾[9] وقال تعالى: ﴿ **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم** ﴾ [1].والسنة

---

(١) المائدة ١٩ .

(٢) المائدة ١٥ .

(٣) النساء ١٥٠-١٥١ .

(٤) النساء ٤٧ .

(٥) البقرة ١٠١ .

(٦) آل عمران ٨٣ .

(٧) آل عمران ٨٥ .

(٨) البقرة ١٤٦ .

(٩) الصف ٦ .

النبوية اهتمت بهذا الموضوع ، ومن ذلك ماورد أنه لما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له : « **إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أجابوك لذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات** ...» الحديث [1] فبدأ بالدعوة إلى التوحيد والرسالة ثم ما سواها من الشرائع .

كما أرسل النبي ﷺ الكتب إلى الملوك كهرقل والنجاشي وكسرى والمقوقس والمنذر بن ساوى وملك عمان وصاحب اليمامة وصاحب دمشق يدعوهم فيها إلى الإسلام [2] وسأورد كتاباً منها وهو كتاب النبي ﷺ إلى هرقل – وكان ملك الروم وكان نصرانياً ـ قال ﷺ : « **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين** » و ﴿ **يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [3] [4].

فهذا الكتاب متضمن دعوتهم إلى الإسلام ، وإلى التوحيد والتحذير من الشرك ، واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً ، وهذان الموضوعان هما أسس جميع المواضيع الأخرى فهما أهم موضوعين حاور فيهما القرآن والسنة النبوية أهل الكتاب .

ثالثا : بيان تحريفهم لكتبهم رغبة في المال ، وطمساً لحقائق التوحيد والبشارة بمحمد ﷺ ، وقد ذكر القرآن أن الكتب السابقة وقع فيها جميع أنواع التحريف وهي التبديل والزيادة والنقص ، والآيات في هذا الموضوع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين** ﴾ [5] .

ويقول تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون** ﴾[6] ويقول تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما**

---

(١) البقرة ١٤٤ .
(٢) البخاري ٨/١٠٩ .
(٣) ابن القيّم ، زاد المعاد ٣/٦٨٨–٦٩٧ .
(٤) آل عمران ٦٤ .
(٥) البخاري ١/٤ – ٥ .
(٦) النساء ٤٦ .

كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾[1] ويقول تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير** ﴾[2] ويقول تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾[3] ويقول تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون** ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾[5] .

رابعا: الرد على شبهاتهم وادعاءاتهم وافتراءاتهم : وهذا من المواضيع التي اهتم بها القرآن ، فهو يفند شبه أهل الكتاب المختلفة كما يرد ادعاءاتهم وافتراءاتهم الباطلة ، حتى يتضح الحق ، ومن ذلك :

١ ـ دعوى كل طائفة منهم أن إبراهيم عليه السلام منها ، فرد عليهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . هآنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون. ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين** ﴾[6]. وقوله : ﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله** ﴾[7].

٢ ـ دعوى كل طائفة أنها وحدها على الحق ولن يدخل الجنة سواهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين** ﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أونصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[9].

وقال تعالى : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم**

---

(١) البقرة ٧٩ .
(٢) المائدة ١٥ .
(٣) البقرة ١٧٤ .
(٤) آل عمران ١٨٧ .
(٥) البقرة ١٤٦ .
(٦) آل عمران ٦٥-٦٧ .
(٧) البقرة ١٤٠ .
(٨) البقرة ١٣٥ .
(٩) البقرة ١١١ .

بالظالمين ﴾(1) وقال تعالى : **﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماًمعدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون علي الله مالاتعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾**(2) .

٣ ـ دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه كما قال تعالى : **﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما وإليه المصير﴾**(3). وقوله تعالى : **﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولايتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾** (4) .

٤ ـ افتراؤهم على الله بقولهم إنه فقير ، وإن يده مغلولة تعالى الله عما يقولون. وزعمهم بأنهم أغنياء ، كما قال تعالى عنهم : **﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾** (5) . وقال تعالى : **﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بماقالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾** (6) .

٥ ـ زعمهم بأن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار ، وهذا من تعجيزاتهم ومبرراتهم لعدم الإيمان بمحمد ﷺ ، وقد ذكر اللـه ذلك عنهم : **﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين . فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾** (7) .

٦ ـ طلبهم من محمد ﷺ الإتيان بمثل ماجاء به موسى ، وأن عدم إتيانه بذلك هو المانع من إيمانهم ، كما قال تعالى : **﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ماأوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا**

---

(١) البقرة ٩٤ – ٩٥ .
(٢) البقرة ٨٠ – ٨٢ .
(٣) المائدة ١٨ .
(٤) الجمعة ٦ – ٧ .
(٥) آل عمران ١٨١ .
(٦)المائدة٦٤ .
(٧) آل عمران ١٨٣ – ١٨٤ .

بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ [١] .

٧ ـ زعم اليهود بأن المانع من إيمانهم هو أن الملك الذي يأتي بالوحي هو جبريل وهو عدوهم ، فأنزل الله : ﴿ **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ [٢] ، [٣] .

٨ ـ زعمهم أن المانع من إيمانهم هو أن القرآن يحلل من الأطعمة ماحرّم على بني اسرائيل كلحوم الإبل وألبانها ، فكيف يكون مصدقاً للتوراة فأنزل الله : ﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل إلا ماحرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون** ﴾ [٤] ، [٥].

٩ ـ تعجيزهم للنبي ﷺ بطلب الآيات فقد سألوه أن ينزل كتاباًمن السماء ليؤمنوا، كما قال تعالى : ﴿ **يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً** ﴾ [٦] .

١٠ ـ تشكيك اليهود بصحة الرسالة بسبب ترك قبلتهم وهي بيت المقدس إلى البيت الحرام ، ومحاولتهم استغلال ذلك لفتنة المؤمنين عن دينهم ، فأنزل الله آيات عديدة في الرد عليهم منها قوله تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [٧].

وكان اليهود يعترضون على نسخ القبلة لأنهم لايرون النسخ أصلاً فرد الله عليهم ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ [٨] .

هذه بعض ادعاءاتهم ومفترياتهم التي ناقشها القرآن ، ولم أدخل في تفصيل ذلك

---

(١) القصص ٤٨-٤٩ . (٢) البقرة ٩٧ - ٩٨ .

(٣) السيوطي : جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/٩٠ ، دار المعرفة بيروت وبهامشها تفسير ابن عباس (د.ت) .

(٤) آل عمران ٩٣-٩٤ . (٥) السيوطي ، الدار المنثور ٢/٥٢ .

(٦) النساء ١٥٣ . (٧) البقرة ١٤٢ .

(٨) البقرة ١٠٦ .

لأن هذا سيكون في مناهج الحوار ، وإنما الغرض ذكر المواضيع التي حاور فيها القرآن أهل الكتاب .

وهذه الموضوعات الأربعة هي أهم الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم ، وقد وردت مواضيع أخرى فرعية وخادمة لهذه المواضيع كذكر فضل الإسلام ، وضلال النصارى ، وتعنت اليهود وسوابقهم مع أنبيائهم مع ما أنعم الله عليهم من النعم الكثيرة.

نماذج تطبيقية

وقبل أن أختم هذا الركن من أركان الحوار أود أن أذكر بعض النماذج من علماء الإسلام الذين حاوروا أهل الكتاب وفق هذه المواضيع التي قررّها القرآن ، والتي تخدم الأهداف الشرعية ، كما سأذكر نماذج أخرى لموضوعات لاتخدم الأهداف السالفة .

ومن الصعب الحصر لمن حاور أهل الكتاب من العلماء ، بل يستحيل ذلك ، وإنما سأضرب أمثلة توضيحية عبر أزمنة مختلفة . فمن هؤلاء :

١ ـ أبو الحسن العامري[١] وله كتاب الإعلام بمناقب الإسلام ، قارن فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وبعض الملل الأخرى ، وبيّن من خلال ذلك فضائل الإسلام المتنوعة ، وفي نهاية الكتاب رد على شبهات أهل الأديان الأخرى تجاه الإسلام وأثبت فيها صحة القرآن ، وبشارة الكتب السابقة بالنبي محمد ﷺ .

٢ ـ أبو حامد الغزالي وله كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل[٢] وتناول في كتابه : طوائف النصارى وجهلهم ، ثم الموضوع الرئيسي وهو الرد عليهم في دعواهم التثليث واتخاذ عيسى إلهاً من دون الله .

٣ ـ ابن حزم الأندلسي وله كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وقد أطال الكلام حول بيان تناقض كتب أهل الكتاب ومافيها من المنكرات ، كما أثبت نبوة المسيح وكونه عبداً لله .

٤ ـ أبو الوليد الباجي[٣] وله رسالة جميلة رد فيها على راهب فرنسا في وقته بعد أن بعث الراهب رسالة إلى ملك الأندلس يدعوه فيها إلى النصرانية ، وقد تضمنت رسالة الباجي إبطال التثليث وإثبات نبوة محمد ﷺ .

---

(١) تقدمت ترجمته صفحة ٣٢ من هذا البحث .

(٢) يقول الدكتور محمد الشرقاوي محقق الكتاب ، إن اسم الكتاب الحقيقي هو مقامع هامات الصلبان انظر : الغزالي . أبو حامد ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ١٩ تقديم محمد الشرقاوي . دار الصحوة مصر ١٤٠٦هـ .

(٣) تقدمت ترجمته صفحة ١٢٩ من هذا البحث .

٥ ـ أبو المعالي الجويني [١] وله كتاب شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، والموضوع الرئيسي للكتاب كما هو ظاهر من العنوان إثبات تحريف التوراة والإنجيل .

٦ ـ أبو عبيدة الخزرجي [٢] وله كتاب في الرد على النصارى ويركز فيه على بطلان ألوهية المسيح من أناجيلهم .

٧ ـ أحمد القرافي[٣] وله كتاب الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ، يرد فيها على شبهات النصارى ويثبت فضل الإسلام وكماله .

٨ ـ ابن تيمية وله كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، وهو من أفضل الكتب المصنفة في هذا الباب وأجمعها ، رد فيه على شبهات النصارى وأثبت من خلاله فضل الإسلام ، وعموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وساق الدلائل المختلفة على صحة رسالته ، كما أبطل التثليث ، وبيّن تحريف الأناجيل .

٩ ـ عبدالعزيز بن معمر[٤] وله كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب ، وهو رد على كتاب لنصراني في البحرين مليء بالشبهات على الدين الإسلامي ، فرد في كتابه على هذه الشبهات مبيناً فيها فضل الإسلام وكماله .

١٠ـ رحمت الله الهندي [٥] وله مناظرات كثيرة في الهند مع النصارى هناك أشهرها المناظرة الكبرى مع القس فندر ، وبحث فيها موضوعات النسخ والتحريف ، ثم انسحب القس عن استكمال بقية الموضوعات ، وهي إثبات بعثة النبي ﷺ ، وصحة رسالته، وإبطال التثليث ، كما أن له كتابه المشهور وهو من أحسن ما ألّف في هذا

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني نسبة إلى بلدته جوين بفارس لقّب بإمام الحرمين لأنه جاور بمكة أربع سنوات كان خلالها يدرس بالمسجد الحرام وكان متكلماً يدافع عن العقيدة الأشعرية وكان من أئمة الشافعية توفي في ٤٧٨ هـ رحمه الله .

انظر : الجويني : أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله ، شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل ٣ – ٦ تحقيق أحمد حجازي السقا مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٢) تقدمت ترجمته صفحة ١٢٩ من هذا البحث .

(٣) هو أحمد بن إدريس القرافي يرجع إلى إحدى القبائل البربرية بالمغرب لكنه مصري المولد والمنشأ والوفاة له مصنفات في الفقه والأصول ، توفي ٦٨٤هـ رحمه الله .

(٤) تقدمت ترجمته صفحة ١٢٩ من هذا البحث

(٥) تقدمت ترجمته صفحة ١٢ من هذا البحث .

الموضوع وهو إظهار الحق ويتناول خمسة موضوعات رئيسة وهي : التحريف ، والنسخ ، ورد فيهما على اليهود والنصارى وأثبت تحريف كتبهما ونسخهما . وإبطال التثليث ، وإثبات كون القرآن كلام الله ، وإثبات نبوة محمد من خلال البشارات في العهدين .

١١ ـ أبو الأعلى المودودي وله مكاتبات مع البابا بمناسبة اليوم العالمي للسلام أشار فيها إلى أن المسلمين يؤمنون بالتوراة والإنجيل ، ولكنهم يقولون إنها محرّفة ، كما ذكر دور جمعيات التبشير في زعزعة السلام ، وانتقد أساليبهم المنافية للأخلاق والدين ، ودور النصارى في وجود إسرائيل [١] .

١٢ ـ أحمد ديدات وله مناظراته الكثيرة المشهورة مع النصارى في العصر الراهن أشهرها مناظرته مع القس (سويقرت) ، كما أن له كتب كثيرة مثل : ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ، والمواضيع الأساسية التي يتناولها في كتبه ومناظراته إثبات رسالة محمد ﷺ من كتب النصارى ، وإبطال التثليث من كتبهم ، والرد على شبهاتهم المختلفة .

هذه نماذج مضيئة من العلماء القدامى والمعاصرين ممن التزموا بالموضوعات المحققة للأهداف المشروعة ، ولم ينساقوا للمواضيع التي لاتخدم الأهداف المشروعة . ولن أستعرض من خالفوا المنهج القرآني ولكني سأضرب أمثلة للمواضيع التي لاتخدم الأهداف المشروعة وسأكتفي بمثالين :

الأول : ماذكره أحمد ديدات في مقابلة صحفية له بقوله : ولو استعرضنا كل المحاورات بين المسلمين والنصارى فلن تجد هذا الأسلوب الذي أمرنا الله باتباعه مطلقاً - الحوار في الدين والتوحيد - (وهنا ينفعل ديدات) وأنا أتساءل وأريد أن أعرف عن ماذا يتحدثون ؟!! عن أسعار النفط ؟! عن مكانة المرأة ؟! عن ظاهرة الرقيق هل زالت أم مازالت موجودة ؟! لقد علّمنا الله كيف نبدأ الحوار معهم وعلينا اتباع تعاليمه) [٢] .

الثاني : الموضوعات التي دارت في مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية في قرطبة عام ١٩٨٧م وحضره ممثلون من الأديان الثلاثة ، وكان ممن مثل المسلمين روجيه

---

(١) المودودي : طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر ٢٣٩-٢٤٤ ، مكتبة الرشد بالرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) مجلة البلاغ ، مجلة اسبوعية تصدر من الكويت ، ١٤٠٩/٧/١٣ه العدد ٩٨١ ص ١٧ .

جارودي وآخرون منهم قادياني وإسماعيلي وكانت موضوعات الحوار: الإنسان والاقتصاد، النمو الاقتصادي والتطور البشري، عدم فصل الاقتصاد عن الأخلاق، التربية والإعلام [1] .

توضيح :

وقبل أن أنهي هذا الباب أحب أن أشير إلى عدة أمور للتوضيح وهي :

أولاً : إن الشروط الموضوعة للمحاور المسلم يشدد فيها في الحوارات المعدة المرتبة ترتيباً مسبقاً ، أما إذا عرض الحوار من غير ترتيب له مثل مايحدث في الحياة اليومية بين المسلمين وأهل الكتاب ، سواء كان في الأسواق أو المطارات أو المنتزهات أو وسائل النقل ، فإن المسلم لا يمتنع عن الحوار إذا ترجحت مصلحته ولو لم تكتمل فيه الشروط ، لأن المسلم مأمور بدعوة غيره إلى الهدى أياً كان ، فيدعو بقدر علمه وإمكانه ، أما إذا لم يتمكن منه أو خشي على نفسه الفتنة فإنه يمتنع عن الحوار .

ثانيا : ليس معنى وجود الشروط في المحاور أن يحاور على أي ظرف كان ، بل لابد من النظر في المصلحة ، فقد يكون الأفضل ترك الحوار أمام جمهور العامة لأنهم يقصرون عن فهم كثير من المعاني ، وتلتبس عليهم المصطلحات ، ولا فائدة لهم منه ، وقد يفهمون الشبه ويعجزون عن فهم الرد عليها ، فيكون في هذا الظرف ترك الحوار أولى . وربما يكون العكس صحيح فيكون الأولى حدوث الحوار أمام عامة الناس لحاجتهم إليه ،لكونهم كفاراً أو مسلمين في بلاد الكفار ، ويفهمون مايقال فيكون الحوار دعوة للكفار وتثبيتاً للمؤمنين .

ثالثاً : يجب الاهتمام بإعداد الدعاة لمثل هذه الحوارات لما فيها من فوائد جمة مثل :

أ ـ إظهار الحق ، ورد الباطل ، ودعوة الآخرين لديننا .

ب ـ إنها تكسب المسلمين خبرة بالأديان الأخرى ، وطبيعة تفكير أهلها ، مما يساعد في دعوة من يرجى إسلامه منهم ، ورد شبهات المشككين .

جـ ـ إن الحوار فن أصيل لايكفي فيه التعلم النظري، بل لابد معه من التمرس وهذه الحوارات تكسب المسلمين خبرة عملية وعلماً لايحصل بالقراءة .

---

(١) مجلة البلاغ ، ١٥ رجب ١٤٠٧هـ العدد ٨٨٤ ص ٧٥ .

رابعاً : لاحرج على المسلمين أن يتحاوروا مع أهل الكتاب في أي موضوع يحقق لهم نفعاً دنيوياً مباحاً ، ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب الحوار الديني الذي أمر الله به .

وأخيراً : إذا كان الإسلام قد دعانا إلى الحوار مع أهل الكتاب والتأدب معهم فإلى متى يظل المسلمون فيما هم فيه من امتناع بعضهم من الحوار مع إخوانهم فيما يختلفون فيه في مسائل الاجتهاد وغيرها ؟! وإلى متى يستمر الحوار بل الجدل العقيم بين المسلمين البعيد عن الأدب الإسلامي المكفول حتى مع الكفار ؟.

الباب الرابع

مناهج الحوار مع أهل الكتاب

الفصل الأول :

حكم الجدل واستخدام مناهجه في الحوار مع أهل الكتاب.

الفصل الثاني :

منهج القرآن في محاورة أهل الكتاب.

الفصل الأول

حكم الجدل واستخدام مناهجه في الحوار مع أهل الكتاب

الحواروالجدل مع أهل الكتاب هو جزء من الجدل كظاهرة عامة ، وقد اختلف العلماء فيما يجوز من الجدل عموماً ومالايجوز ، فمنهم من بالغ في المنع من ذلك وذهبوا إلى أنه لايجوز الجدال إطلاقاً ، قال الرازي : (من الناس من عاب الاستدلال والبحث والنظر والجدال واحتجوا بوجوه :

أحدها : أنه تعالى قال : ﴿ **ولاجدال في الحج** ﴾[1] ولو كان الجدال في الدين طاعة وسبيلاً إلى معرفة الله لما نهى عنه في الحج .

ثانيها : قوله تعالى : ﴿ **ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون** ﴾[2] عابهم بكونهم من أهل الجدل وذلك يدل على أن الجدل مذموم .

ثالثها : قوله تعالى : ﴿ **ولاتنازعوا فتفشلوا** ﴾ [3] نهى عن المنازعة) [4] .

ومن النصوص الناهية عن الجدال قول النبي ﷺ « **ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ﴿ ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾**[5] » [6] وقوله : ﷺ « **أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم** » متفق عليه[7] وقوله ﷺ : « **من ترك المراء وهو باطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في وسطها** » [8]. أما جدال أهل الكتاب فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه منسوخ بآيات القتال[9] ومن العلماء من فصل فيه وهو الحق لأن النصوص القرآنية جاءت بمحاورة المشركين وأهل الكتاب وأمرت بمجادلتهم كقوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [10] وكقوله تعالى :﴿ **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا**

---

(١) البقرة ١٩٧ .

(٢) الزخرف ٥٨ .

(٣) الأنفال ٤٦ .

(٤) الرازي ، التفسير الكبير ١٦٧/٥ .

(٥) الزخرف ٥٨ .

(٦) الترمذي ٥٥/٥ .

(٧) البخاري ١٥٩/٥ ، مسلم ٥٧/٨ .

(٨) الترمذي ٢٤٢/٣ .

(٩) ابن كثير ، التفسير ٤١٥/٣ .

(١٠) النحل ١٢٥.

بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ (1) . كما جادلهم النبي ﷺ .

قال ابن تيمية في رده على من قال أن الجدال منسوخ ! (وإذا كان النبي ﷺ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال ، وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه ، والمراد بذلك تبليغه رسالات الله وإقامة الحجة عليه ، وذلك قد لايتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة ، ويجاب به عن المعارضة ، ومالايتم الواجب إلابه فهو واجب ، عُلم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقاً) (2).

وقال ابن القيم : (والمقصود أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم ،إلى أن توفي ، وكذلك أصحابه من بعده . وقد أمر الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة وبهذا قام الدين ، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة ، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله) (3) وقال ابن حجر في فوائد قصة نجران : (وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته) (4) .

أما النصوص السابقة والناهية عن الجدال فيمكن توجيهها بما يلي :-

١- الجدال (المراد به اللجاج الذي يعرف صاحبه أنه غير مفيد وربما عرف أنه مثير للشر ، والفرق بينه وبين الجدال بالتي هي أحسن أن يكون المجادل بالتي هي أحسن قاصداً لإيضاح الحق ، أو طامعاً في اتباع خصمه له ، فمتى ظن أن خصمه لايقبل ولم يكن له مقصد إلا غلبة الخصم ومجرد الظهور عليه ملاحظة لحظ النفس في ذلك فقد صار ممارياً وداخلاً في (الجدل) المنهي عنه) (5) لأنه فاقد للنية الصالحة ، مثير للفرقة ومسبب للعدواة والبغضاء بين المسلمين ، كما أنه سبب لقسوة القلب .

٢ – الجدال بلا علم لقوله تعالى : **﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ﴾** (6) وذلك لأنه فاقد لشرط أساسي وهو العلم .

٣ – الجدال بعد ظهور الحق وتبينه ، كما قال تعالى : **﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾** (7) وذلك لأن المجادل بعد ظهور الحق قد

(1) العنكبوت ٤٦ .
(2) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ١/٧١-٧٢ .
(3) ابن القيم ، زاد المعاد ٣/٦٤٢ .
(4) ابن حجر ، فتح الباري ٨/٩٥ .
(5) اليماني : محمد بن إبراهيم الوزير ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ٢/١٧ دار المعرفة – بيروت- ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
(6) الحج ٨ ، لقمان ٢٠ .
(7) الأنفال ٦ .

عرض نفسه للهلاك والوعيد لعدم اتباعه للحق .

٤ ـ الجدال بالباطل لنصرته كما قال تعالى : ﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب** ﴾ [١] والمجادل لنصر الباطل ودحض الحق لايجد إلا الباطل ليجادل به، بل إن الله لم يأمر بالجدال بالباطل حتى لو كان نصرة للحق ، لأن الحق ينصر بالحق قال ابن تيمية : (والله تعالى لايأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علماً ، فلو قُدّر أنه قال باطلاً لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل ، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه لالبيان الدعوة إلى القول والحق) [٢] .

٥ ـ الجدال والمراء في القرآن : قال ابن عبد البر بعد أن ساق بعض النصوص الناهية عن الجدال والمراء :(الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي ﷺ إنما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن) [٣] .

٦ ـ أما الجدال في الحج فهو يحتمل أحد أمرين :

الأول : أن الممنوع في الحج لايقتضى الذم مطلقاً بل قد يجب أحياناً ، كعقد النكاح والجماع فهما من محظورات الإحرام وحرمت لمعنى فيه دون غيره ، وكذا الجدل منع في الحج للتفرغ للنسك لا لتحريمه مطلقاً .

الثاني : هو أن الجدال الممنوع في الحج ليس مطلق الجدال وإنما هو الجدال المحرم فيتأكد تحريمه في الحج قال ابن تيمية : (إن الله لم ينه المحرم ولاغيره عن الجدال مطلقاً بل الجدال قد يكون واجباً أو مستحباً ، وقد يكون الجدال محرماً في الحج وغيره كالجدال بلاعلم وكالجدال في الحق بعدما تبين) [٤] .

وهكذا نصل إلى أن الجدال قد يكون مذموما وقد يكون ممدوحا ، وضابط ذلك أن (لكل أمر دافع وطريقة ونتيجة ، ولابد من سلامة الثلاثة ليكون الأمر صحيحا فالجدال

---

(١) غافر ٥ .

(٢) ابن تيمية :أحمد بن عبد الحليم ، الرد على المنطقيين ٤٦٨ إدارة ترجمان السنة – لاهور ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

(٣) القرطبي : أبي عمر يوسف بن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ١٣٣/٢ ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ت) .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوي ١٠٧/٢٦ .

الممدوح ما كان بنية خالصة وجرى بطريقة سليمة وأدى إلى خير) [1] والجدال المذموم (جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه) [2] .

وقد أسلفنا القول عن الدافع والنتيجة ، ويهمنا هنا الطريقة وتشتمل على أدب الحوار ومناهج الجدل ، وقد أسلفنا القول عن أدب الحوار أما مناهج الجدل فإنه يجب فيه استخدام الحق والمقدمات الصحيحة ، فلاتستخدم المقدمات الباطلة ولو سلم بها الخصم لتقرير الحق ونصر دين الله ، لأن الحق لايحتاج إلى الباطل وكما قال ابن تيمية : إن الله لم يأمر أن يحتج عليه بالباطل ، لكن قد يحتج على الخصم بالمقدمات التي يسلمها ولوكانت باطلة لا لتقرير الحق وإنما لبيان تناقضه وفساد قوله [3] .

والاحتجاج بالحق وحده هو منهج المؤمنين لأنهم سلكوا طريق الحق وارتضوه ، وهذا هو الفرق بين منهج المؤمنين والمنهج المنطقي اليوناني الذي يكتفي بإفحام الخصم وتسليمه ولو لم يكن الأمر في ذاته حقاً .

وعلى ذلك فالحوار مع أهل الكتاب في مقامين :

الأول : بيان دين الله ووحدانيته ، وصحة رسالة نبيه الخاتم فهذا لايُستخدم فيه إلا الحق وحده .

الثاني : تناقض أقوالهم وفساد آرائهم ، وهنا تُستخدم كل مقدمة يسلمون بها .

---

(١) الألمعي:زاهر عواض ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ٤٥ ، مطابع الفرزدق – الرياض ، (د.ت) .

(٢) المرجع السابق ٥٧ .

(٣) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ٤٦٨ .

الفصل الثاني

منهج القرآن في محاورة أهل الكتاب

المنهج الشرعي هو منهج القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وهو الذي سار عليه أئمة السلف الصالح .

والقرآن الكريم قد احتوى على أفضل الأساليب ، وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواره مع أهل الكتاب وغيرهم ، وقد نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ بالحجج البينة والبراهين القاطعة : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [1] (وقد وفى سبحانه بما وعد ، وأظهر دينه على رغم من كفر وجحد ، فأظهره بالحجة والبيان ، ونصره بالسيف والسنان ، وأيد أهله على من سواهم ، ونصرهم بالحجة على من ناوأهم ، كما أظهرهم بالسيف على من كانوا له يحاربون ، وذلك مصداق قوله تعالى : ﴿ **وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ [2] وأيد رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة العلمية ، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية ، بمالم يبق بعده للمخالف إلا محض العناد ، وحينئذ فالدواء الشافي من هذا الداء سيف الجهاد ، وكفى لمن جانب الاعتساف وسلك طريق العدل والإنصاف ماتضمنه القرآن العربي المبين من البينات والحجج والبراهين ، فهوالشفاء النافع لمن استشفى ، والكفاية التامة لمن به استكفى ، وهو الهدى والنور وشفاء وسوسة الصدور ، وهو الكفيل بالانتصار على المبطلين لمن كان به خبيراً كما قال تعالى : ﴿ **ولايأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ [3] فلايأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن مايبطلها ويلقيها من شاهق ، كما قال تعالى : ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ [4] وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في صفة القرآن : (**فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله .ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لاتزيغ به**

---

(١) الصف ٩ .
(٢) الصافات ١٧٣ .
(٣) الفرقان ٣٣ .
(٤) الأنبياء ١٨ .

الأهواء ، ولاتلتبس به الألسن ، ولاتشبع منه العلماء ، ولايخلق من كثرة الرد ولاتنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ﴾ (١) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم) (٢)) (٣) .

وسأحاول التركيز في هذه المناهج على كتاب الله الكريم ، لأنه المصدر الأساسي ولأنه ﴿ **لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (٤) ولن اتبع مناهج الفلاسفة وقوانين المنطق الأرسطي ، ولن أحاول إثبات وجودها في القرآن ، لأن القرآن كلام الله الحكيم أعلى وأعز من أن يرد إلى منهج بشري قاصر محدود ، وإنما سأحاول استنباط منهج القرآن في الحوار مع أهل الكتاب -بعيداً عن قيود الفلاسفة- ويدخل في ذلك كافة سبل الإقناع والتأثير بما في ذلك القصص القرآني والوعظ والتهديد . (وإذا صح لنا أن نقول إن في القرآن شيئا من المنطق فإنما هو منطق العقل والضمير ، منطق الحجة والبرهان....منطق البلاغة والبيان .. وليس منطق أرسطو القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة)(٥) (والصورة التي تشكلت بها حجج القرآن وبراهينه وجدله هي صورة الفصاحة والبلاغة والإعجاز البياني وهي صورة لاتأتي بحال من الأحوال إذا اتبع في حججه وبراهينه وجدله منطق اليونان وطرق الجدال عندهم من ترتيب المقدمات والنتائج والأشكال والقياسات على هيئة خاصة وأسوار خاصة ونظم خاصة ، فإنه يفقد بذلك ميزة الإعجاز والتحدي ، لأن هذه النظم والقوانين أشبه بالصنعة التي تتعلم مرسومة لامحيد عنها يستوي فيها الجميع عند ممارستها ، وقد لايرقى إلى تعلمها وفهمها إلا القليلون ، وقد يجر الاسترسال فيها إلى سرعة هدمها ونقضها بأقل تشكيك في سلامة بنائها ، فتستحيل إلى جدل عقيم ، ومناقشات بيزنطية ضررها أكبر من نفعها) (٦) .

لذا قال أحد كبار الفلاسفة المتكلمين في آخر عمره وهو أبو عبدالله الرازي : (لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولاتروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم) (٧) وسيكون التركيز على منهج القرآن في

---

(١) الجن ١-٢ .
(٢) الترمذي ٤/٢٤٥ .
(٣) ابن معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ١٢-١٣ .
(٤) فصلت ٤٢ .
(٥) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ٨٩-٩٠.
(٦) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ٩٠ .
(٧) ابن تيميه ، مجموع الفتاوى ٥/١١ .

محاورة أهل الكتاب مع ذكر أمثلة لما ورد عن النبي ﷺ والسلف الصالح .

أولاً : الاستفهام الاستنكاري :*

وقد ورد هذا كثيراً في القرآن الكريم في سياق محاورة أهل الكتاب وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام ، فلا يملكون جواباً لما تحويه هذه الأفعال من فساد يُعرف بداهة بالفطرة ، ولما تحويه من تناقض ومخالفة لما في كتبهم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون . قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وماالله بغافل عما تعملون** ﴾ (٢) . وقوله تعالى مخاطباً لهم بخطاب الغائب ليكون أبلغ في التأثير: ﴿ **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدي القوم الظالمين** ﴾ (٣) . فإذا سمع الكتابي هذه الاستفهامات فإنه يحار ولايجد عليها جواباً فإن كان في قلبه أدنى ذرة من خير فإنه يؤمن ويترك ماكان عليه من الكفر والصد عن سبيل الله وكتم الحق ، وإن كان غير ذلك فإنه تقوم عليه الحجة ويقع في غاية الحرج ، وذلك لأن الكتابي يقر بوجود هذه الأمور منه فإنه يكفر بآيات الله ويلبس الحق بالباطل مع كتمانه للحق وصدهم عن سبيل الله مع فساد التوجه ﴿ **تبغونها عوجاً** ﴾(٤). ولايستطيعون إنكار ذلك كما لايستطيعون إنكار علمهم بصفة النبي ﷺ في كتبهم كما قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾(٥) .

وقد تواترت الروايات عن أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ تتضمن اعترافهم بصدقه ومعرفتهم أنه هو المبشر به في كتبهم ، ولاأدل من أنهم كانوا ينتظرونه فلما بعث وكفر به من كفر منهم زال انتظارهم .

ومن تلك الروايات الدالة على ذلك مايلي :

---

* قد يتكرر في آية واحدة أكثر من أسلوب فمن أساليب القرآن القصة وقد تحوي القصة على أساليب أخرى .

(١) آل عمران ٧٠-٧١ .
(٢) آل عمران ٩٨-٩٩ .
(٣) آل عمران ٨٦
(٤) ٩٩ آل عمران .
(٥) البقرة ١٤٦ .

١ – قصة بحيرى الراهب الذي رأى النبي ﷺ – في رحلته الأولى للشام وكان صبيا – ورأى خاتم النبوة في ظهره فسأل أبا طالب ، ماهذا الغلام منك؟ قال : ابني . قال له بحيرى : ما هو ابنك ومايبنغي أن يكون أبوه حياً . ثم أوصاه به وحذره من اليهود [١].

٢ – لما خاف النبي ﷺ على نفسه لما جاءه الوحي وأخبر ورقة بن نوفل – وكان قد تنصر وتعلم النصرانية – قال له (والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى) [٢] .

٣ – قدم إلى النبي ﷺ بمكة عشرون رجلاً من نصارى الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ، فدعاهم النبي ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره [٣] .

٤ – قصة سلمان الفارسي وقد عاصر خمسة أساقفة في بلاد متفرقة ، يوصي كل واحد منهم سلمان عند موته إلى الآخر حتى بلغ آخرهم فقال له سلمان : بم تأمرني ؟ قال: أي بني والله ماأعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ماكنا عليه من الناس آمرك ان تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مُهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لاتخفى :يأكل الهدية ولايأكل الصدقة .وبين كتفيه خاتم النبوة . ومعلوم أن سلمان قصد أرض العرب فاسترق فبيع إلى يهود المدينة ثم لما هاجر النبي ﷺ وعلم مطابقة الأوصاف له أسلم [٤] .

٥ – خبر عبد الله بن سلام عندما أسلم ونصح اليهود بقوله :(يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأؤمن به وأصدقه وأعرفه) [٥].

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١/١٦٥-١٦٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ١/ ٢٢٢ وأصلها في البخاري ٣/١ بلفظ « هذا الناموس الذي نزل الله على موسى » .

(٣) المرجع السابق ٢/٢٨-٢٩ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ١/ ١٩٨-٢٠٢ .

(٥) المرجع السابق ٢/١١٨ .

٦ – خبر مخيريق وكان يهودياً وكان يعرف النبي ﷺ فلما جاء يوم أحد – وكان يوم السبت – قال : (يامعشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق) قالوا إن اليوم يوم السبت . قال : (لاسبت لكم) ثم أخذ سلاحه وقُتل بأحد فقال النبي ﷺ (مخيريق خير يهود) [(١)] .

٧ – عندما حاصر النبي ﷺ بني قريظة قال كعب بن أسد : يامعشر يهود وقد نزل بكم من الأمر ماترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم . قالوا : وماهي: قال : نتابع هذا الرجل فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فرفضوا ، فعرض عليهم قتل أبنائهم ونسائهم ثم يقاتلوا فرفضوا ، فعرض عليهم القتال يوم السبت فرفضوا ، فرضوا حكم سعد بن معاذ فقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم [(٢)] .

والروايات كثيرة ، وماذكرت تفي بالمقصود من علمهم برسول الله ﷺ واعترافهم بذلك فيما بينهم مما لايستطيعون إنكاره عند مخاطبة الرب عز وجل لهم بتلك الاستفهامات الاستنكارية التي تبلغ مداها في التأثيروإقامة الحجة ، وقد وردت تلك الاستفهامات في معاني أخرى في حوار أهل الكتاب ومنها :–

– إنكار الله عز وجل عليهم ادعاءهم أن إبراهيم منهم ، وهم يعلمون أنه كان قبلهم وقبل دياناتهم : ﴿ **ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وماأنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون** ﴾ [(٣)].

– إنكار الله عليهم أمرهم الناس بالبر مع عدم فعله ، وكانوا من قبل يخبرون الأوس والخزرج بخروج نبي وفضل متابعته ، فلما خرج من غيرهم كفروا به . فقال تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ [(٤)]

– إنكار الله عليهم نقمتهم على من آمن بالله ومأأُنزل على محمد ومأأُنزل من قبله ﴿ **قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون** ﴾ [(٥)] .

(١) المرجع السابق ٢/١١٩ .
(٢) المرجع السابق ٣/١٤٢ .
(٣) آل عمران ٦٥ .
(٤) البقرة ٤٤ .
(٥) المائدة ٥٩ .

والآيات التي وردت بهذا الأسلوب كثيرة ، ويكفي منها ماذكرناه ، لأن الغرض التمثيل لا الاستيفاء [1] .

ثانياً : القصص القرآني :

(قد يساق الدليل في قصة ويأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها فتصغي إليه الآذان ، وتميل إليه النفوس وترتاح إليه الأفئدة ، وتتأثر بمافيه من عظات وعبر ، وقد اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلاً للاقناع والتأثير) [2] . فنجد أن القرآن في محاورة أهل الكتاب وغيرهم يورد القصص والتي فيها من إقامة الحجة والتأثير الشيء الكثير .

وأكثر القصص التي ترددت في القرآن قصص الأنبياء ، ولن أسرد جميع ماذُكر وإنما سأكتفي بمثال واحد وهو قصة إبراهيم عليه السلام . فقد وردت قصة إبراهيم في مواضع عديدة منها ماورد في سورة البقرة ضمن محاورة أهل الكتاب ، وقد وردت بعد قوله تعالى : ﴿ **يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم...** ﴾ [3] وورد بعدها قوله تعالى : ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا...** ﴾ [4] . والآيات طويلة تبتدئ بقوله تعالى : ﴿ **واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن** ﴾[5] إلى قوله تعالى : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون** ﴾ [6] ، وقد ذكر الفخر الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائدتها في محاورة أهل الكتاب وغيرهم بقوله : (والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل ، فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه ، وبيانه من وجوه :

أحدها : أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وفى بها وخرج عن عهدتها لاجرم نال النبوة والإمامة ، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير

---

(١) ومن الآيات بهذا الاسلوب انظر : البقرة ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، النساء ٥٣ ، ٥٤ ، المائدة ٧٦ .

(٢) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ٧٣ .

(٣) البقرة : ١٢٢ ، والآية التي تليها (واتقوا يوماً لاتجزي نفسٌ .. الآية) .

(٤) البقرة : ١٣٥ .

(٥) البقرة : ١٢٤ .

(٦) البقرة : ١٣٤ .

لايحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد ، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه .

ثانيها : أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى : ﴿ **لاينال عهدي الظالمين** ﴾ [١] فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لايصل إلى الظالمين ، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل .

ثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك .

رابعها: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى فبين الله تعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بفضله ووجوب الاقتداء به ، فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم) [٢] .

ومنها أن إبراهيم عليه السلام دعا بخروج النبي ﷺ ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم** ﴾[٣] ثم قال بعدها: : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه** ﴾ [٤] فلا حجة لهم بترك متابعته .

ومنها بيان الله أن إبراهيم الذي يستشرفون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد كما كانت وصيته لأبنائه ﴿ **إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [٥] ، يقول سيد قطب بعد هذه القصة : (في ظل البيان التاريخي الحاسم لقصة العهد مع إبراهيم وقصة البيت الحرام كعبة المسلمين ، ولحقيقة الوراثة وحقيقة الدين ، يناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين ، ويعرض لحججهم وجدلهم ومحالهم فيبدو هذا كله ضعيفاً شاحباً كما يبدو فيه العنت والادعاء بلا دليل . كذلك تبدو العقيدة الإسلامية عقيدة طبيعية شاملة لاينحرف عنها إلا المتعنتون) [٦]

وهكذا فإن القصة في القرآن لها دورها البالغ في محاورة أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿ **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون . وإنه**

---

(١) البقرة ١٢٤ .
(٢) الرازي : التفسير الكبير ٣٣/٤ .
(٣) البقرة ١٢٩ .
(٤) البقرة ١٣٠ .
(٥) البقرة ١٣٢ .
(٦) قطب ، سيد : في ظلال القرآن ١١٧/١

لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾(1) وقال تعالى مبيناً فوائد القصص القرآني في نهاية قصة يوسف : **﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾**(2) .

ثالثا : ضرب الأمثلة :

وهو القياس ، وأنواعه متعددة استخدمها القرآن في محاجة الخصوم ، قال شارح الطحاوية : والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل وهي المقاييس العقلية.(3) وفيما يلي عرض لبعض الأقيسة التي استخدمها القرآن في محاجة أهل الكتاب :-

١- الأقيسة الإضمارية (وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ماينبئ عن المحذوف) (4) أو هو (ماذكرت فيه مقدمة واحدة) (5) ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾** (6) والقارئ لهذه الآية يفهم أن تقديرها إن كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلها أو ابناً لله ، فإن آدم أولى من عيسى لأنه خُلق من غير أب ولا أم ، وهم لايقولون بذلك بل لاأحد يقول به . وهذا النوع من الحذف يعطى الدليل فصاحة وبياناً ، قال شارح الطحاوية : (إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهي طريقة القرآن) (7) .

٢- قياس الأولى وهو قياس الأشبه (8) ، وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل ، والآية السابقة استفاد منها العلماء واستخدموا فيها هذا النوع من القياس وتقديرها ، أي أنهم إذا اتخذوا عيسى إلهاً لأنه خلق من غير أب فآدم أولى لأنه خُلق من غير أب ولاأم ، وقد استخدم أبو الوليد الباجي هذا الأسلوب- بطريقة أخرى - في رسالته لراهب فرنسا حيث يقول : (وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من تراب ، وقد حملت بعيسى أم ، ولم

---

(1) النمل ٧٦ ، ٧٧ .
(2) يوسف ١١١ .
(3) الحنفي : ابن ابي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ٨٥ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ .
(4) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ٧٠ .
(5) أبو زهرة : محمد ، تاريخ الجدل ٦٤ .
(6) آل عمران ٥٩ .
(7) الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ٨٥ .
(8) ابن حزم : أبو محمد علي ، الإحكام في أصول الأحكام ٧/ ٩٣٠ نشر زكريا علي يوسف - القاهرة - (د.ت) قوبلت على النسخة التي أشرف عليها أحمد شاكر وطبعت بتاريخ ١٣٤٥هـ .

تحمل بآدم أنثى ولا ذكر ، فإذا لم يكن آدم إلهاً وهو الأب الأول ـ بل هو مخلوق ـ فعيسى أولى أن لا يكون إلهاً وهو من ذرية آدم وولده) [1] .

يقول سيد قطب معلقاً على هذا الدليل : (إن ولادة عيسى عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر ولكن أية غرابة حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر ، وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول عيسى ــ بسبب مولده ــ ويصوغون حوله الأوهام والأساطير بسبب أنه نشأ من غير أب . . أهل الكتاب هؤلاء كانوا يقرون بنشأة آدم من التراب ؛ وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني دون أن يصوغوا حول آدم الآساطير التي صاغوها حول عيسى) [2] .

٣ ــ قياس الشبه وقد استخدمه القرآن في بيان مشابهة أهل الكتاب للمشركين عبدة الأوثان ، مع علمهم بفساد طريقة المشركين ، وقد ذكر الله مشابهتهم لهم في نسبة الولد لله تعالى كما قال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ [3] ، كما ذكر مشابهتهم لهم في كفرهم بمحمد ﷺ وحقدهم عليه قال تعالى : ﴿ **مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[4] قال سيد قطب : (ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر وكلاهما كافر بالرسالة الأخيرة ، فهما على قدم سواء من هذه الناحية ، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن ولايود لهم الخير) [5] .

هذا التشابه بينهم وبين المشركين مادة خصبة لكثير من المحاورين المسلمين ، فهذا نصر بن يحي[6] يبين تشابه عقيدة النصارى مع الوثنين في كتاباته للنصارى ومنها : (ثم إنكم تتخذون الصليب وتضعون في قبلتكم الصور) ويقول : (ومارأينا أعجب من حال من يقف قدام ماتعمله الأيدي ويسأله قضاء الحوائج) .. ويسوق الأدلة على هذا

---

(١) الباجي ، رسالة راهب فرنسا ٦٦ .
(٢) قطب : سيد ، في ظلال القرآن ١/٤٠٤–٤٠٥ .
(٣) التوبة ٣٠ .
(٤) البقرة ١٠٥ .
(٥) قطب : سيد ، في ظلال القرآن ١/١٠١ .
(٦) هو نصر بن يحي بن عيسى بن سعيد من أهل البصرة كان أديباً شاعراً عارفاً بالطب هداه الله من النصرانية إلى الإسلام توفي بالبصرة سنة ٥٨٩هـ : المتطبب : نصر بن يحي ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الله النصرانية انظر المقدمة ص ١٧ تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد عبدالله الشرقاوي دار الصحوة للنشر – القاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

التشابه ويختمه بقوله : (ومع هذا تجحدون أنكم عباد الأوثان والأصنام) [1] .

رابعاً : الوعظ والتذكير :

إن أهل الكتاب لاتنقصهم الحقائق كما لايخفى عليهم الهدى ، وإنما ينقصهم الإيمان ، لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويذكرهم ليردهم إلى الحق ، ولكي لايبقى لديهم حجة أو عذر .

فتارة يذكرهم بنعم الله عليهم والتي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان لابالكفر والجحود ، فيسرد النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل – في آيات كثيرة يطول سردها – ابتداء بتفضيلهم على العالمين ومروراً بإنجائهم من آل فرعون وإغراق آل فرعون وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل ، وإحيائهم بعد موتهم ، وتظليل الله عليهم الغمام وإنزال المن والسلوى ، وتفجير الأرض اثنتا عشرة عيناً ... إلى آخر تلك النعم [2] .

وسأذكر مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى : ﴿ **يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولاتكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون** ﴾ [3] .

– وتارة أخرى يذكرهم بعاقبة الكفر والعصيان بضرب أمثلة لمن عصى أو كفر منهم ، وكيف كانت عاقبته ؟ كقوله تعالى : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالاً لما بين يديها وماخلفها وموعظة للمتقين** ﴾ [4] .

وكقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا** ﴾ [5] وكقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ [1] ويقول تعالى عن بعض بني إسرائيل : ﴿ **وضربت**

---

(١) المرجع السابق ٧٤-٧٥ .
(٢) انظر الآيات في سورة البقرة ٤٦-٦٤ .
(٣) البقرة ٤٠-٤١ .
(٤) البقرة ٦٥-٦٦ .
(٥) النساء ٤٧ .
(٦) البقرة ٥٨-٥٩ .

عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[٢].

ـ وتارة يذكرهم بيوم القيامة وبشدة عذاب الله للعصاة ، ليكون ذلك رادعاً لهم عن عصيانهم وكفرهم بمحمد ﷺ . ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون** ﴾[٣]. ويقول تعالى : ﴿ **سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فإن الله شديد العقاب** ﴾[٤] ويقول تعالى في سياق محاورة أهل الكتاب : ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين** ﴾[٥] ويقول تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومالظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهواعما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾[٦] ويقول تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾[٧] وقد نزلت هذه الآية في اليهود المعاصرين للنبي ﷺ ، قال ابن عباس: « نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود :كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب ، كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا ، فلما بعث محمد عليه السلام خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمر محمد عليه السلام وأمر شرائعه)[٨] .

وقد كان النبي ﷺ يحاور أهل الكتاب بهذه الآيات وأمثالها ، كما كان السلف الصالح يستخدمون هذا الاسلوب في محاورة أهل الكتاب ، ومن ذلك تذكير الباجي لأحد الرهبان بقوله : (وأمر الدنيا وشأنها انفر وانزر من أن يغتر بها ذو عقل أو يسكن إلى غرورها ذو لب)[٩] .

---

(٢) البقرة ٦١ .
(٣) البقرة ٤٨ .
(٤) البقرة ٢١١ .
(٥) آل عمران ٢١-٢٢.
(٦) المائدة ٧٢-٧٣ .
(٧) البقرة ١٧٤ .
(٨) الرازي ، التفسير الكبير ٢٥/٥ .
(٩) الباجي ، رسالة راهب فرنسا ٦٩ .

خامساً : التحدي والمباهلة :

إذا ظهر الحق واستبان فإن التحدي والمباهلة من الأساليب النافعة في إظهار الحق وإبطال الباطل .

أما التحدي فقد ورد في قوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ [(١)] هذه الآية المدنية خطاب لأهل الأرض ، ويدخل فيهم أهل الكتاب ، قال ابن القيم في بيان دلالتها : (إن حصل لكم ريب في القرآن ، وصدق من جاء به ، وقلتم أنه مفتعل فأتوا ولو بسورة واحدة تشبهه ، وهذا خطاب لأهل الأرض أجمعهم ، ومن المحال أن يأتي واحد منهم بكلام يفتعله ويختلقه من تلقاء نفسه ، ثم يطالب أهل الأرض بأجمعهم أن يعارضوه في أيسر جزء منه يكون مقداره ثلاث آيات من عدة ألوف ثم تعجز الخلائق كلهم عن ذلك ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ كما يقول المعجز لمن يدعي مقاومته : اجهد علي بكل من تقدر عليه من أصحابك وأعوانك وأوليائك ولاتبق منهم أحداً حتى تستعين به ، فهذا لايقوم عليه إلا أجهل العالم وأحمقه وأسخفه عقلاً إن كان غير واثق بصحة مايدعيه ، والنبي ﷺ يقرأ هذه الآية وأمثالها على أصناف الخلائق أميهم وكتابيهم وعربهم وعجمهم ، ويقول لن تستطيعوا ذلك ولن تفعلوه أبداً فيعدلون معه إلى الحرب والرضى بقتل الأحباب فلو قدروا على الإتيان بسورة واحدة ، لم يعدلوا عنها إلى اختيارالمحاربة وإيتام الأولاد ، وقتل النفوس ، والإقرار بالعجزعن معارضته) [(٢)] .

أما المباهلة فهي نوع من التحدي ، وقد أمر الله بها في القرآن وبين صفتها فقال تعالى في سياق حوار أهل الكتاب في عيسى عليه السلام : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق ومامن إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم . فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين** ﴾ [(٣)] وقد ورد هذا الأمر الإلهي في الآيات التي نزلت في نصارى نجران لما أتوا النبي ﷺ ، وقد

---

(١) البقرة ٢٣-٢٤ .

(٢) ابن القيم :محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد ٤/١٣٤-١٣٥.

(٣) آل عمران ٦١-٦٣ .

روى ابن اسحاق أنه لما أراد النبي ﷺ ملاعنة ومباهلة النصارى قالوا له : ياأبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه[1] . فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا : ياعبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم [2] ولقد علمتم مالاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولانبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم » [3] وفي رواية البخاري « لاتفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعنّالانفلح نحن ولاعقبنا من بعدنا » [4] ثم قال لهم : « فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ماأنتم عليه من القول فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم فتركوا الملاعنة وقالوا للنبي ﷺ: قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك لدينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنك عندنا رضا. فبعث معهم النبي عليه السلام أباعبيدة رضي الله عنه [5] . وهذه القصة من دلائل نبوته ﷺ قال الرازي : (دلت هذه الموافقة على صحة نبوة محمد ﷺ من وجهين :

أحدهما : وهو أنه عليه السلام خوفهم بنزول العذاب عليهم ، ولولم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه ، لأنه بتقرير أن يرغبوا في مباهلته ثم لاينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذبه فيما أخبر ، ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه ، فلما أصر على ذلك علمنا إنما أصر عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم لما تركوا المباهلة فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل مايدل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباهلته ، بل ودفعوا إليه المال الوفير وصرحوا بتصديقه [6].

وهذه المباهلة قد أمر الله بها ودعا إليها النبي ﷺ ، ودعا إليها أصحابه ، وهي سنة إلى يوم الدين ، ليست خاصة برسول الله ﷺ ، قال ابن القيم في فوائد قصة نصارى نجران : (إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد ، أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل

(١) وكان النبي ﷺ دعاهم إلى التوحيد وبين لهم حقيقة عيسى عليه السلام وأنه عبد الله .

(٢) المقصود به عيسى عليه السلام .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١٦٥/٢-١٦٦ .

(٤) البخاري ١٢٠/٥

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ١٦٦/٢ .

(٦) الرازي ، التفسير الكبير ٨٢/٨ .

ان ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن انكر عليه بعض مسائل الفروع ، ولم ينكر عليه الصحابة ، ودعا إليه الأوزاعي وسفيان الثوري في مسألة رفع اليدين [١] .

سادسا: الاستدلال باستحالة مايدعونه عقلاً :

يناقش القرآن الكريم أهل الكتاب فيما يدعونه مناقشة عقلية ، ويثبت لهم أن بعض مايدعونه محالٌ عقلاً ، أويلزم منه أمر لم يقع .

فمن ذلك نسبتهم الولد لله ، فيبين الله عز وجل امتناع ذلك عقلاً كما قال تعالى: ﴿ **وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون. بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ [٢] ولم يزد الرب عز وجل عن تسبيح نفسه ، وإخباره بأنه مبدع السماوات والأرض ، مع كمال قدرته المنافية لاتخاذهم الولد لله وهذا مما عُلم بالفطرة .

كما أن الإله مستغن عن غيره ضرورة ، والمسيح لم يكن كذلك كما قال تعالى : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ [٣].

كما أن نسبة الابن لله يلزم منه أمراً لم يقع فيعلم بطلانه عقلاً كما قال تعالى : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ [٤] (والمعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الإثنين بما خلق ، وعلو أحدهما على الآخر ، فلايتم في العالم أمر ، ولاينفذ فيه حكم ، ولاتنتظم أحواله ، والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلهين فأكثر محال لما يلزم منه من المحال) [٥] .

- ومن ذلك قول النصارى : الله ثالث ثلاثة ، المخالف للفطرة البشرية والذي يحيله العقل لذا لم يزد الرب عز وجل عن إنكار قولهم مع بيان أن التوحيد هو الأصل ، كما قال تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد** ﴾ [٦] وقال سبحانه : ﴿ **ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد** ﴾ [٧] .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ٣ / ٦٢٤ .
(٢) البقرة ١١٦ ـ ١١٧ .
(٣) المائدة ٧٥ .
(٤) المؤمنون ٩١ .
(٥) الألمعي ، مناهج الجدل ٧٥ ـ ٧٦ .
(٦) المائدة ٧٣ .
(٧) النساء ١٧١ .

- ومن ذلك وصف اليهود الرب بصفات النقص ، وهذا مما يحيله العقل فطرة فلا يحتاج إلا إلى الإنكار ، كقوله تعالى : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾(٢) .

- ومن ذلك عبادتهم للملائكة والنبيين ، وزعم النصارى أن عيسى دعا إلى نفسه ، فبين الله استحالة ذلك كما قال تعالى : ﴿ **ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾ (٣) .

وهكذا يهدم القرآن دعاوى أهل الكتاب بنظرة عقلية تجعل لمن له أدنى عقل أن يتراجع عن قوله الذي يحيله العقل والفطرة .

وقد استخدم هذا الأسلوب كثير من المحاورين المسلمين ، ومنهم على سبيل المثال :-

* ابن حزم الأندلسي ، وقد ساق أقوال من قال ان الفاعل أكثر من واحد ، وساق أقوال النصارى بفرقهم المختلفة والتي فيها من الشرك بأنواعه ، ثم قال : (ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** ﴾ (٤) وإذ يقول تعالى حاكياً عنهم : ﴿ **إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ (٥) . وإذ يقول تعالى: ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾ (٦) لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع ، السمج السخيف ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان) (٧) .

* وأبو الوليد الباجي في بيانه أن عيسى ليس إله يقول لأحد الرهبان :- (بل هو بشر

---

(١) آل عمران ١٨١ .
(٢) المائدة ٦٤ .
(٣) آل عمران ٧٩ - ٨٠ .
(٤) المائدة ١٧ .
(٥) المائدة ٧٣ .
(٦) المائدة١١٦ .
(٧) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل١/١١١/١١٢ .

مخلوق لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكون ، والزوال والانتقال ، والتغير من حال إلى حال ، وأكل الطعام ، والموت الذي كتب على جميع الأنام ، مما لايصح على إله قديم) (١) .

* وابن تيمية يقول منكراً على النصارى التثليث : (وهم يدعون أن التثليث والحلول والاتحاد إنما صاروا إليه من جهة الشرع وهو نصوص الأنبياء والكتب المنزلة لا من جهة العقل ، وزعموا أن الكتب الإلهية نطقت بذلك ، ثم تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتب طريقاً عقلياً فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في العقل ، ولهذا نجد النصارى لايلجأون في التثليث والاتحاد إلى الشرع والكتب ، وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول ، فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها وماجعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية ـ التي قد يسمونها ناموساً عقلياً طبيعياً يدفع ذلك وينفيه وينفر عنه) (٢).

* وهذا أحدهم هداه الله للإسلام يحاجهم فيذكر بعض عبارات التوراة المستحيلة عقلاً مثل :- « وندم الله على خلق البشر » و« انتبه لمَ تنام يارب ! استيقظ من رقدتك» و« والله ندم على تمليكه شؤول على إسرائيل» . ثم يقول : (فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله) (٣).

سابعاً : إظهار سوابقهم مع رسلهم :

كان أهل الكتاب يرفضون رسالة محمد ﷺ ، وخشية أن يؤثر موقفهم هذا على البعض بوصفهم أهل كتاب سابق يطيل القرآن في بيان مخالفتهم لرسلهم وتعنتهم وعنادهم وذلك ليظهر للرأي العام أن هؤلاء الرافضين لرسالة محمد ﷺ كانوا كذلك مع من سبقه من الرسل ، فلا يضر رفضهم ، ولايدل على صحة ماعندهم ، يقول الشيخ السعدي تحت عنوان طريقة القرآن في المجادلة مع أهل الأديان الباطلة :(يقيم الأدلة على أهل الكتاب بأن لهم من سوابق المخالفات لرسلهم مالايستغرب معه لمخالفتهم لرسوله الخاتم محمد ﷺ الذي جاء مصدقاً لما سبق من الرسالات التي مقصدها

---

(١) الباجي ، رسالة راهب فرنسا ٦٥ .

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٩١

(٣) المغربي : السموأل بن يحي ، إفحام اليهود ١٣٣-١٤٠ ، تحقيق د.محمد عبد الله الشرقاوي؛ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

جميعاًواحد)[1] .

والآيات التي يحاور القرآن فيها أهل الكتاب مبيناً فيها هذا الجانب عديدة جداً منها قوله تعالى : ﴿ **وإذ واعدناموسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون. ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** ﴾[4] وبعد هذه الآيات وأمثالها في سورة البقرة يقول تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون** ﴾[5] ويقول تعالى: ﴿ **يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً** ﴾[6] كما يسلي الله نبيه محمداً ﷺ بأن تكذيبهم لدعوته لايضر الدعوة شيئاً ، فإن جميع الرسل كُذبوا كما قال سبحانه : ﴿ **فإن كذبوك فقد كُذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المبين** ﴾[7].

ثامناً : إثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان وتحتاج إلى تصحيح :

وذلك أن كثيراً من دعاوى أهل الكتاب تنقصها الحجة والبرهان ، فيطالبهم الله عز وجل ببرهان دعواهم ، وهم لايملكون على مايدعون حجة ولابرهاناً وإنما أماني وتخرص ، فتسقط دعواهم من غير رد لها ومن ذلك دعواهم : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾[8] .

ومثل ماحكاه الله عنهم : ﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله** ﴾[9] .

---

(١) السعدي : عبد الرحمن ، القواعد الحسان لتفسير القرآن ٤٣

(٢) البقرة ٥١ .

(٣) البقرة ٥٥ .

(٤) البقرة ٦٣-٦٤ .

(٥) البقرة ٧٥ .

(٦) النساء ١٥٣ .

(٧) آل عمران ١٨٤ .

(٨) البقرة ١١١ .

(٩) البقرة ١٤٠ .

وقوله تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ومأأنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ (١) قال سيد قطب : (فإبراهيم سابق على التوراة ، وسابق على الإنجيل ، فكيف إذن يكون يهودياً ؟ أو كيف يكون نصرانياً؟ إنها دعوى مخالفة للعقل تبدو مخالفتها بمجرد النظرة الأولى للتاريخ) (٢) .

ومن ذلك دعواهم : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون** ﴾ (٣).

قال ابن القيم : (فهذا مطالبة لهم بتصحيح دعواهم وتردد هذه* المطالبة بين أمرين لابد من واحد منهما ، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر . فإن قولهم : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، خبر عن غيب لايُعلم إلا بالوحي فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذباً ، وإما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر وهذا منتف قطعاً ، فتعين أن يكون خبراً كاذباً ، قائله كاذب على الله)(٤).

ومن ذلك : ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ (٥) .

وهذا النوع من إبطال دعاويهم المجردة من الدليل واضح كل الوضوح ، وقد سلكه علماء الإسلام في حوارهم مع أهل الكتاب ، فهذا ابن تيمية يرد على دعوى النصراني بأن قرابينهم صحيحة ، ويستشهد على ذلك بقول إشعيا فيرد ابن تيمية بمطالبته بإثبات : أولاً : نبوة إشعيا . ثانياً : صحة كلامه عنه . ثالثاً: صحة الترجمة لأن أولئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربية ، بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية ، وإنما تكلموا بالعبرية . رابعاً : إثبات أن هذا القول ينطبق على قرابينهم في هذا الزمان) (٦). فلم يحتج عليهم إلا بطلب برهان الدعوى .

تاسعاً : الاحتجاج ببراهين نبوة محمد ﷺ :

وهذا من مسالك الاستدلال الهامة ، حيث يستدل المحاور على كل ماجاء به

---

(١) آل عمران ٦٥ – ٦٦ .
(٢) قطب ، في ظلال القرآن ٤١١/١ .
(٣) البقرة ٨٠ .
(*) في الأصل :– وتريد لهذه ، ولعله خطأ مطبعي .
(٤) ابن القيم : بدائع الفوائد ١٤٣/٤ .
(٥) النساء ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٦) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ٦٩/٢–٧١ .

النبي ﷺ بتفصيلاته بدلائل النبوة المختلفة ، كما يستدل المحاور بها على بطلان كل ماخالف ماجاء به عليه السلام .

يقول ابن تيمية موضحاً ذلك : (دلائل النبوة ...كلها تدل على صدق النبي ، ثم يُعلم مايخبر به النبي من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، لأنه أخبر عن الله بذلك وهو صادق فيما يخبر به ، فهذا طريق صحيح عام . وأما إثبات نبوة الأنبياء بما فعله الله* بهم وباتباعهم من النجاة ، والسعادة ، والنصرة ، وحسن العاقبة ، وماجعله لهم من لسان صدق ، ومافعله بمكذبيهم ومخالفيهم من الهلاك ، والعذاب ، وسوء العاقبة ، واتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة ، فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم، والرهبة من مخالفتهم) [١] .

ولهذا نجد في القرآن الكريم التنبيه على وضوح نبوة محمد ﷺ والإشارة إليه بالنور والبرهان كما قال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ [٣] وقد سلك هذا المسلك كثير من المحاورين المسلمين ، فاحتجوا بدلائل النبوة على مسائل تفصيلية ومن ذلك :-

- استدلال الرازي بدلائل النبوة في قضية النسخ حيث يقول : (واحتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه ، لأن الدلائل دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونبوته لاتصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله ، فوجب القطع بالنسخ)[٤].
- استدلال ابن معمر بدلائل النبوة على بطلان صلب المسيح وقتله حيث يقول :- « إن المعجزات الظاهرة والأدلة القاطعة قامت على صدق الرسول ﷺ ، فلا التفات إلى مايعارض خبره ، فلما ثبت بالأدلة القاطعة صدق محمد ﷺ في خبره عن الله عُلم قطعاً كذب كل خبر يخالف ماجاء به ، فيعلم بطلان كذب النصارى من صلب المسيح وقتله »[٥] .

(*) لفظة الجلالة غير موجودة في كلام ابن تيميه ولكنها ضرورية .

(١) ابن تيميه ، الجواب الصحيح ٢٧٤/٤ .

(٢) المائدة ١٥ .

(٣) النساء ١٧٤ .

(٤) الرازي ، التفسير الكبير ٢٢٧/٣ .

(٥) ابن معمر ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ٥٧ .

عاشراً : الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به :

ومن مسالك الاستدلال على أهل الكتاب ، الاحتجاج عليهم بما يسلمون به من حقائق ذُكرت في كتبهم .

وقد احتج القرآن الكريم على أهل الكتاب بذلك فرغبهم بالإيمان بمحمد ﷺ، وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم كما قال تعالى مادحاً من آمن منهم : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ (١) .

كما احتج عليهم بذلك في بعض المسائل الفرعية ، كما قال تعالى ﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون** ﴾ (٢) .

وقد سلك علماء المسلمين هذا الطريق في محاورة أهل الكتاب ومن ذلك :

- احتجاج أبي حامد الغزالي بنصوص من أناجيلهم على بطلان ألوهية عيسى عليه السلام (٣) .
- استدلال أبي عبيدة الخزرجي عليهم ببعض نصوص الإنجيل المثبتة لنبوة عيسى والمبطلة لألوهيته مثل :« وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه » (٤).(٥)
- استدلال ابن القيم عليهم بنصوص كتبهم في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم(٦)، كما حاج أحد النصارى بما يسلم به من صفات الكمال لله فقال ابن القيم

---

(١) الأعراف ١٥٦- ١٥٧ . (٢) آل عمران ٩٣ ـ ٩٤ .

(٣) الغزالي ، الرد الجميل لآلهية عيسى بصريح الأنجيل ١١٧ .

(٤) يوحنا ٤ : ٤٣ - ٤٤ .

(٥) الخزرجي : أبي عبيده ، بين الإسلام والمسيحية ١٥٥ تحقيق د. محمد شامه . مكتبة وهبه - مصر (د.ت) .

(٦) ابن القيم :محمد بن أبي بكر ، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ٧٨ تعليق سيف الدين الكاتب - دار مكتبة الحياة - بيروت (د.ت) .

له : إنكم بتكذيبكم محمد قد شتمتم الله !؟ فعجب من ذلك وقال : مثلك يقول هذا الكلام . قلت له : أسمع الآن تقريره : إذا قلتم إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه ، وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدّعي أنه رسول الله ، أرسله الله إلى الخلق كافة ، ويقول أمرني الله بكذا ، ونهاني عن كذا ، وأوحى إلي كذا ، ولم يكن من ذلك شيء ، ويقول : إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم ، وغنيمة أموالهم ، وقتل رجالهم ، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير الأنبياء ، ومعاداة أممهم ، ونسخ شرائعهم . فلا يخلو إما أن تقولوا :إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه . أو تقولوا : إنه خفي عنه ولم يعلم به. فإن قلتم :لم يعلم به.نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منه . وإن قلتم بل كان ذلك بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه . فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره ، والأخذ على يديه ، ومنعه من ذلك ، أو لا . فإن لم يكن قادراً نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية ، وإن كان قادراً ، وهومع ذلك يعزره ، وينصره ، ويؤيده ، ويعليه ، ويعلي كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من أعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات مايزيد على الألف ، ولايقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولايدعوه بدعوة إلا استجابها له ، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لايليق نسبته إلى آحاد العقلاء ، فضلاً عن رب الأرض والسماء ، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه ، وهذا عندكم شهادة زور وكذب . فلما سمع ذلك قال : معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد . قلت : فمالك لاتدخل في دينه ؟ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لاكتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه . قلت له :غُلبت كل الغلب ، فإنه قد علِم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ماأخبر به. فأمسك ولم يحر جواباً (١) .

حادي عشر : الاستدلال بلازم كلامهم :

وذلك أن كثيراً من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لايقرونها وقد حاجهم الله بذلك حيث كانوا يدّعون أنهم مسلمون وأنهم متبعون لملة إبراهيم فأخبر الله أن

---

(١) ابن القيم :هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى١٢٤ .

الحج من شعائر إبراهيم عليه السلام وهم معرضون عنه كما قال تعالى :﴿ **قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين . إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[1].

ولما نزلت : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ [2] قالت اليهود :فنحن مسلمون . فأنزل الله : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ [3] فقال لهم النبي ﷺ :« **إن الله فرض على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** » فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبوا أن يحجوا .لذا قال تعالى ﴿ **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[4] ، [5]

وذكر الرازي أن في قوله تعالى : ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين** ﴾[6] ، استدلال بلازم كلامهم حيث يقول في عرض شبه أهل الكتاب : الشبهة الأولى : حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ **كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا** ﴾ [7] ، ولم يذكروا في تقرير ذلك شبهة ، بل أصروا على التقليد ، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه :

الأول : ذكر جواباً إلزاميا وهو قوله ﴿ **بل ملة إبراهيم حنيفا** ﴾ [8] وتقرير هذا الجواب أنه إن كان طريق الدين التقليد فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم ، لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف إن كان المعول في الدين على التقليد ، فكأنه سبحانه قال :إن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر فقد قدمنا الدلائل ، وإن كان المعول على التقليد ، فالرجوع إلى دين إبراهيم عليه السلام ، وترك اليهودية والنصرانية أولى) [9].

وهذا التفسير بعيد عما عنته الآية وفيه تكلف، إلا أنه بحد ذاته استدلال صحيح بلازم كلامهم وقد سلك هذا المسلك بعض المحاورين المسلمين إضافة إلى الرازي فمنهم :

---

(١) آل عمران ٩٥-٩٧ .
(٢) آل عمران ٨٥ .
(٣) آل عمران ٩٧ .
(٤) آل عمران ٩٧ .
(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣٨٦/١ بتصرف .
(٦) البقرة ١٣٥ .
(٧) البقرة ١٣٥ .
(٨) البقرة ١٣٥ .
(٩) الرازي ، التفسير الكبير ٨٠/٤ .

- أبو الوليد الباجي حيث يقول لأحد الرهبان (ولو جوزنا كونه - أي عيسى عليه السلام مع هذه الصفات والأحوال والمحدثات إلهاً قديماً ، لنفينا أن يكون العالم أو شئ مما فيه محدثاً مخلوقاً) [١] .

- السموأل [٢] حين يحاور اليهود فيلزمهم الإيمان بالمسيح ومحمد عليهما السلام فيقرر أن أباء اليهود كسائر الأباء ثم يقول : (فإذا كانت آباء النصارى وغيرهم ، قد نقلوا عن أبائهم الكفر والضلال الذي تهرب العقول منه ، وتنفر الطباع السليمة منه ، فليس بممتنع أن يكون مانقله اليهود عن آبائهم أيضاً بهذه الصفة ، فلما علمت أن اليهود لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أنه ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر ، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد كوجوده لموسى عليهم السلام أجمعين) [٣].

- المتطبب نصر بن يحي[٤] حين يحاور أهل الكتاب في نفيهم لنبوة محمد ﷺ وينقل حججهم ويرد عليهم فيقول : وقلتم : أن لا أحد من الأنبياء بشر به . وهذا غلط منكم وليس من شرط صحة نبوة النبي أن يتقدمه نبي فيخبر أنه سيجيء نبي ، فإن ذلك يلزم منه أن من صدق بنبي من الأنبياء ولم يتقدم نبي عليه يبشر بمجيئه فقد ضل، فمن أخبر عن موسى وعن أشعيا وأروميا وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ؟) [٥].

- ابن تيمية : حيث يقول في حواره مع النصارى :« مامستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر ؟ ، مع أن دلالة الصدق فيهما واحدة ، بل هي في الذي كذبتموه أظهر؟ فإن كانت حقاً لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم ، وإن كانت باطلة بطل استدلالكم بها على دينكم ، فثبت أنهم مع تكذيب محمد ﷺ لايستقيم لهم الاستدلال بكلام أحد من الأنبياء عليهم السلام) [٦] .

---

(١) الباجي ، رسالة راهب ٦٦ .

(٢) هو شموائيل بن يهودا كان من أحبار اليهود دخل في الإسلام حيث يقول « فصح عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما » ثم رأى النبي ﷺ في المنام ثم سمى نفسه السموأل بن يحي له حوارات مع اليهود استفاد منها ابن القيم والقرافي توفي سنة ٥٧٠ هـ « المغربي : السمؤال ابن يحي ، إفحام اليهود تحقيق د.محمد عبد الله الشرقاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . الرياض ١٤٠٧هـ الطبعة الثانية ».

(٣) المرجع السابق .

(٤) سبق ترجمته ٢١٨ .

(٥) المتطبب ، النصيحة الإيمانية ١٣٨-١٣٩ .

(٦) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١ /١٨٧ .

ثاني عشر : الاستدلال بتحريف كتبهم :

يحاج القرآن أهل الكتاب مبيناً لهم التحريف الذي لحق بكتبهم بسبب تقولهم على الله وتحريفهم الكتب ، من أجل ثمن قليل ، وبسبب قسوة قلوبهم وعصيانهم وعنادهم كما قال تعالى : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ [1].

وقال سبحانه : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع وراعنا ليـاً بألسنتهم وطعناً في الدين** ﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾[3].

كما أن إثبات تحريف التوراة والإنجيل مادة خصبة لكثير من المحاورين المسلمين ، وعلى سبيل المثال :

- ألَّف الجويني كتابه شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، وساق الأمثلة الكثيرة على اختلاف نسخ التوراة والإنجيل لاثبات تحريفها ، ومن ذلك إثباته لاختلاف نسخ التوراة التي بيد اليهود عن نسخ النصارى ، فمما ذكر : (في التوراة التي بيد اليهود : أن آدم عليه السلام حين أتى عليه مائة وثلاثون سنة ولد له : شيث . وفي التي بيد النصارى : أنه لما أتى عليه مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث) [4] ويقول بعد سوق الأمثلة الكثيرة على اختلاف نسخ التوراة : (فانظر إلى قبح هذا الاختلاف وغرابته بين هاتين الطائفتين في أمر ليس من قبيل المظنونات التي تختلف باختلاف مآخذ العلماء الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون) [5].
- أثبت ابن تيمية تحريف كتبهم عن طريق النقل والترجمة ، كما أثبت تحريفها عن طريق اختلافها وتعددها فيقول : (إن الاختلاف في نسخ التوراة والانجيل والزبور موجود قد رأيناه نحن بأعيننا ، ورآه غيرنا ، فرأيت عدة نسخ بالزبور يخالف بعضهابعضا اختلافاً كثيراً ، ورأينا بعض ألفاظ التوراة الصحيحة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض ألفاظ توراة الطائفة الأخرى ، وكذلك الانجيل)[6].

---

(١) البقرة ٧٩ . (٢) النساء ٤٦ .
(٣) المائدة .
(٤) الجويني : أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله ، شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والانجيل من التبديل ٣٨ .
(٥) المرجع السابق ٤٢ . (٦) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ٢/٢٢ .

- أثبت رحمت الله الهندي تحريف التوراة والإنجيل في كتابه القيم (إظهار الحق) وقد بين في الباب الثاني براهين التحريف بأنواعه المختلفة ، وهي التحريف اللفظي بالتبديل ، والتحريف بالزيادة ، والتحريف بالنقصان [1] كما ذكر مائتين وأربعة وعشرين غلطاً وتناقضاً في التوراة والإنجيل [2] وقد بذل فيه من الجهد الشيء الكثير ، كما يظهر فيه سعة علم صاحبه بهذا الموضوع .
- أثبت أحمد ديدات التحريف في مناظراته العديدة وكتبه المختلفة ، وسلك هذا المسلك في الاحتجاج على أهل الكتاب ، ومن ذلك مناظرته المشهورة مع سوجارت، والتي قال فيها : (وفيما يتعلق بأربعة وعشرين ألف مخطوط ، أنت تعرف أخي سوجارت أن ليس بينهما اثنان متماثلان ، وعلماؤك يقولون بأنه بين الأربع والعشرين ألفاً التي كتبوها ، لاتوجد اثنتان متشابهتان ، إذاً فكيف لك أن تحكم بأن هذه من عند الله ، وأن الأخرى ليست من عند الله من بين أربع وعشرين ألف نسخة !؟)[3] .

وفي مناظرته مع أنيس شورش[4] يقول : (أما الإنجيل فلدينا ثلاثة وسبعين إنجيلاً مختلفاً لدى الكاثوليك ، وستة وستين إنجيلاً عند البروستانت ، وبينهما أناجيل عديدة لانعرف مصدرها)[5].

ثالث عشر : إثبات تناقضهم :

إن أهل الكتاب نتيجة لتكذيبهم بمحمد ﷺ يقعون في الكثير من المتناقضات ، والتي يشير إليها القرآن الكريم ، مبيناً أنه لااستقامة لمنهجهم إلا بالإيمان بالنبي محمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ [6] .

يقول السموأل[7] مبيناً هذا الجانب في حواره مع اليهود : لايسع عاقلاً أن يكذب نبياً ذا دعوى شائعة ، وكلمة صادقة ، ويصدّق غيره ، لأنه لم يرى أحدهما ، ولا

---

(١) الهندي ، إظهار الحق ١/٢٥٩-٣٧٢ . (٢) المرجع السابق ١ /١٣٣ - ٢١١ .

(٣) السقا :أحمد حجازي ، المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت ١٥١ تقديم الشيخ محمد الغزالي . مكتبة زهران –القاهرة (د٠ت) .

(٤) هو أنيس شورش فلسطيني الأصل وهو من المنصرين الايرلنديين والمناظرة عقدت ببريطانيا عام ١٩٨٨م . انتهت بانتصار ديدات .

(٥) ديدات : أحمد ، بين الانجيل والقرآن ٦٢ ، كتاب المختار مصر (د٠ت) .

(٦) النساء ١٥٠-١٥١ . (٧) سبقت ترجمته .

شاهد معجزاته ، فإذا اختص أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب ، فقد تعين عليه الملام والازراء عقلاً) [1] .

ويقول الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾[2] (إن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء عليهم السلام ظهور المعجز عليهم ، ولما ظهر المعجز على يد محمد ﷺ وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته ، فإن تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد ، يوجب المناقضة في الدليل ، وأنه ممتنع عقلاً..)[3].

رابع عشر : إبطال دعواهم بإثبات نقيضها :

عندما دعا النبي ﷺ أهل الكتاب وتلا آيات الله عليهم وأوضح براهينه ودلائله ، أخذ أهل الكتاب يتذرعون ببعض الشبه ، ويدعون الادعاءات المانعة لهم من الإيمان ، فأثبت الله عز وجل نقيض ادعاءاتهم وفضح باطلهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾[4] فقد ادعوا إيمانهم بما أُنزل إليهم فرد الله عليهم بأمرين ينقض ادعاءهم .

الأول :أن ماجاء به محمد ﷺ مصدقاً لما معهم ، فمن تمام إيمانهم برسلهم إيمانهم بمحمد ﷺ .

الثاني: أنهم قتلوا أنبياءهم وهذا مناقض لدعواهم الإيمان بما أُنزل إليهم ، إذ أن قتل الرسل غاية في التكذيب.

ومن ذلك قوله تعالى محاوراً اليهود : ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قدجاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين** ﴾[5] .

---

(١) السموأل ، افحام اليهود ٩١ .
(٢) البقرة ١٣٦ .
(٣) الرازي ، التفسير الكبير ٤ / ٨٢ .
(٤) البقرة ٩١ .
(٥) آل عمران ١٨٣ .

خامس عشر : الاستدلال عليهم بإظهار التشهي والتحكم :

وهذا من أساليب القرآن في محاورة أهل الكتاب حيث يبين أنهم إنما يسيرون وفق أهوائهم وشهواتهم ، لامع الدليل والبرهان . يقول تعالى معاتباً أهل الكتاب : ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون** ﴾ (١) .

قال ابن القيم ، معلقاً على هذه الآية : (فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء التشهي والتحكم ، فيقول أحدهم لصاحبه : لاحجة لك على ماادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل ، فإن جاءك مالا تشتهيه دفعته ورددته ، وإن كان موافقاً لما تهواه وتشتهيه - إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ماتريده - قبلته وأجزته ، فترد ماخالف هواك وتقبل ماوافق هواك ، وهذا الاحتجاج مفحم للخصم لاجواب عليه البتة) (٢).

كما بين الله عز وجل أن الدافع الحقيقي لكفرهم هو الحسد ، لإخفاء الحق عنهم كما قال تعالى : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾ (٣) إن هذا الحسد دفعهم إلى صد غيرهم عن الحق قال تعالى ﴿ **ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق** ﴾ (٤).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾(٥) (أي إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم ، فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم ، والحكم بها وعدم نسخها ، وأنتم تعلمون صدقهم ، قتلتموهم بغياً وعناداً واستكباراً على رسل الله ، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي)(٦).

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد سلك مع أهل الكتاب كافة طرق الإقناع والوعظ بل التحدي ، وذلك لبيان الحق لهم وإقامة الحجة عليهم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً** ﴾ (٧).

---

(١) البقرة ٨٧ .

(٢) ابن القيم ، بدائع الفوائد ٤/١٤٤ .

(٣) البقرة ٩٠ .

(٤) البقرة ١٠٩ .

(٥) البقرة ٩١ .

(٦) ابن كثير ١/١٢٥ .

(٧) الفتح ٢٨ .

وعلى هذا فالواجب على من أراد محاورة أهل الكتاب أن يدرس طريقة القرآن في الحوار مع أهل الكتاب ليقتدي بها وينطلق منها . كما أن عليه أن يستفيد مما تركه السلف الصالح من هذه الثروة من المحاورات مع أهل الكتاب .

الخاتمة

١ – أهم النتائج

٢ – المقترحات

أولاً : أهم النتـائج

من خلال صفحات هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية :

١ ـ كمال دين الإسلام من جيمع نواحيه ، مع نقص ماسواه من الأديان وخاصة أديان أهل الكتاب .

٢ ـ اهتمام الإسلام بالحرية ، ومن مظاهر هذا الاهتمام مايلي :

أ ـ عدم إكراه أحد للدخول في الإسلام .

ب ـ إعطاء المقيمين من أهل الكتاب في الدولة الإسلامية حقوقاً عادلة .

جـ ـ دعوةالإسلام إلى الحوارمع أهل الكتاب وغيرهم بكل حريةودون ضغوط .

٣ ـ حفل التاريخ بالكثير من تسامح المسلمين مع أهل الكتاب وغيرهم وتعصب أهل الكتاب .

٤ ـ يهدف الإسلام من الحوار مع أهل الكتاب إلى أغراض نبيلة ترجع فائدتها إلى أهل الكتاب أنفسهم ، ولايتعلق شيء منها بمصالح دنيوية .

٥ ـ تحريم موالاة أهل الكتاب ، وعدم تمييع القضايا الدينية ، أو التنازل عن أي شيء من الإسلام ، باسم الحوار مع أهل الكتاب .

٦ ـ لايجوز لأي أحد الحوار باسم الإسلام مع أهل الكتاب وغيرهم مالم يكن قد انطبقت عليه الشروط اللازمة لذلك ، وأساسها الاستقامة في الدين ، والتحلي بالأدب الرفيع ، مع التمكن من ذلك بالعلم والحكمة .

٧ ـ اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالأدب في الحوار ، وخاصة مع أهل الكتاب ، وهذا الأدب جزء من اهتمام الإسلام بالأخلاق .

٨ - وجوب التركيز في الحوار مع أهل الكتاب على الموضوعات التي تخدم الأهداف النبيلة التي شرعها الإسلام في محاورتهم ، وأفضلها الموضوعات التي حاورهم فيها القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ .

٩ ـ وجوب دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ، واستخدام كافة المناهج العقلية بشرط أن

تكون حقاً في ذاتها ، وجواز الاحتجاج بما يسلمـون به من مقدمات لبيان تناقضهم واضطرابهم .

١٠ـ احتواء القرآن الكريم على أفضل المناهج العقلية في حواره مع أهل الكتاب ، والتي يجب على من تصدى لهذا الأمر الإفادة منها .

١١ـ قيام العلماء المسلمين خلال العصور المختلفة بعمل الكثير من الحوارات الرائعة مع أهل الكتاب ، والتي يجب إبرازها والاستفادة منها .

ثانياً : المقترحـات

أ ـ إنشاء قسم خاص يُعنى بالحوار مع أهل الكتاب في المؤسسات الدعوية الإسلامية ، كرابطة العالم الإسلامي ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وغيرهما ، أو إنشاء هيئة خاصة مستقلة تُعنى بهذا الجانب ويكون لها فروع في الدول الإسلامية وخارجها ويكون من نشاطها :-

١ ـ إعداد دعاة مؤهلين للحوار مع أهل الكتاب بتنظيم دورات علمية في هذا الموضوع مع دورات عملية تطبيقية ، بحيث يتخرجون وقد استكملوا الشروط اللازمة لذلك .

٢ ـ تشجيع الحوارات بين علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب ، والإشراف عليها.

٣ ـ تسجيل هذه المحاورات تلفزيونياً ، وعلى أشرطة الكاسيت ونشر الجيد منها في كتب مستقلة ، وفي الصحف والمجلات .

٤ ـ جمع وتحقيق مايمكن جمعه من المحاورات القديمة والحديثة في موسوعة لتسهيل الاستفادة منها .

٥ ـ إصدارنشرة دورية تُعنى بهذاالجانب ، للتمكن من متابعة مايستجد في هذا الموضوع.

٦ ـ رصد النشاط التنصيري ، ومخططات أهل الكتاب العدائية تجاه الإسلام ، وعمل مايمكن لمجابهته .

٧ ـ ترجمة الحوارات المفيدة إلى اللغات المختلفة ونشرها .

٨ ـ الدعوة للإسلام عبر وسائل الإعلام الغربية عن طريق استئجار قنوات في التلفزيون لعرض برامج دورية يبين من خلالها فضل الإسلام وسماحته ، كما يعرض فيها محاورات منتقاة بين علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب .

ب ـ اقترح للجامعات في الدول الإسلامية مايلي :

١ ـ تدريس مادة في قسم الدعوة تعنى بهذا الموضوع .

٢ ـ توجيه أقسام الدراسات العليا ومراكز البحوث للاهتمام بهذا الموضوع وإعطائه حقه من الدراسة والبحث لأهميته في الوقت الراهن .

٣ ـ استضافة من لهم خبرة في هذا المجال للإفادة منهم .

٤ ـ عقد محاورات بين علماء الإسلام وعلماء أهل الكتاب وتشجيع الطلاب على حضورها .

٥ ـ عدم ابتعاث الطلاب للخارج إلا بعد إلمامهم بهذا الموضوع .

جـ ـ أقترح لوزارات الإعلام في الدول الإسلامية الاهتمام بهذا الموضوع وعرض بعض الحوارات المفيدة عبر وسائل الإعلام المختلفة .

المراجــــع

أولاً : الكتــــب

- القرآن الكريم
- العهد القديم (التوراة : أسفار موسى)
- العهد الجديد (الأناجيل الأربعة ورسائل بولس)
- الآجري : محمد بن الحسين ، الشريعة . تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م .
- ارنولد : سير توماس ،الدعوة إلى الإسلام . ترجمة وتعليق د. حسن ابراهيم حسن / د. عبدالمجيد عابدين / اسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .
- الأسباني : أنطونيو دومبينقير هورتز ، بالإشتراك مع الفرنسي : برنارد بنشنت ، تاريخ مسلمي الأندلس (الموريسكيين) . ترجمة عبدالعال صالح طه ، تقديم وتنقيح محمد محيي الدين الأصفر، دار الإشراق ـ قطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م .
- أسد : محمد ، الإسلام على مفترق الطرق . ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٦٥م .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، أرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
- ــــــــــ ، صحيح الجامع الصغير . المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .
- ــــــــــ ، صحيح سنن ابن ماجة . المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .
- الألمعي : زاهر عواض ، مناهج الجدل في القرآن الكريم . مطابع الفرزدق ـ الرياض ،

(د . ت)

- الأنصاري : أبي الفرج عبدالرحمن ، رسالة استخراج الجدال في القرآن الكريم (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ٣) ، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٦هـ .
- الباجي : أبي الوليد سليمان بن خلف ، رسالة راهب فرنسا إلى ملك المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد عليها . دراسة وتحقيق محمد عبدالله الشرقاوي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
- البخاري : محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري . المكتبة الإسلامية ـ تركيا، ١٩٨١م ، موافقة لطبعة استنبول ١٣١٥هـ .
- البنا : حسن ، مجموعة رسائل حسن البنا . توزيع دار القرآن الكريم ـ بيروت ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
- آل بوطامي : أحمد بن حجر ، الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب . مكتبة الثقافة ـ الدوحة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ .
- بوكاي : موريس ، القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) ـ دار المعارف . مصر ، (د . ت)
- ترتون : دكتور أس ، أهل الذمة في الإسلام . ترجمة وتعليق حسن حبشي ، دار المعارف ـ مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .
- الترمذي : محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح . تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الفكر ،الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
- ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم . تحقيق د. ناصر عبدالكريم العقل ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
- ـــــــــــ ، الإيمان ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .
- ـــــــــــ ، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، مطابع المجد التجارية ، (د. ت)
- ـــــــــــ ، درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

- ـــــــــــ ، الرد على المنطقيين . ادارة ترجمان السنة ـ لاهور ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ـــــــــــ ، الصارم المسلول على شاتم الرسول . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
- ـــــــــــ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع عبدالرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- ـــــــــــ ، منهاج السنّة النبوية . تحقيق د.محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- آل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض (د.ت)
- جارودي : روجيه ، مايعد به الإسلام ، ترجمة قصي أتاسي / ميشيل واكيم ، دار الوثبة ـ دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
- الجرجاني : علي بن محمد بن علي ، التعريفات . تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
- الجلعود : محماس بن عبدالله ، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية . الرياض ، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي : عبدالرحمن ، زاد المسير . المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولي ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
- الجويني : أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله ، شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل . تحقيق أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
- ابن حجر : أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار الفكر ، (د.ت)
- ابن حزم : أبو محمد علي ، الإحكام في أصول الأحكام . نشر زكريا علي يوسف ـ القاهرة ، (د.ت) ، قوبلت على النسخة التي أشرف عليها أحمد شاكر ١٣٤٥هـ .
- ـــــــــــ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل . تحقيق د. محمد إبراهيم نصر / د.

عبدالرحمن عميرة ، مكتبات عكاظ ـ جدة (د.ت) .

ـ حسين : محمد محمد ، الإسلام والحضارة الغربية . دار الإرشاد ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ ــــــــــ ، حصوننا مهددة من داخلها . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

ـ الحسيني : مبشر الطرازي ، إلى الدين الفطري الأبدي . مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، (د.ت) .

ـ حنبل ، أحمد بن محمد ، المسند . دار الفكر العربي ، (د. ت) .

ـ حنبل : حنبل بن اسحاق ، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل . دراسة وتحقيق د. محمد نغمش ، مطبعة سعدي وشندي ـ مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ـ الحنفي : ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ .

ـ خالدي : مصطفى (بالإشتراك مع فروخ : عمر)، التبشير والاستعمار في البلاد العربية . المكتبة العصرية ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م .

ـ الخزرجي : أبي عبيدة ، بين الإسلام والمسيحية . تحقيق د. محمد شامة ، مكتبة وهبة ـ مصر، (د٠ت) .

ـ أبو داود : سليمان السجستاني ، سنن أبي داود . نشر محمد علي السيد ـ حمص ، الطبعة الأولى ١٩٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ دروزة : محمد عزة ، الجهاد في سبيل الله . دار اليقظة العربية ـ دمشق ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ـ الدسوقي : سيدي أحمد الدردير ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير . دار احياء الكتب العربية (د٠ت) .

ـ ديدات : أحمد ، بين الإنجيل والقرآن . كتاب المختار ـ مصر ، (د٠ت) .

ـ الذهبي : محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء . تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة

الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
ـ الرازي : أبو عبدالله محمد بن عمر ، التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة (د٠ت) .
ـ الراعي : واصف ، كنت نصرانياً . مطابع الفرزدق ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ بن رجب : عبد الرحمن بن شهاب الدين ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم . دار المعرفة ـ بيروت ، (د.ت) .
ـ الزحيلي : محمد وهبة . أثار الحرب في الفقه الإسلامي ، دار الفكر ـ دمشق ، (د.ت) .
ـ الزركلي : خير الدين ، الأعلام . دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م .
ـ زقزوق : محمد حمدي ، الإسلام في الفكر الغربي . دار القلم ـ الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
ـ أبوزهرة : محمد ، تاريخ الجدل . دار الفكر العربي ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .
ـ ـــــــ ، تنظيم الإسلام للمجتمع . دار الفكر العربي ـ القاهرة ، (د٠ت)٠
ـ ـــــــ ، العلاقات الدولية في الإسلام . دار الفكر العربي ـ القاهرة ، (د.ت).
ـ زيدان : عبدالكريم ، أحكام الذميين في الشريعة الإسلامية . بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
ـ السباعي : مصطفى ، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي . المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
ـ السعدي : عبد الرحمن ، القواعد الحسان لتفسير القرآن . مكتبة المعارف ـ الرياض ، ١٤٠٢هـ
ـ السقا : أحمد حجازي ، المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سوجارت . تقديم محمد الغزالي ، مكتبة زهران ـ القاهرة ، (د٠ت) .

- سلهب : نصري ، لقاء المسيحية والإسلام . دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ١٩٧٠م .
- سليمان : وليم ، الحوار بين الأديان . تقديم عبدالعزيز كامل ، (د.ت) .
- السمعاني : عبدالكريم بن محمد التميمي ، أدب الإملاء والإستملاء . دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .
- سوسة : أحمد نسيم ، في طريقي إلى الإسلام . المطبعة السلفية ـ القاهرة ، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م .
- السويدي : يوسف ، الإسلام والعلم التجريبي . مكتبة الفلاح ـ الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- السيوطي : جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، وبهامشه تفسير ابن عباس . دار المعرفة ـ بيروت ، (د٠ت) .
- الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة . دار المعرفة ـ بيروت ، (د.ت)
- الشافعي : محمد بن ادريس ، الأم . دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ٠
- ———— ، الرسالة . تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ـ بيروت ، (د.ت) ٠
- الشنقيطي : محمد الأمين ، أضواء البيان . عالم الكتب ـ بيروت ـ (د.ت)
- الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير . دار الفكر (د.ت) .
- الشيشاني : عبدالوهاب عبدالعزيز ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة . مطابع الجمعية العلمية الملكية ـ عمان ، الأردن ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ٠
- صعيدي : عبدالمتعال ، حرية الفكر في الإسلام . دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة (د٠ت).
- صقر : عطية ، دراسات اسلامية . مؤسسة الصباح ، الكويت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- الصنعاني : عبدالرزاق بن همام ، المصنف . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب

الإسلامي ،الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

ـ الصواف : محمد محمود ، المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام . دار الإصلاح ـ الدمام ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ

ـ طاليس : أرسطو ، الأخلاق . وكالة المطبوعات ـ الكويت (د٠ت)٠

ـ الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن . دار المعرفة ـ بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

ـ ابن عابدين : محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ .

ـ العامري : أبو الحسن محمد بن يوسف ، الإعلام بمناقب الإسلام . تحقيق أحمد عبدالحميد غراب ، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ٠

ـ عبد الهادي : محمد جمال ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، ١٤٠٧هـ .

ـ عبد الوهاب : محمد ، مجموعة التوحيد . نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، (د٠ت) .

ـ عبده : محمد ، الإسلام والرد على منتقديه . المكتبة التجارية – مصر ، ١٣٤٦هـ .

ـ عتيق : حمد بن علي ، رسالة ضمن مجموعة التوحيد . أنظر عبدالوهاب : محمد ، مجموعة التوحيد .

ـ عثمان : عبدالكريم ، معالم الثقافة الإسلامية . مؤسسة الرسالة ، الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ ـ ١٣٩٨٣م .

ـ عرجون : محمد الصادق ، حرية الفكر في الإسلام . الأزهر ـ القاهرة ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٦٥م .

ـ العقاد : عباس ، التفكير فريضة إسلامية . دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

ـ العلياني : د.علي نفيع ، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف

المغالية فيه . دار طيبة ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

- علي : محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية . لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ـ ١٩٥٠م .

- غراب : احمد عبدالحميد ، رؤية إسلامية للاستشراق . دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

- غزال : مصطفى فوزي ، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام . دار طيبة ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

- الغزالي : أبوحامد ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل . تقديم محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ـ مصر ، ١٤٠٦هـ .

- الغزالي : محمد ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . دار البيان ـ الكويت ، (د.ت) .

- الفرنسي : برنارد بنشنت ، تاريخ مسلمي الأندلس . انظر الأسباني : انطونيو .

- فروخ : عمر ، التبشير والإستعمار . انظر خالدي : مصطفى .

- القاسمي : جمال الدين ظافر ، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام . دار العلم للملايين ـ بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

- قبرصي : خليل أسكندر ، دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام . المطبعة السلفية ـ القاهرة ، (د.ت) .

- القحطاني : محمد بن سعيد ، الولاء والبراء في الإسلام . دار طيبة ـ الرياض ، الطبعة الأولى (د.ت) .

- ابن قدامة : عبدالله بن أحمد ، المغني . مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض ، (د.ت) .

- القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن . دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

- القرطبي : يوسف بن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله . دار الفكر ـ بيروت ، (د.ت) .

- ــــــــــ ، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي . تحقيق د. محمد محمد

الموريتاني ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
ـ القرضاوي : يوسف ، الخصائص العامة للإسلام . مكتبة وهبة ـ مصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .
ـ قطب : سيد ، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته . دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ .
ـ ــــــ ، في ظلال القرآن . دار الشروق – بيروت ، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
ـ قطب: محمد ، الإنسان بين المادية والإسلام . دار الشروق ـ بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
ـ ــــــ ، شبهات حول الإسلام . دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
ـ ــــــ ، مذاهب فكرية معاصرة . دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
ـ ــــــ ، واقعنا المعاصر . مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ـ جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ ابن القيّم : محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد . دار الكتاب العربي – بيروت ، (د.ت) .
ـ ــــــــــ ، زاد المعاد في هدي خير العباد . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ،الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
ـ ــــــــــ ، الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (النونية) . دار المعرفة ـ بيروت ١٣٤٥هـ .
ـ ــــــــــ ، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى . راجعه وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب ، دار مكتبة الحياة – بيروت ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
ـ ابن كثير : اسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية . مكتبة المعارف ـ بيروت ، الطبعة الخامسة،١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .

- ـــــــــــ ، تفسير القرآن العظيم . دار المعرفة ـ بيروت ، (د ٠ ت)

- ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني ، السنن . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، (د ٠ ت) .

- المتطبب : نصر بن يحيى ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية . تحقيق د.محمد عبدالله الشرقاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

- مسلم : مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح . دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، (د ٠ ت)

- آل معمر : عبدالعزيز بن حمد بن ناصر ، منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب . دار ثقيف للنشر والتأليف ـ الطائف ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

- المغربي : السموأل بن يحيى ، افحام اليهود . تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

- المقدسي : بهاء الدين عبدالرحمن ، العدة شرح العمدة . تقديم وتحقيق محب الدين الخطيب ، (د ٠ ت) .

- ابن المنذر : أبي بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري ، الإجماع . تحقيق أبو حماد حفيد أحمد بن محمد بن حنيف ، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

- ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب . دار صادر ـ بيروت ، (د ٠ ت) ٠

- المودودي : أبو الأعلى ، حقوق أهل الذمة . دار الفكر (د ٠ ت).

- ـــــــــــ ، طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر . مكتبة الرشد ـ الرياض ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ٠

- ـــــــــــ ، القانون الإسلامي . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

- الميداني : عبدالرحمن حسن ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير ـ الاستشراق

- الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه . دار القلم - دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

- النحاس : أبي جعفر محمد بن أحمد ، الناسخ والمنسوخ وبهامشه الموجز في الناسخ والمنسوخ . لابن خزيمة الفارسي ، (د ، ت) .

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، أصول الحوار . نشر الندوة العالمية - الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

- الندوي : مسعود ، محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- النووي : يحيى بن شرف ، رياض الصالحين . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- ابن هشام : عبدالملك بن هشام المعافري ، السيرة النبوية . قدم لها وعلق عليها عبدالرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر ، (د ، ت) .

- ابن الهمام : محمد بن عبدالواحد ، شرح فتح القدير على الهداية . شرح بداية المبتدي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

- الهندي : رحمت الله ، إظهار الحق . تحقيق أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي للطباعة والنشر - مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

- أبو يعلى : أبو الحسن محمد ، طبقات الحنابلة . دار المعرفة - بيروت ، (د ، ت) .

- اليماني : محمد بن ابراهيم الوزير ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم . دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ، الخراج . تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، دار الإصلاح ، (د ، ت) .

ثانيا : النشرات والدوريات :

- البلاغ ، مجلة اسبوعية تصدر من الكويت ، العدد ٨٨٤ بتاريخ ١٥/٧/١٤٠٧هـ ، والعدد ٩٨١ بتاريخ ١٣/٧/١٤٠٩هـ .
- جارودي : روجية ، تعريف بمعهد حوار الحضارات (نشرة صادرة من نفس المعهد) .
- غراب : أحمد عبدالحميد ، الإسلام والعلم ، بحث منشور في سلسلة المركز الإسلامي للدراسات والبحوث رقم ٩ ، القاهرة ، ١٩٨١م .
- محمود : على عبدالحليم ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، بحث ضمن مجموعة أبحاث بالعنوان السابق ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- مركز البحوث - قرطبة ، نشرة صادرة من المركز
- معهد حوار الحضارات ، القلعة الحرة .
- ـــــــــ ، النظام الأساسي
- منار الإسلام ، مجلة شهرية صادرة من أبو ظبي ، عدد جمادى الثانية ١٤٠٧هـ .
- المودودي : أبو الأعلى : ، مقال له في مجلة المسلم المعاصر ، العدد الإفتتاحي ١٠/١٣٩٤هـ
- ندوة حوار الوحدة الإبراهيمية ، نشرة (د ت) .
- الهدى ، ملحق يومي تصدره صحيفة الاتحاد من الإمارات بمناسبة شهر رمضان بتاريخ ١٩/٩/١٤٠٧هـ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة